

در حدیثی که در کتاب ... سفیر اولاد علی و کسب و دست تقدیر

وَالْعَلَوِيُّونَ

# الإمام علي والعَلَوِيُّونَ

علي محمد موسى

**عليّ محمّد موسى**

## **الإمام عليّ والعلويّون**

**-دراسة وتاريخ**

**وتراجم**



جميع الحقوق محفوظة لدار الفتاة

الطبعة الأولى

دمشق ٢٠٠٢/٥ م

موافقة وزارة الإعلام: ٢٥٠٣٢

التاريخ: ١٩٩٥/٢/٨

# بسم الله الرحمن الرحيم

## تمهيد

المسلمون العلويون أصحاب طريقة صوفية شأنهم شأن أصحاب الطرق الصوفية في الإسلام تعبدوا بها منذ القرن الثالث الهجري في خضم المحيط الإسلامي الممتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى الصين شرقاً يتكاثرون في ظل الحرية الفكرية والدينية، ولما تعرض هذا الوطن الكبير للغزوات الأجنبية، التي مزقت العرب والمسلمين وأشاعت الكره والحقد والتعصب بين فئات الشعب ليسهل حكمه ونهب خيراته. في هذا الجو الطافح بالجهل وانذار الوعي وتغليب المصالح الخاصة على المصلحة العامة حورب التشيع عبر مراحل متعددة من عمر العرب والمسلمين، والعلويون مسلمون شيعة إماميون تعرضوا للقتل والإفناء والحصار في جبال اللاذقية فعزلوا عمن حولهم قروناً عديدة حتى هيئت لهم أسباب النهضة العلمية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي فاتخذوا من المساجد مدارس للعلم والعرفان، ثم شاركوا في الحرب العالمية الأولى فانفتحوا على محيطهم وعمن حولهم وأحسنوا بانتمائهم -لوطن مستقل بعد رحيل الأتراك، ولكنهم دُهِوا بنزول الجيوش الفرنسية على ساحل وطنهم فهبوا بأول ثورة سورية ضد المحتل الفرنسي البغيض ودامت ثورتهم ثلاث سنوات من ١٩١٨ - ١٩٢١، وحينما فرض الفرنسيون قيام دولة علوية في الساحل رفض أحرارهم هذه الدولة وطالبوا بتوحيد سورية المجزأة في دولة واحدة، وقد تصدوا المبدأ الفرنسيين في المعاملة «فرق تسد» وأثبتوا أنهم وطنيون مخلصون وعرب أقحاح، وبعد رحيل الأجنبي عام ١٩٤٦ ساهموا مثل باقي فئات الشعب في النهوض بوطنهم وجاءت ثورة آذار عام ١٩٦٣، وأسهمت هذه الثورة، وبمسؤولية واعية على إزالة الفوارق بين أبناء المجتمع. وفي ١٢/٣/١٩٧١ أصبح الفريق الجوي حافظ الأسد رئيساً للجمهورية العربية السورية وهو مسلم علوي من مدينة القرداحة في محافظة اللاذقية، فسار ببلده في مضمار التطور والتقدم حتى انتقل إلى جوارحه في ١٠/٦/٢٠٠٠م، وقد اختارت الأمة نجله بشار الأسد ليدعم مسيرة والتقدم والاستقرار فأقسم اليمين الدستورية رئيساً للبلاد في ١٧/٧/٢٠٠٠م.



هذا الاستقرار السياسي والتطور الحضاري حدث بفضل الوحدة الوطنية وتلاحم فئات الشعب حيث انفتحت النفوس على بعضها بعضاً وتعاونت لتبني الوطن وتعلمي صرح الحضارة فيه ، وفي هذا الجو المنفتح أصبحت هذه النفوس قابلة لمعرفة آداب وتاريخ فئات كان محظوراً عليها التصريح أو التعريف بآدابها وتواريخها وفضائلها .

ووطني سورية كان عبر تاريخه الطويل متفهماً لواقع سكانه ، يقبل العيش الكريم لأبنائه تحت ظل الإخاء والتعاون والمحبة .

ولا نريد الخوض في تاريخ فترات فرضها عليه الأعجمي والأجنبي بهمجيتهما ووحشيتهما وتعصبهما وجهلتهما واستغلالهما الكريه ، فنحن أبناء العروبة العريقة بفضائلها وآدابها ، والإسلام السمح الكريم ، والمسيحية الرحيمة الحنون .

وهذا الكتاب: الإمام عليّ والعلويّون ، دفقة نور في ضياء الإسلام المنتشر في كل أصقاع المعمورة لعلّي أضيء به جانباً من تاريخ أمتنا العريقة كانت أقيمت في طريق انتشاره سدود كسد الصين الكبير أو هي أكبر ، وأكثر بعداً وأعظم عمقاً .

وتاريخ العلويّين أرض بكر خصيبة لم يحرق فيها إلا القلائل ، وما زالت هناك كنوز مدفونة في هذه الأرض تنتظر من يستخرج نفائسها ويعرضها على العالمين . وقد حرثت في هذه الأرض بقدر علمي وطاقتي وقناعتني متوخياً الصدق والصواب والحقيقة بدون زيغ أو ميل ، فإن كانت هناك بعض شطحات الخيال لا تحظى بتأييد بعض من يطالعها فعلري أنها من الموروثات .

وقد قال العلامة حسين ميهوب حروفوش: «ومع علمي بأن الغائص ببحر التصنيف والسالك نهج التأليف لا يخلو من حاسد في قلبه مرض ، ومعاند لا يستقيم له غرض ، فيخرجان بظهر الغيب وهو غير شاهد ، ويحرّقان وجه كلامهما إلى غرضهما الفاسد ، وأعوذ بالله من أن يقع كتابي هذا إلى من هذه صفته ، ويفضله تعالى الصواب ، وإليه العآب ، آمين .»

إلى أبناء أمتي من المحيط إلى الخليج أقدم هذه الحقيقة .

عليّ محمد موسى .

## الفصل الأول

### الانتماء إلى دوحة الإسلام العظيم

أبدأ القول بفتوى السادة العلماء العلويين التي نشرت عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، أثناء فترة الاستعمار الفرنسي البغيض الذي كان هدفه تمزيق الشعب العربي في سورية إلى طوائف متناحرة متقاتلة ليصفو له الجو فيحكم حسب أهوائه وينهب خيرات بلادنا بدون معارض أو غيور على مصالح شعبه ووطنه. ولكن السادة العلماء العلويين تصدوا للمستعمر وردوا طروحاته المفارقة بين الأمة وشعاره الأكبر: فرق تسد.

وكان ردّهم الذي كبته وأصمى فؤاده: «إن الدين عند الله الإسلام، ومن يتخ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»، «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»\*.

ثم بيّن السادة العلماء صفوة العقيدة الإسلامية العلوية فيقولون: «صفوة عقيدتنا ما جاء في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

بسم الله الرحمن الرحيم: «قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد». وإنّ ملهنا في الإسلام هو ملهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام، والأئمة الطاهرين عليهم السلام سالكين بذلك ما أمرنا به خاتم النبيين سيّدنا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل مشدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يرثي عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

هذه عقيدتنا نحن العلويين أهل التوحيد، وفي هذا كفاية لقوم يعقلون. ثم تواقع السادة العلماء.<sup>(١)</sup>

وأنتي بقسم من البيان الذي أصدره الأديب العلامة الشيخ سليمان الأحمد عضو مجمع اللغة العربيّة في دمشق<sup>(٢)</sup> «رضيت بالله تعالى ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن كتاباً وبمحمد

ابن عبد الله رسولاً ونبيّاً ، وبأمر المؤمنين عليّ عليه السّلام إماماً ، برئت من كل دين يخالف دين الإسلام ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . هذا ما يقوله كل علوي لفظاً واعتقاداً ويؤمن به تقليداً واجتهاداً .

وأثّلت مورداً نص المرسوم التشريعي رقم (٣) الصادر عن رئيس الجمهورية السورية عام ١٩٥٢ ، الذي يتضمن الاعتراف بمذهب آل البيت عليهم السّلام بعد أن طالب العلماء العلويون الحكومة السورية آنذاك بالاعتراف بهذا المذهب :

«إن رئيس الدولة بناءً على...وعلى وجود عدد كبير من أهالي محافظة اللاذقية على المذهب الجعفري وعلى اقتراح المفتي العام يرسم ما يلي : المادة الأولى : يُضاف إلى المادة الثالثة من المرسوم التشريعي رقم (٣٣) الفقرة التالية : تُؤلف لجنة خاصة بالجعفرين من علمائهم في مركز محافظة اللاذقية قوامها ثلاثة أشخاص من العلماء الجعفرين ، ويضاف إليهم شخص واحد عن كل قضاء عندما يتعلق البحث في قضائه ويسمى أعضاء هذه اللجنة بقرار من المفتي العام من العلماء الأكفاء مهمتها فحص حالة المتزئنين بالكسوة الدينية على المذهب الجعفري ، والذين يرغبون ارتداء هذه الكسوة ، وإقرار من يحق له الاحتفاظ بها ومنع من تتحقق اللجنة من أنه دخيل على سلك رجال الدين من ارتدائها .  
المادة الثانية : ينشر هذا المرسوم التشريعي ويبلغ من يلزم .»<sup>(٣)</sup>

<sup>(٣)</sup> دمشق في ١٥ / حزيران / ١٩٥٢

الزعيم فوزي سلو

وهذا إقرار من شيخ الطائفة العلوية الأكبر أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي المتوفى عام ٣٤٦ هـ وفي قول آخر عام ٣٥٨ هـ :

«الحمد لله مبدئ الحمد وباريه ومقدّره وقاضيه ، والأمربه وراضيه . وهو الله الذي شهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له في ملكه وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . اللهم أنزل زاكيات صلواتك ، ومكرمات بركاتك ، وتحنّن رأفتك ، وواسع رحمتك ، وطيبات تحياتك ، وفوز جناتك على محمد عبدك ورسولك ونبيك وصفوتك وخيرتك من خلقك ، وعلى أخيه أمير المؤمنين ونور العارفين ، وإمام المتّقين وقائد الغر المحجلين ، وأفضل الوصيّين ، والأئمّة الراشدين .»<sup>(٤)</sup>

هذه هي عقيدة العلويين:

إنهم مسلمون إماميون، كتابهم القرآن الكريم، ودينهم الإسلام الحنيف، ونبیهم الرسول الكريم الأمي محمد بن عبد الله عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

واعتقادهم باثني عشر إماماً من آل البيت الأطهار، أولهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الوصي، الأمين، المرتضى، وآخرهم الإمام محمد بن الحسن (الحجة) الإمام المهدي المنتظر عليهم السلام.

وهم يعتمدون أصول الشريعة الإسلامية ويطبقون أحكامها وفق مذهب الإمام السادس جعفر الصادق عليه السلام.

ويعتقدون ما يعتزون بالإسلام فإنهم يفخرون بعروبتهم وبنسبهم إلى النروة الفراء من العرب، بل يغالون في عروبتهم وكأنهم يريدون أن تكون محتكرة لهم ومختصة بهم وحدهم. قال مؤلف كتاب «العلويون بين الأسطورة والحقيقة»: «العلويون أمة عربية لم تفصل عن العرب والعروبة في عهد من العهود، وقد استطاعت الأيام والحوادث أن تسلبها شوكتها وعزتها لكنها لم تستطع أن تسلبها أنسابها ولا لغتها ولا تاريخها ولا تقاليدها وقد رُزئت في كل شيء إلا في أخلاقها ومزاياها النفسية الحسنة. اصطبغت أكثر الشعوب بشتى الصبغ، وتزينت بمختلف الأزياء ما عدا العلويين، فإنهم لم يصطبغوا بغير صبغتهم العربية ولم يتزوا بغير زبهم الشرقي».<sup>(١٠)</sup>

ويقول الدكتور مصطفى الشكعة مؤلف كتاب «إسلام بلا مذاهب»: «ويتكوّن العلويون من عشائر عربية متعدّدة خالصة جاءت إلى المنطقة (جبال اللاذقية) في شكل هجرات جماعية حيناً، وفردية حيناً آخر وكان أكثر هذه الهجرات بطبيعة الحال وأغزرها في القرنين الرابع والخامس حيث وفد أكثرها من عرب العراق الذين جاؤوا إلى هذه المنطقة واحتموا بجبالها فراراً - على ما نعتقد - من الاضطهاد الذي كان يحلّ ببعض الفرق الغالية».<sup>(١١)</sup>

ومما يؤكّد تمسك العلويين منذ البدء بعروبة الإسلام فتوى العلامة الموحّد الشيخ عيد الصّالح آل يوسف بشمان، وكان ثقة عصره، وذلك عندما اجتمع إليه وجوه الناس من جبال الساحل السوري يسألونه عن الجهة التي يستطيعون الاطمئنان إليها: أمي دولة العثمانيين التي أخذت تمسك بعضا الترحال عنهم، أم هي الفرنجة التي أخذت تمسك بعضا التسلل

إليهم؟ فقال لهم ما معناه: لقد استشاروني فيما إذا كنت أقبل عمل المستشار الديني عنكم لديهم فأبيت، واليوم أقول لكم:

أمن دولة ضاق الحمى بذئابها  
إلى دولة تلطي الأفاعي ببابها  
ولكننا من مسلمين تمسكوا  
بدولة «طوي» آلهة وصحابها

«ويؤكد الشيخ عبد الرحمن الخير عروية العلويين وتمسكهم بالإيمان بالإسلام فيقول: «العلويون مسلمون إماميون وعرب أقحاح، قضت عليهم أسباب جمّة؛ أهمها ضفط بعض الحكام الظالمين في عصور التاريخ الإسلامي أن يتجمعوا في جبال هذه البلاد (جبال اللاذقية) منذ بضعة قرون ونيف ملتجئين من جور السياسة الخرقاء والتعصب الأعمى إلى أحراج البلاد ومعاقلها المانعة، وإلى التكتّم في إقامة شعائرهم الإسلامية الخاصة، والتساهل في التظاهر ببعض شعائر الأقوياء المسيطرين يومئذ حفظاً لكيانهم الطائفي وحققاً لدمائهم، وعلى توالي الأيام أصبح التكتّم شبه غريزة فيهم».

«وأبين ما عرف به العلويون تخصصهم للاشتغال الدائم منذ أقدم أيامهم حتى اليوم بعلم التوحيد؛ أي معرفة الله تعالى بالبراهين العقلية المستندة إلى الشواهد النقلية من نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف وروايات الأئمة من آل الرسول عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام».

**«مؤلفاتهم جميعها تدور تقريباً حول المسائل الآتية بيانها:**

إثبات وجود الخالق سبحانه بالمعقول والمنقول - إثبات النبوة عن طريق البرهان والدليل - إثبات الإمامة بالحجج العقلية والنقلية - اللفظ والمعنى وعلاقتها بصفات الخالق - وجوب صفات الكمال للباري تعالى - تنزيهه عن صفات المحدثات أصل الشر - آداب العبادات والرياضة الروحية - المعاد - حدوث الكون وفناؤه».

«وعصر الانحطاط قد شوّه مظاهر هذه المؤلفات القيمة بالنساخت والتعليق حيث حذف منها وأضيف إليها... ولئن أحجم علماؤنا عن إصلاح ما فيها من غموض خوفاً من سهام النقد أو من تقولات بعض الجهلاء، وهرباً من الظهور والشهرة كما هي عادتهم فإن النشء

المتعلّم تعلّماً صحيحاً، والدارس دراسات عالية صحيحة لا زائفة سيجنح إلى تأدية هذا الواجب الشريف فيؤدي بذلك ما في عنقه من أمانة واجبة التأدية» .

«من كتاب: بقظة المسلمين العلويين في مطلع القرن العشرين ص ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ للشيخ عبد الرحمن الخير» .

## المراجع

- ١ - الهداية الكبرى ص ١٨ .
- ٢ - الهداية الكبرى ص ٢١ .
- ٣ - الهداية الكبرى ص ٢٣ .
- ٤ - الهداية الكبرى ص ٢٩ - ٣٠ ت ٣١ .
- ٥ - العلويون بين الأسطورة والحقيقة ص ١٩٨ .
- ٦ - إسلام بلا مذاهب ، مصطفى الشكعة ص ٣٠٢ .
- ٦ مكرر - مستدرك خير الصنعة ، إبراهيم حرفوش . مخطوط .
- و - معجم المؤرخين العرب ، منذر حمّودي . مخطوط .

## الفصل الثاني

علي بن أبي طالب عليه السلام

من لم يكن علويًا حين تنسبه فعالمه في قديم الدهر مفتخر\*

عندما ينعت شخص نفسه بأنه علوي فإنه يفعل ذلك مباهاةً، ومفاخرةً إذ يذهب بنفسه إلى أنه من أتباع الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، ومن أنصاره، أو من مريديه، وأحبابه، أو من المؤمنين بإمامته ووصايته، ويتسلسل الأئمة من ذريته.

يفخر بعلويته لأن إمامه «عليًا عليه السلام» حاز فضل السبق في كل أمر حسن وجميل وعظيم وكريم وحديد ونبييل. يفخر بمزايا وفضائل الإمام علي عليه السلام فيبجله ويعظمه ويكرمه ويحترمه ويقدره فيسموه ويتسامق بعظمته وفضله، ويجلّ علمه وفقهه وتمكنه في دينه، ويعجب بشجاعته وقوته وقدراته القتالية الفائقة. والإنسان معجب بأخيه الإنسان إذا كان يمتلك مزية تميزه عن أقرانه ونظرائه، فكيف إذا كان يملك مزايا جمّة تكاد لا تعد ولا تحصى كالميزات التي كان يمتلكها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. والناس يفتنون بالبطل في كل صورة من صور البطولة، فكيف إذا كان البطل علي عليه السلام يمتلك كل صور البطولة وأزهى هذه الصور الشجاعة والإقدام والقوة والعلم والبلاغة والفصاحة والعدل والزهد والمساواة بين الناس، والفقّه في الدين، والقناعة. . .

ولأعذبك إلى الوراء إلى بدايات الإسلام الأولى: هذا شيخٌ جليل القدر، مهابٌ يستند إلى جدار الكعبة ويجواره رجل اسمه عُفَيْف الكندي يحاوره، ويسأله عن مكّة وأحوالها لأنه ليس من أبنائها، الشيخُ الجليل هو أبو طالب زعيم أسرة بني هاشم وكبيرها وسيدّها وممثلّها بين عائلات مكّة الغنيّة المترفة في جاهليّة العرب قبل الجهر بدعوة الإسلام بقليل. وينظر عُفَيْف الكندي أمامه فيرى ثلاثة أشخاص يصلّون في حجر الكعبة بصلاة لم يرها في قريش من قبل فيسأل الشيخ مستغرباً أمر صلاة الثلاثة فيجيبه أبو طالب:

---

♦ أبو النّوّاس الحسن بن هانئ



## أتدري من هؤلاء؟

فقال عُفَيْفٌ: لا . ويقول الشيخ: هذا ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وهذا ابني علي بن أبي طالب، وهذه المرأة خلفهما خديجة بنت خويلد زوجة محمد ابن أخي، وإيم الله، ما أعلم على الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة. <sup>(٧)</sup>

لَمْ كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ صَغِيرٌ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَمْ يَكُنْ مَعَ وَالِدِهِ وَيَجْوَارُهُ؟

لأن محمداً ﷺ ضَمَّ عَلِيّاً إِلَيْهِ وَهُوَ صَغِيرٌ بِسَبَبِ أُرْمَةِ اقْتِصَادِيَةِ أَصَابَتْ قَرِشاً وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ ذَا عِيَالٍ كَثِيرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ، وَكَانَ مِنْ أَيْسَرِ بَنِي هَاشِمٍ: يَا عَبَّاسُ: إِنْ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرَ الْعِيَالِ، وَقَدْ تَرَى مَا أَصَابَ النَّاسَ مِنْ هَذِهِ الْأُرْمَةِ، فَانْطَلِقْ بِنَا فَلْنُخَفِّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ، أَخِذْ مِنْ بَيْتِهِ وَاحِداً وَتَأْخُذْ وَاحِداً فَتُكْفِيهِمَا عَنْهُ. فَقَالَ الْعَبَّاسُ: نَعَمْ.

فَانْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا أَبَا طَالِبٍ فَقَالَا لَهُ: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُخَفِّفَ عَنْكَ مِنْ عِيَالِكَ حَتَّى يَنْكُشَفَ عَنِ النَّاسِ مَا هُمْ فِيهِ.

فَقَالَ لَهُمَا: إِنْ تَرَكْتُمَا لِي عَقِيلاً فَاصْنَعَا مَا شِئْتُمَا. فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَأَخَذَ الْعَبَّاسُ جَعْفراً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَضَمَّهُ إِلَيْهِ.

فَلَمْ يَزَلْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَآلِهِ حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ نَبِيّاً فَاتَّبَعَهُ (عَلِيٌّ) عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَقْرَبَهُ وَصَدَّقَهُ، وَلَمْ يَزَلْ جَعْفَرٌ عِنْدَ الْعَبَّاسِ حَتَّى أَسْلَمَ وَاسْتَفْنَى عَنْهُ. <sup>(٨)</sup>

وَرَوَى عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرَى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الرِّسَالَةِ الضُّوْءَ وَيَسْمَعُ الصَّوْتَ، وَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«لَوْلَا أَنِّي خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ لَكُنْتُ شَرِيكاً فِي النَّبُوَّةِ، فَإِنْ لَا تَكُنْ نَبِيّاً فَإِنَّكَ وَصِيٌّ نَبِيٍّ وَوَارِثُهُ، بَلْ أَنْتَ سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ وَإِمَامُ الْأَتَقِيَاءِ». <sup>(٩)</sup>

نعم لقد كانت تربية عليٍّ عليه السلام على يدِ فاضلة رحمة ونورا.

لقد ضَمَّ الرسول الكريم ﷺ عَلِيّاً إِلَيْهِ فَتَنَشَأُ فِي بَيْتِهِ يَشْرَفُ عَلَى تَرْبِيَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ وَتَدْرِيْبِهِ وَإِعْدَادِهِ لِمُسْتَقْبَلٍ عَظِيمٍ سَيَقُومُ عَلَى شَجَاعَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَذِكَاثِهِ وَفُطْنَتِهِ. لَقَدْ أَحَبَّ عَلِيٌّ ﷺ مُحَمَّدًا ﷺ حُبًّا جَمًّا فَقَلَّدَهُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَالتَزَمَهُ فِي عَسْرِهِ وَسُرِّهِ، وَصَدَّقَهُ وَأَمَّنَ بِهِ حِينَمَا عَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ وَاتَّشَى فَخَرَّأَ وَهُوَ يَصْلِي وَرَاءَهُ فِي وَقْتِ كُفْرِهِ قَوْمُهُ وَكَذَّبُوهُ

بجبل القرآن، يُحيون سنن الله، وسُنن رسوله، لا يستكبرون ولا يعلّون، ولا يَفْلُتون ولا يُفسدون قلوبهم في الجنان، وأجسادهم في العمل. (١٣)

وقال علي عليه السلام متحدثاً عن نفسه:

«نحن الشعارُ والأصحاب، والخزنة والأبواب؛ ولا توتى البيوت إلا من أبوابها؛ فمن أتاها من غير أبوابها سُمي سارقاً».

قال ابن أبي الحديد: وهذا حقٌّ ظاهرٌ وباطنٌ؛ أمّا الظاهرُ فلأن من يتسوّر البيوت من غير أبوابها هو السارق، وأمّا الباطنُ فلأن من طلب العلم من غير أستاذٍ محقّقٍ فلم يأتِه من بابِه فهو أشبه شيءٍ بالسارق. (١٤)

وذكر ابن أبي الحديد الأحاديث والأخبار الواردة في فضائل علي عليه السلام، منقولة عن أئمة الحديث وعلمائه الذين لا يتهمون فيه. (١٥)

الخبر الأول: «يا علي إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إليه منها، هي زينة الأبرار عند الله تعالى: الزهد في الدنيا جعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حبّ المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعاً؛ ويرضون بك إماماً». رواه أبو نعيم الحافظ في كتابه المعروف بـ (حلية الأولياء) وزاد فيه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في المسند: «فطوبى لمن أحببك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك».

الخبر الثاني: قال لوفد ثقيف: «لتسلمنَّ أو لأبعثنَّ إليكم رجلاً مني، أو قال: عديل نفسي، فليضرينَّ أعناقكم وليسبينَّ ذرايكم، وليأخذنَّ أموالكم». قال عمر: «فما تمّنت الإمارة إلا يومئذ، وجعلت أنصب له صدري رجاء أن يقول: هو هذا. فالتفت فأخذ بيد (علي) وقال: هو هذا...! مرتين».

رواه أحمد في المسند ورواه في كتاب (فضائل علي) عليه السلام أنه قال: «لتتهنَّ يا بني وليمة أو لأبعثنَّ إليكم رجلاً كنفسِي يمضي فيكم أمرِي يقتل المقاتلة ويسبي الذرية» قال أبو ذر: فما راعني إلا برد كَفِّ عمر في حُجرتي (موضع الإزار) من خلفي يقول: مَنْ تراه يعني؟ فقلت: إنه لا يعنيك وإنما يعني خاصف النعل. وإنه قال: «هو هذا».

الخبر الثالث: «إن الله عهد إليّ في عليّ عهداً، فقلت: يا ربّ بيّنه لي، قال: اسمع، إن عليّاً راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين».

مَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحْبَبَنِي، وَمَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ أَطَاعَنِي فَبَشِّرْهُ بِذَلِكَ . فقلت : قد بَشَّرْتَهُ يَا رَبِّ ، فقال : أنا عبد الله وفي قبضته ، فَإِنْ يَعَذِّبَنِي فَيَذْنُوبِي لَمْ يَظْلَمْ شَيْئاً ، وَإِنْ يَتِمَّ لِي مَا وَعَدَنِي فَهُوَ أَوْلَى ؛ وقد دعوت له فقلت : اللَّهُمَّ اجْلُ قَلْبِهِ ، واجعل ريعه الإيمان بك قال : قد فعلت ذلك ، غير أنني مختصّه بشيء من البلاء لم أختصّ به أحداً من أوليائي . فقلت : ربّ أخي وصاحبي ! . . قال : إنه سبق في علمي ، إنه لم يتل ومُتَلَى . ذكره أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء ، عن أبي برزة الأسلمي ثم رواه بإسناد آخر عن أنس بن مالك ولفظ آخر : «إِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَهْدَ فِي عَلِيٍّ ، إِلَيَّ عَهْدٌ إِنَّهُ رَايَةَ الْهُدَى وَمَنَارَ الْإِيمَانِ وَإِمَامَ أَوْلِيَائِي ، وَنُورَ جَمِيعٍ مِنْ أَطَاعَنِي ، إِنَّ عَلِيّاً أَمِينِي غَدّاً فِي الْقِيَامَةِ وَصَاحِبَ رَايَتِي ، يَدُ عَلِيٍّ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ رَحْمَةِ رَبِّي» .

الخبر الرابع: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى نُوحٍ فِي عِزِّهِ ، وَإِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ ، وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي حِلْمِهِ ، وَإِلَى مُوسَى فِي فُطْنَتِهِ ، وَإِلَى عِيسَى فِي زَهْدِهِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» رواه أحمد بن حنبل في المسند ورواه البيهقي في صحيحه .

الخبر الخامس: «مَنْ سَرَّ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي ، وَيَمُوتَ مِيتِي ، وَيَتَمَسَّكَ بِالْقَضِيبِ مِنَ الْبَاقُوَةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهَا : كُونِي فَكَانَتْ ، فَلْيَتَمَسَّكَ بِوَلَاءِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» . ذكره أبو نعيم الحافظ في كتاب حلية الأولياء ورواه ابن حنبل في كتاب «المسند» وفي فضائل عليّ بن أبي طالب وحكاية لفظ أحمد رضي الله عنه : «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِالْقَضِيبِ الْأَحْمَرِ الَّذِي غَرَسَهُ اللَّهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ يَمِينِهِ ، فَلْيَتَمَسَّكَ بِحَبِّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» .

الخبر السادس: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ لَا أَنْ تَقُولَ طَوَائِفُ مَنْ أَمَنِي فِيكَ مَا قَالَتِ النَّصَارَى فِي ابْنِ مَرْيَمَ ، لَقُلْتُ الْيَوْمَ فِيكَ مَقَالاً لَا تَمُرُّ بِمَلَأَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا أَخَذُوا التُّرَابَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْكَ لِلْبَرَكَةِ» . ذكره ابن حنبل في المسند .

الخبر السابع: خرج النبي ﷺ وآله على الحجيج عشية عرفة فقال لهم : «إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَاهَى بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ عَامَّةً ، وَغَفَرَ لَكُمْ عَامَّةً ، وَبَاهَى بِعَلِيٍّ خَاصَّةً ، وَغَفَرَ لَهُ خَاصَّةً إِنَِّّي قَائِلٌ لَكُمْ قَوْلًا غَيْرَ مُحَابٍ فِيهِ لِقَرَابَتِي ، إِنَّ السَّعِيدَ كُلَّ السَّعِيدِ ، حَقَّ السَّعِيدِ مِنْ أَحَبِّ عَلِيٍّ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ» . رواه أحمد بن حنبل في كتاب فضائل عليّ عليه السلام وفي المسند أيضاً .

الخبر الثامن: رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في الكتابين المذكورين :

وأذوه حينما دعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، وكان ينافح عنه بلسانه ويده وسيفه، فهو في المعارك دائماً يراه أمامه وخلفه ويمينه ويساره، مانعاً الأعداء من الاقتراب منه وبخاصة في موقعة (أحد) حيث أبعد عنه الذين هجموا عليه يريدون قتله والتخلص منه فلم يصلوا للرسول الكريم لأنّ عليّاً عليه السلام كان يردهم قبل أن يصلوا إليه ويجندلهم قبل أن يتناولوه بطعنة رمح أو ضربة سيف.

وفي كل موقعة كان يقتل أعداء الإسلام حيث قتل في معركة «بدر» نصف قتلى المشركين.

في هذه المعركة قتل ٢٢ شخصاً منهم، وقتل باقي المسلمين العدد الآخر. وفي «أحد» قتل مثل هذا العدد، وقد جندل في معركة «الخدق» بطل قریش عمرو بن ود\* مما أكسبه مكانة كبيرة في قلوب المسلمين فأحبّوه وأعجبوا به وأعلوا من شأنه لصفاته الجمّة الحميدة التي كان يتمتع بها ولقربه من الرسول ﷺ الذي كان يعتمد عليه في تدليل الصعاب وقهر المشركين.

وعندما نزل قول الله تعالى في الحديث عن النبي موسى عليه السلام وأخيه هارون: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي. هارون أخي أشد به أئزري. وأشركه في أمري﴾ قال النبي ﷺ وآله في الخبر المجمع على روايته بين سائر فرق الإسلام، قال لعليّ:

«أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». فأثبت له جميع مراتب هارون عن موسى. فأذن هو وزير رسول الله ﷺ وآله، وشادّ أزره، ولولا أنه كان خاتم النبيين لكان شريكاً في أمره. (١٠)

وروى أبو جعفر الطبري: أن رجلاً قال لعليّ عليه السلام يا أمير المؤمنين، بم ورث ابن عمك؟ فقال عليّ عليه السلام هاؤم، ثلاث مرّات حتى اشرأب الناس، ونشروا أذانهم، ثم قال:

جمع رسول الله ﷺ وآله بني عبد المطلب بمكة وهم رهطه كلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق، فصنع مدّاً من طعام حتى أكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو، كأنه لم يُمس، ثم دعا بغمّر (قدح صغير) فشربوا ورووا، وبقي الشراب كأنه لم يشرب، ثم قال: يا بني عبد

♦ كان عمر بن ود يترس بحصانة إذا فقد ترسه (بحسب كتاب سيف الله) للجنرال الباكستاني أكرم

المطلب ، إني بُعثت إليكم خاصة ، وإلى الناس عامة ، فأياكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي؟ فلم يقم إليه أحد ، فقامت إليه ، وكنت من أصغر القوم ، فقال : اجلس ثم قال ذلك ثلاث مرات ، كل ذلك أقوم إليه فيقول : اجلس ، حتى كان في الثالثة فضرب بيده على يدي فعند ذلك ورثتُ ابن عمي دون عمي .<sup>(١١)</sup>

وخطب الإمام علي عليه السلام مرة فقال :

«ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله لَمَّا أتاه الملا من قريش فقالوا له : يا محمد إنك قد ادّعت عظيمًا لم يدعه أبائك ولا أحد من بيتك ، ونحن نسألك أمرًا إن أنت أجبتنا إليه وأرئتاه ، علمنا أنك نبيٌّ ورسول ، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحرٌ كذابٌ . فقال صلى الله عليه وآله : وما تسألون؟

قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك .

فقال ﷺ وآله: إن الله على كل شيء قدير ، فإن فعل الله لكم ذلك ، أتؤمنون وتشهدون بالحق؟

قالوا: نعم .

قال: فإني سأريكم ما تطلبون ، وإني لأعلم أنكم لا تغيثون إلى خير ، وأن فيكم من يُطرح في القلب ، ومن يُحزَّب الأحزاب . ثم قال ﷺ وآله : يا أيُّها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر ، وتعلمين أني رسول الله فانتقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي بإذن الله .

والذي بعثه بالحق لا تنقلعت بعروقها ، وجاءت ولها دويٌّ شديد ، وقصفٌ كقصف أجحة الطير ، حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ وآله مرفرفةً وألقت بفصنها الأعلى على رسول الله ﷺ وآله وبيعض أغصانها على منكبي ؛ وكنت عن يمينه ﷺ وآله ، فلما نظر القوم إلى ذلك ، قالوا علواً واستكباراً : فمرُّها فليأتك نصفُها ؛ وبقي نصفُها ، فأمرها ، فأقبل إليه نصفُها كأعجب إقبال وأشدّه دويّاً ، فكادت تلتف برسول الله ﷺ وآله ، فقالوا كفراً وعتواً : فمرُّ هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان ، فأمره ﷺ وآله ، فرجع ، فقلت أنا : لا إله إلا الله ؛ إني أول مؤمن بك يا رسول الله ، وأول من أقر بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوته وإجلالاً لكلمتك . فقال القوم كلهم : بل ساحرٌ كذاب ، عجيب السحر خفيف فيه ؛ وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا؟ - يعنوني ، وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم ؛ سيماهم سيما الصديقين ، وكلامهم كلام الأبرار ؛ عمَّار الليل ، ومنار النهار ، متمسكون

«أنا أول من يُدعى به يوم القيامة، فأقوم عن يمين العرش في ظله، ثم أكسى حلة، ثم يُدعى بالنيبين بعضهم على أثر بعض فيقومون عن يمين العرش ويكسون حُللاً ثم يُدعى بعليّ بن أبي طالب لقربته منّي ومنزله عندي ويُدفع إليه لوائه، لواء الحمد، آدم ومن دونه تحت ذلك اللواء» ثم قال لعليّ: «تسير به حتى تقف بيني وبين إبراهيم الخليل ثم تُكسى حلة وينادي مناد من العرش: نعم العبد، أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك عليّ!.. أبشر فإنك تُدعى إذا دُعيت، وتُكسى إذا كُسيّت، وتُحيّا إذا حيّيت».

الخبر التاسع: «يا أنس اسكب لي وضوءاً» ثم قام فصلّى ركعتين، ثم قال: «أول من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتّقين، وسيد المسلمين، ويعسوب الدين، وخاتم الوصيين، وقائد الفرّ المُجَلّين». قال أنس: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، وكتبته دعوتي فجاء «عليّ» فقال صلى الله عليه وسلّم: من جاء يا أنس؟ فقلت: عليّ. فقام إليه مستبشراً، فاعتقه ثم جعل يمسح عرق وجهه. فقال عليّ: يا رسول الله صلى الله عليه وآلك؛ لقد رأيت منك اليوم تصنع بي شيئاً ما صنعت به قبل!.. قال: «وما يمنني وأنت تؤدّي عني، وتسمعهم صوتي، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي!..». رواه أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء.

الخبر العاشر: «ادعوا لي سيّد العرب عليّاً» فقالت عائشة: أأنت سيّد العرب؟ فقال: «أنا سيّد ولد آدم، وعليّ سيّد العرب» فلما جاء أرسل إلى الأنصار فأتوه فقال لهم: «يا معشر الأنصار إلّا أدلكم على ما إن تمسّكم به لن تضلّوا أبداً؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «هذا عليّ، فأحبّوه بحبي، وأكرموا بكرامتي، فإن جبرائيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عزّ وجلّ». رواه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء.

الخبر الحادي عشر: «مرحباً بسيّد المؤمنين وإمام المتّقين!..» فقبل لعليّ عليه السلام كيف شكرك؟ فقال: «أحمد الله على ما آتاني وأسأله الشكر على ما أولاني، وأن يزيدي مما أعطاني». ذكره صاحب الحلية أيضاً.

الخبر الثاني عشر: «من سرّه أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن التي غرسها ربّي فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتدوا بالأئمة من بعدي فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهماً وعلماً، فويل للمكذّبين من أمّتي!..» القاطعين فيهم صِلتي، لا أنا لهم الله شفاعتي». ذكره صاحب الحلية أيضاً.

الخبر الثالث عشر: بعث رسول الله ﷺ وآله خالد بن الوليد في سرية ويبحث علياً ﷺ في سرية أخرى، وكلاهما إلى اليمن وقال: «إن اجتمعتما «فعلي» على الناس، وإن افترقتما فكل واحد منكما على جنده». فاجتمعا وأغارا، وسبوا نساءً، وأخذوا أموالاً، وقتلوا أناساً وأخذ «علي» جارية فاختصها لنفسه فقال خالد لأربعة من المسلمين: منهم بريدة الأسلمي: اسبقوا إلى رسول الله ﷺ فاذكروا له كذا، واذكروا له كذا، لأمر عددها على «علي» فسبقوا إليه، فجاء واحد من جانبه فقال: إن علياً فعل كذا فأعرض عنه، فجاء الآخر من الجانب الآخر فقال: إن «علياً» فعل كذا، فأعرض عنه، فجاء بريدة الأسلمي فقال: يا رسول الله إن «علياً» فعل ذلك فأخذ جارية لنفسه، فغضب صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجهه وقال: «دعوا لي علياً!.. يكررها، إن علياً مني وأنا من علي»، وإن حفظه في الخمس أكثر مما أخذ. وهو ولي كل مؤمن من بعدي». رواه ابن حنبل في المسند غير مرة.

رواه في كتاب «فضائل علي» ورواه أكثر المحدثين.

الخبر الرابع عشر: «كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم قسم ذلك فيه وجعله جزأين، فجزة أنا، وجزة علي». رواه أحمد في «المسند» وفي كتاب «فضائل علي» ﷺ وذكره صاحب كتاب الفردوس وزاد فيه: «ثم انتقلنا حتى صرنا في عبد المطلب فكان لي النبوة ولعليّ الوصية».

الخبر الخامس عشر: «النظر إلى وجهك يا عليّ عبادة، أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة. من أحببك أحبني وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، الويل لمن أبغضك!..» رواه أحمد في «المسند». قال: وكان ابن عباس يفسره ويقول: إن من ينظر إليه يقول: سبحان الله ما أعلم هذا الفتى!.. سبحان الله ما أشجع هذا الفتى!.. سبحان الله ما أفصح هذا الفتى!..

الحديث السادس عشر: لما كانت ليلة بدر، قال رسول الله ﷺ وآله: «من يستقي لنا ماء؟» فأحجم الناس، فقام علي فاحتضن قرية ثم أتى بئر أبيبة القعر مظلمة، فانحدر فيها، فأوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل: أن تأهبوا لنصر محمد وأخيه وحزبه، فهبطوا من السماء لهم لغط يذعر من يسمعه، فلما حاذوا البئر سلموا عليه من عند آخرهم إكراماً له وإجلالاً. رواه أحمد في كتاب فضائل علي ﷺ وزاد فيه في طريق أخرى عن أنس بن

مالك : «لَتَوْتَيْنَ يَا عَلِيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنَاقَةٍ مِنْ نَوْقِ الْجَنَّةِ فَتَرْكِبُهَا ، وَرَكْبَتِكَ مَعَ رَكْبَتِي ، وَفَخْذُكَ مَعَ فَخْذِي حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ» .

الحديث السابع عشر: خطب صلى الله عليه وآله الناس يوم الجمعة فقال : «أيها الناس : قَدِّمُوا قَرِيشًا وَلَا تَقْدِّمُوهَا ، وَتَعَلَّمُوا مِنْهَا وَلَا تَعْلَمُوهَا ، قُوَّةَ رَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ تَعْدِلُ قُوَّةَ رَجُلَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَأَمَانَةَ رَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ تَعْدِلُ أَمَانَةَ رَجُلَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ أَوْصِيكُمْ بِحُبِّ قَرِيْبَاهَا : أَخِي وَابْنِ عَمَّتِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، لَا يَحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ ، مَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحْبَبَنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ فَقَدْ أَبْغَضَنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَنِي غَضِبَ اللَّهُ بِالنَّارِ» . رواه أحمد رضي الله عنه في كتاب «فضائل عليّ عليه السلام» .

الحديث الثامن عشر: «الصَّديقون ثلاثة : حبيب النجَّار الذي جاء من أقصى المدينة يسمى ، ومؤمن آل فرعون الذي كَانَ يَكْفُمُ إِيْمَانَهُ ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ أَفْضَلُهُمْ» . رواه أحمد في كتاب فضائل عليّ عليه السلام .

الحديث التاسع عشر: «أُعْطِيتُ فِي عَلِيٍّ خَمْسًا مِنْ أَحَبِّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا : أَمَّا وَاحِدَةٌ فَهُوَ كَابٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ حِسَابِ الْخَلَائِقِ . وَأَمَّا الثَّانِيَةُ : فَلَوَاءَ الْحَمْدُ بِيَدِهِ ، أَدَمٌ وَمَنْ وَلَدَ تَحْتَهُ . وَأَمَّا الثَّالِثَةُ : فَوَاقِفٌ عَلَى عَقْرِ (مَوْخِرِ الْحَوْضِ) حَوْضِي يَسْقِي مِنْ عَرَفٍ مِنْ أُمَّتِي . وَأَمَّا الرَّابِعَةُ : فَسَاتِرُ عَوْرَتِي وَمُسْلِمِي إِلَى رَبِّي . وَأَمَّا الْخَامِسَةُ : فَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْهِ أَنْ يَعُودَ كَافِرًا بَعْدَ إِيْمَانٍ وَلَا زَانِيًا بَعْدَ إِحْصَانٍ» رواه أحمد في «كتاب الفضائل» .

الحديث العشرون: كانت لجماعة من الصحابة أبواب شارعة في مسجد رسول الله ﷺ وآله فقال عليه الصلاة والسلام يوماً : «سَدُّوا كُلَّ بَابٍ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا بَابَ عَلِيٍّ» فَسُدَّتْ . فقال في ذلك قوم حتى بلغ رسول الله ﷺ وآله فقام فيهم فقال : «إِنَّ قَوْمًا قَالُوا فِي سَدِّ الْأَبْوَابِ وَتَرْكِي بَابِ عَلِيٍّ ، إِنِّي مَا سَدَدْتُ وَلَا فَتَحْتُ ، وَلَكِنِّي أَمَرْتُ بِأَمْرِ فَاتَّبَعْتُهُ» . رواه أحمد في المسند مراراً وفي كتاب الفضائل .

الحديث الحادي والعشرون: دعا صلى الله عليه وآله علياً في غزاة الطائف فاتجاه ، وأطال نجواه حتى كره قوم من الصحابة ذلك ، فقال قائل منهم : لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه ، فبلغه عليه الصلاة والسلام ذلك فجمع منهم قوماً ثم قال : «إِنَّ قَائِلًا قَالَ : لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه ، أَمَا إِنِّي مَا أَتَجَبَّيْتُ وَلَكِنِ اللَّهُ أَتَجَاهُ» . رواه أحمد رحمه الله في المسند .



• الحديث الثاني والعشرون: أخصمك (أغلبك) يا عليّ بالنبوة فلا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع لا يجاحد فيها أحد من قريش: أنت أولهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسوية، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم عند الله منزلة. رواه الحافظ في حلية الأولياء.

الحديث الثالث والعشرون: قالت فاطمة: إنك زوجتني فقيراً لا مال له فقال: «زوجتك أقدمهم سلماً وأعظمهم حُلماً، وأكثرهم علماً». إلا تعلمين أن الله أطلع إلى الأرض أطلاعةً فاختار منها أباك، ثم أطلع إليها ثانية فاختار منها بعلك». رواه أحمد في المسند.

الحديث الرابع والعشرون: لما أنزل: «إذا جاء نصر الله والفتح» بعد انصرافه عليه السلام من غزاة (حنين) جعل يكثر من «سبحان الله!». استغفر الله! ثم قال: «يا عليّ إنه قد جاء ما وعدت به، جاء الفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا، وإنه ليس أحد أحق منك بمقامي، لقدّمك في الإسلام، وقربك مني، وصهرك، وعندك سيّدة نساء العالمين؛ وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن فأنا حريصٌ على أن أراعي ذلك لولده». رواه أبو إسحق الثعلبي في تفسير القرآن.

أورد ابن أبي الحديد هذه الأحاديث من كتب أئمة وعلماء السنة وابتعد عن إيرادها من كتب الشيعة كي لا يتهم بالانحياز. وهو المعتزليّ السنيّ. إلى المتشيعين والموالين للإمام عليّ عليه السلام ثم أردفها بالتعليق الحقّ التالي: فأردنا بإيراد هذه الأخبارها هنا عند تفسير قوله: «نحن الشعار والأصحاب ونحن الخزنة والأبواب» أن تُنبّه على عظم منزلته عند الرسول صلى الله عليه وآله، وأن من قيل في حقّه ما قيل لورقي إلى السماء وعرج في الهواء، وفخر على الملائكة والأنبياء تعظماً وتبجّحاً؛ لم يكن ملوماً بل كان بذلك جديراً.<sup>(١٥)</sup>

هذه الأحاديث الشريفة هي غيضٌ من فيض، وأفنانٌ من دوحة عظيمة شامخة بذروتها وباسقة بفروعها تدلّ بجذورها الثابتة المتغلغلة في الصعيد، وتفخر بشمارها التي هي الذّ ثمار وأطيب فاكهة، وأغلى جني ومحصول.

وعند الشيعة الكثير الكثير ممّا قاله سيّد المرسلين محمد ﷺ وآله في سيّد الأوصياء وإمام المتقين عليّ عليه السلام وسأورد بعضاً منها يشير إلى وصايته وإمامته وولايته وإلى تنابع

الأئمة من عترته وأسرته الشريفة الطاهرة المكرّمة . وقد اصطفيت هذه الأحاديث من (كتاب المراجعات) لسماحة الإمام السيّد: عبد الحسين شرف الدين الموسوي .

الحديث الأوّل: أخرج الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ في كتابه (كمال الدين وإتمام النعمة) بالإسناد إلى عبد الرحمن بن سمرة من حديث عن رسول الله ﷺ جاء فيه : «يا بن سمرة إذا اختلفت الأهواء وتفرقت الآراء فعليك بعلي بن أبي طالب فإنّه إمام أمّتي وخليفتي عليهم من بعدي» .<sup>(١)</sup>

الحديث الثاني: أخرج الصدوق في «الإكمال» أيضاً بسنده إلى الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام : أن رسول الله ﷺ قال : «حدّثني جبرائيل عن ربّ العزة جلّ جلاله أنّه قال : (من علم أن لا إله إلا أنا وحدي ، وأنّ محمداً عبدي ورسولي وأنّ عليّ بن أبي طالب خليفتي وأنّ الأئمة من ولده حجّجي أدخلته الجنة» .

الحديث الثالث: أخرج الصدوق في «الإكمال» أيضاً بسنده إلى الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه قال : قال رسول الله ﷺ وآله : «الأئمة بعدي اثنا عشر أولهم عليّ ، وآخرهم القائم ، هم خلفائي وأوصيائي» .

الحديث الرابع: أخرج الصدوق في الإكمال أيضاً بالإسناد إلى الأصمغ بن نباتة قال : خرج علينا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ذات يوم ، ويده في يداينه الحسن ، وهو يقول : خرج علينا رسول الله ذات يوم ويده في يدي هكذا وهو يقول : «خير الخلق وسيدهم بعدي أخي هذا ، وهو إمام كلّ مسلم وأمير كلّ مؤمن بعد وفاتي» .

الحديث الخامس: أخرج الصدوق في الإكمال أيضاً بسنده إلى الإمام (الرضا) عليه السلام عن أبيه عن آبائه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ من حديث قال فيه : «وأنا وعليّ أبوا هذه الأمة ، من عرفنا فقد عرف الله ، ومن أنكرنا فقد أنكر الله عزّ وجلّ ، ومن عليّ سبّط أمّتي وسيّد شباب أهل الجنة الحسن والحسين ، ومن ولد الحسين تسعة طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي ، تأسعهم قائمهم ومهديهم» .

الحديث السادس: أخرج الصدوق في «الإكمال» بالإسناد إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن أبيه عن آبائه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ من حديث قال فيه : «يا بن مسعود: عليّ بن أبي طالب إمامكم بعدي وخليفتي عليكم» .

الحديث السابع: أخرج الصدوق في الإكمال أيضاً بالإسناد إلى سلمان قال: دخلت على النبي ﷺ فإذا الحسين بن عليّ على فخذه وهو يلثم فاه ويقول: «أنت سيد ابن سيد، أنت إمام ابن إمام، أخو إمام، أبو الأئمة، وأنت حجة الله وابن حجته، وأبو حجج تسعة من صلبك، تاسعهم قائمهم».

الحديث الثامن: أخرج الصدوق في الإكمال بالإسناد إلى الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل اختارني من جميع الأنبياء. واختار مني علياً وفضلته على جميع الأوصياء واختار من عليّ الحسن والحسين. واختار من الحسين الأوصياء من ولده ينفون عن الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الضالين».

الحديث التاسع: أخرج الصدوق في الإكمال عن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ: «الأئمة بعدي اثنا عشر، أولهم أنت يا عليّ، وآخرهم القائم الذي يفتح الله عز وجل على يديه مشارق الأرض ومغاربها».

الحديث العاشر: أخرج الصدوق في أماليه بسنده إلى ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ وآله: «معاشر الناس من أحسن من الله قليلاً؟ إن ربكم جلّ جلاله أمرني أن أقيم لكم علياً علماً وإماماً وخليفةً ووصياً وإن أتخذته أخاً ووزيراً».

الحديث الحادي عشر: أخرج الصدوق أيضاً في أماليه بسنده إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: خطبنا رسول الله ﷺ وآله ذات يوم فقال: «أيها الناس إنه قد أقبل شهر الله، ثم ساق الحديث في فضل شهر رمضان قال عليّ عليه السلام فقلت يا رسول الله: ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ قال: الورع عن محارم الله ثم بكى، فقلت يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: يا عليّ أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر إلى أن قال: يا عليّ أنت وصيّي، وأبو ولدي، وخليفتي على أمّتي في حياتي وبعد موتي، أمرك أمري، ونهيك نهبي».

الحديث الثاني عشر: أخرج الصدوق في أماليه أيضاً عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ وآله: «يا عليّ أنت أخي وأنا أخوك أنا المصطفى للنبوّة، وأنت المجتبي للإمامة، أنا صاحب التنزيل وأنت صاحب التأويل، وأنت أبو هذه الأمة يا عليّ أنت وصيّي وخليفتي ووزير ي ووارثي وأبو ولدي».

**الحديث الثالث عشر:** أخرج الصدوق في أماليه بسنده إلى الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ وآله قال: «عليّ مني وأنا من عليّ، قاتل الله من قاتل عليّاً، عليّ إمام الخليقة بعدي».

**الحديث الرابع عشر:** أخرج شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في أماليه بسنده إلى عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ وآله لعليّ: «إن الله زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحبّ إلى الله منها، زينك بالزهد في الدنيا فجعلك لا ترزأ منها شيئاً ولا ترزأ منك شيئاً. ووهب لك حبّ المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعاً ويرضون بك إماماً، فطوبى لمن أحبّك، وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك».

ونختم هذه الأخبار والأحاديث بخبر وحديث يستند إليهما العلويون والشيعة جميعاً في الاستدلال على إمامة وولاية وخلافة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام أعلنه رسول الله ﷺ وآله في آخر حجة قام بها إلى الكعبة المشرفة ونعني بها «حجة الوداع»، حيث خطب في أكثر من مئة ألف مسلم في مكان يدعى (غدِير خَم) وفي اليوم الثامن عشر من ذي الحجة بالتحديد منصرفه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وقد اجمع الشيعة والسنة على الخبر ولكن بعض أعلام السنة لا يأخذون ببعض فقرات من الحديث.

أخرج الطبراني وغيره بسند مجمع على صحته عن زيد بن أرقم قال: خطب رسول الله ﷺ بغدير خم تحت شجرات فقال: «أيها الناس يوشك أن أدعى فأجيب وإني مسؤول وإنكم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجاهدت ونصحت فجزاك الله خيراً. فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق وأن ناره حق، وأن الموت حق، وأن البعث حق بعد الموت، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى، نشهد بذلك. قال: اللهم أشهد. ثم قال: يا أيها الناس: إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين وأنا أوكى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه يعني عليّاً، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. ثم قال: يا أيها الناس إني قرطكم وإنكم واردون عليّ الحوض حوض أعرض ممّا بين بصري إلى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة وإني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين كيف تخلفوني فيهما: الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفة بيد الله تعالى وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تزلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يرثي عليّ الحوض».<sup>(١٧)</sup>

وأخرج الإمام أحمد من حديث البراء بن عازب عن طريقين قال: كتب مع رسول الله فنزلنا «بغدير خم» فتودي فينا: الصلاة جامعة وكُسح لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد عليّ فقال: أستم تعلمون أنني أولي بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. قال: أستم تعلمون أنني أولي بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى. قال فأخذ بيد عليّ فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، قال فلقبه عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيّت مولى كل مؤمن ومؤمنة.

ويرى الشيعة أن (حديث الغدير) كان محلّ العناية من الله عزّ وجلّ إذ أوحاه تبارك وتعالى إلى نبيّه صلى الله عليه وسلم وأنزل فيه قرآناً يرتله المسلمون أثناء الليل وأطراف النهار، يتلونه في خلواتهم وجلواتهم، وفي أورادهم وصلواتهم؛ وعلى أعواد منابرهم وعوالي منابرهم «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» [سورة المائدة، الآية: ٦٧].

فلما بلغ الرسالة يومئذ بنّصه على عليّ بالإمامة وعهده إليه بالخلافة أنزل الله عزّ وجلّ «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً». (١٨)

وقد روي أن أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام في خلافته جمع الناس في الرّجّة في الكوفة فقال: أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما قال إلا قام فشهد بما سمع ولا يقيم إلا من رآه بعينه وسمعه بأذنيه فقام ثلاثون صحابياً فيهم اثنا عشر بدرية فشهدوا أنّه أخذ بيده فقال للناس «الحديث السابق» ولكن ثلاثة من الحاضرين أقعدهم بغض للإمام عليّ عليه السلام عن القيام بواجب الشهادة كانس بن مالك فأصابتهم دعوة أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال لأنس: ما لك لا تقوم مع أصحاب رسول الله فتشهد بما سمعته يومئذ منه؟ فقال: يا أمير المؤمنين كبرت سنّي ونسيت. فقال عليّ عليه السلام: إن كنت كاذباً فضربك الله بيضاء لا تواربها العمامة. فما قام حتى أبيض وجهه برصاً. فكان بعد ذلك يقول: أصابني دعوة العبد الصالح. وقد ذكر هذه الحادثة ابن قتيبة الدينوري في كتابه (المعارف) وأحمد بن حنبل في مسنده. (١٩)

وأخرج أبو إسحق الثعلبي في تفسير سورة (المعارج) من تفسيره الكبير بسندين معتبرين أن رسول الله ﷺ لما كان يوم «غدير خم» نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد عليّ فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه. فشاع ذلك فطار في البلاد وبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري

فأتى رسول الله ﷺ على ناقة له فأنابها ونزل عنها وقال: يا محمد! . . أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقبلنا منك، وأمرتنا أن نصلي خمساً قبلنا منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا، وأمرتنا بالحج فقبلنا، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضيعي ابن عمك تفضله علينا، فقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم من الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: فوالله الذي لا إله إلا هو إن هذا لمن الله عز وجل، فولى الحارث يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء، وأتينا بعداب أليم. فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله سبحانه بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فقتله. وأنزل الله تعالى: ﴿سأل سائل بعداب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج﴾. الحديث موجود في السيرة الحلبية. (٢٠)

وقد ذكر ابن الأثير في كتابه (الكامل): أن أول احتفال بعيد الغدير جرى سنة ٣٥٢هـ في الثامن عشر من ذي الحجة حيث أمر معز الدولة البويهى بإظهار الزينة في بغداد وأشعلت النيران بمجلس الشرطة، وأظهر الفرح، وفتحت الأسواق بالليل كما يفعل ليالي الأعياد. فعل ذلك فرحاً بعيد الغدير يعني «غدير خم»، وضربت الدباب والبوقات وكان يوماً مشهوداً. (٢١)

ولكن ما هي مزايا الإمام عليه السلام عند زوجته الكريمة سيدة نساء العالمين السيدة الزهراء فاطمة؟ إنه ذو مزايا عظيمة لا تعد ولا تحصر برجل غيره فهو زوجها المقدم، الورع، العف، الزاهد، مرسي رسالة الحق، ومثبت قواعد النبوة ومهبط الروح الأمين.

#### لنقرأ وصفها في هذه القطعة النثرية الخالدة:

«لما اشتد بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الوجع اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: كيف أصبحت يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: والله أصبحت عاتفة (كارهة) لدياكم، قالية (مبغضة) لرجالكم، لفظتهم بعد أن عجمتهم (بلوهم وخبرتهم) وشنتهم (أبغضتهم) بعد أن سبرتهم (علمت أمورهم)، فقبلاً لفلول الحد وخور القناة، وخطل الرأي، وبسما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لا جرم! . . قد قلدتهم ريقها وشنت عليهم غارتها، فجداً وعقراً وسحقاً للقوم الظالمين! . . ويحهم، أين زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة، ومهبط الروح الأمين، والطيبين بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين! . .

وما الذي نَقَمُوا من أبي حسن؟ نَقَمُوا والله نكبر سيفه، وشدة وطأته، ونكّال وقعته، وتنمره في ذات الله. وتالله لو تكافؤا عن زمام نَبَذَه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله لاعتقله وكسار إليهم سيراً سَجُحاً، لا تكلم حشاشته ولا يُتَعَمَّق ركبهُ، ولا وردهم منهالاً نَميراً أفضاضاً يطفح ضفتاه، ولا صدرهم بطاناً قد تحير بهم الرأي غير متحلّ بطائل إلا بغمر التأهل، وردعه سورة السَّاعِب، ولَفُتِحَتْ عليهم بركات من السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون». (١٢)

ولا بدّ لي من العودة معك إلى ابن أبي الحديد لترى كم كان معجباً بهذا الإمام الخالد على مدى الأيام والسنين والشهور والدهور، فهو لا يفنأ عائداً بين حين وآخر للتفتي بعظمة هذا الرجل الخالد وتعداد مزايه وما كان يتمتع به من جليل الصفات وكثرة المكرمات يقول: «فسبحان الله! . . مَنْ مَنَحَ هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة! أن يكون غلام من أبناء عرب مكّة ينشأ بين أهله لم يخالط الحكماء، وخرج أعرف بالحكمة ودقائق العلوم الإلهية من أفلاطون وأرسطو، ولم يعاشر أرباب الحكم الخلقية والآداب النفسية لأن قريشاً لم يكن أحد منهم مشهوراً بمثل ذلك، وخرج أعرف بهذا الباب من سقراط، ولم يُرَبَّ بين الشجعان لأن أهل مكّة كانوا ذوي تجارة ولم يكونوا ذوي حرب وخرج أشجع من كل بشر مشى على الأرض؛ قيل لخلف الأحمر: أيما أشجع عنبة وِسْطام أم علي بن أبي طالب؟ فقال: إنّما يُذكر عنبة وِسْطام مع البشر والناس لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة. فقليل له: فَعَلَى كُلِّ حال. قال: والله لو صاح في وجوههما لماتا قبل أن يحمل عليهما. وخرج أفصح من سحبان وقسّ ولم تكن قريش بأفصح العرب كان غيرها أفصح منها. قالوا: أفصح العرب (جُرْهُم) وإن لم تكن لهم نباهة. وخرج أزهّد الناس في الدنيا وأعفهم مع أن قريشاً ذوو حرص ومحبة للدنيا، ولا غرو (لا عجب) فيمن كان محمّد صلى الله عليه وآله مربيّه ومخرجه، والعناية الإلهية تمدّه وترفده أن يكون منه ما كان». (١٣)

#### وكيف كان الإمام علي عليه السلام يرى نفسه؟

«وأنا من رسول الله كالضوء من الضوء، والذراع من العضد، والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفُرس من رقابها لساغت إليها، وسأجهد في أن أظهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدّرة من بين حب الحصيد». (١٤)

وكيف كان سلوكه مع رعيته وشعبه؟ كيف كان ينظر إلى هذه الرعية، وكيف كان ينظر إلى بيت مال المسلمين؟ ها هو يعقلنا ويضرب لنا المثل بنفسه: «والله لو شئت لاهتديتُ الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيير الأطعمة، ولعلّ بالحجاز واليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشيع أو آيت مبطناً وحولي بطون غرثي، وأكباد حرّى أو أكون كما قال القائل:

وحسبك عاراً أن تبيت يعلنة      وحولك أكباد تحنّ إلى القدّ

أنتع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوة (خشونة) العيش... فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها أو المرسلّة (الشاة) شغلها تقمّمها، تكثرش من أعلامها، وتلهو عمّا يراد بها أو أترك سدى، أو أهمل عابثاً، أو أجرح حبل الضلالة، أو أعنّس طريق المناهة»<sup>(٢٥)</sup>

أما عن علمه وفقهه في الدين فقد كانت له الرياسة فيهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، وكثيراً ما كان يحلّ المعضلات التي لم يكن الآخرون يجدون لها الحلّ المناسب حتى إن الخليفة عمر رضي الله عنه كان يستشير في الأمور التي تشكل عليه فيرشده إلى الحلّ الأمثل والأفضل فكان يقول: لا بارك الله في معضلة لا تحكم فيها يا أبا الحسن. وكان من تبصره بالدين الإسلامي والمسيحي واليهودي أنه كان يردّد: «لو كسرت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم حتى تزهر (تتلاّ) تلك القضايا إلى الله عزّ وجلّ وتقول: يا ربّ إنّ عليّ قضى بين خلقك بقضائك»<sup>(٢٦)</sup>.

أما علمه بالغيب فقد لقفه من ابن عمّه وخليفه رسول الله صلى الله عليه وآله مشافهةً ومثاقفةً ومناجاةً يخبره بما سيكون في مستقبله وبما سيصادفه ويلاقه بعد أن يلحق الرسول الكريم برّه. وقد أورد ابن أبي الحديد العديد من الأخبار التي كشف غيبها وأظهر مخفيها في أثناء حياته وإلى ما بعد مماته.

ولا أستطيع أن أوردها جميعها في هذا الكتاب غير أنني سأورد بعضها فمن أحب أن يستزيد منها فعليه بكتاب (نهج البلاغة) وبخاصّة الجزء الثاني منه.



روى ابن هلال الثقفي في كتاب (الغارات) عن زكريا بن يحيى العطار عن فضيل عن محمد بن علي قال : لما قال علي عليه السلام : سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مئة وتهدي مئة إلا أنبأتكم بناعقها وسائقها . فقام إليه رجل فقال : أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر . فقال له عليه السلام : والله لقد حدثني خليلي أن على كل طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك ، وأن على كل طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك ، وأن في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله . وكان ابنه قاتل الحسين عليه السلام يومئذ طفلاً يحبو . وهو سنان بن أنس النخعي .<sup>(٢٧)</sup>

وروى الحسن بن محبوب عن ثابت الشمالي عن سويد بن غفلة أن علياً عليه السلام خطب ذات يوم فقام رجل من تحت منبره فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنني مررت بوادي القرى فوجدت خالد بن عرفطة قد مات ، فاستغفر له . فقال عليه السلام : والله مامات ، ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة صاحب لوائه حبيب بن حمار . فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أنا حبيب بن حمار ، وإنني لك شيعة ومحِب . فقال : أنت حبيب بن حمار؟ فقال : نعم . فقال له ثانية : والله ، إنك لحبيب بن حمار؟ فقال : أي ، والله ! . . قال : أما والله إنك لحاملها ولتحمّلنها ، ولتدخلن بها من هذا الباب ، وأشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة . قال ثابت : فوالله ما متّ حتى رأيت ابن زياد وقد بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن علي عليهما السلام وجعل خالد بن عرفطة على مقدّمته وحبيب بن حمار صاحب رايته فدخل بها من باب الفيل .

وروى محمد بن جبلة الخياط عن عكرمة عن يزيد الأحمسي أن علياً عليه السلام كان جالساً في مسجد الكوفة وبين يديه قوم منهم عمرو بن حرّث إذ أقبلت امرأة مختمرة لا تُعرف فوفقت فقالت لعلي عليه السلام : يا مَنْ قتل الرجال ، وسفك الدماء ، وأيتم الصبيان ، وأرمل النساء ! . . فقال علي عليه السلام : وإنها لهي هذه السلّقة (السلطة) الجلّة المجعة (البذينة اللسان) ، وإنها لهي هذه شبيهة الرجال والنساء ؛ التي ما رأت دماً قط . قال : فولّت هاربة ، منكسة رأسها . فتبعها عمرو بن حرّث فلما صارت بالرحبة قال لها : والله لقد سررت بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل فادخلي منزلي حتى أهب لك وأكسوك فلما دخلت منزله أمر جواريه بكشفها وتفتيشها ونزع ثيابها لينظر صدقه فيما قاله عنها . فبكت وسألته ألا يكشفها ، وقالت : أنا والله كما قال ، لي ركب النساء (منبت العانة) وأنتان كأنتي الرجال ، وما رأيتُ

دماً قط . فتركها وأخرجها ، ثم جاء إلى عليّ عليه السلام فأخبره فقال : إن خليلي رسول الله ﷺ أخبرني بالمتمردين عليّ من الرجال ، والتمردات من النساء إلى أن تقوم الساعة .

وروى عثمان بن سعيد عن يحيى التميمي عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء ، قال : قام أعشى همدان - وهو غلام يومئذ حدث - إلى عليّ عليه السلام وهو يخطب ويذكر الملاحم ، فقال : يا أمير المؤمنين ! . . ما أشبه هذا الحديث بحديث خُرَافة ! . . فقال عليّ عليه السلام : إن كنت أئماً فيما قلت يا غلام فرماك الله بغلام ثقيف ثم سكت . فقام رجال فقالوا : ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين ؟ قال : غلام يملك بلدتكم هذه لا يترك لله حرمة إلا انتهكها ، يضرب عنق هذا الغلام بسيفه . فقالوا : كم يملك يا أمير المؤمنين ؟ قال : عشرين إن بلغها . قالوا : فيقتل قتلاً أم يموت موتاً ؟ قال : بل يموت حتف أنفه بداء البطن ، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه . قال إسماعيل بن رجاء : فوالله لقد رأيت بعيني أعشى باهلة وقد أحضر في جملة الأسرى الذين أسروا من جيش عبد الرحمن بن محمد الأشعث بين يدي الحجاج فقرأه وويخه ، واستنشده شعره الذي يحرّض فيه عبد الرحمن على الحرب ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس .

قال إبراهيم وحدثني إبراهيم بن العباس النهدي ، حدثني مبارك البجلي عن أبي بكر بن عياش ، قال حدثني المجالد عن الشعبي عن زياد بن النضر الحارثي قال : كنت عند زياد وقد أتني برشيد الهجري وكان من خواص أصحاب عليّ عليه السلام فقال له زياد : ما قال خليلك لك إنّا فاعلون بك ؟ قال : تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني . فقال زياد : أما والله لا أكذب حديثه ، خلّوا سبيله . فلما أراد أن يخرج قال : ردّوه ، لا نجد شيئاً أصلح ممّا قال لك صاحبك إنك لا تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت . اقطعوا يديه ورجليه . فقطعوا يديه ورجليه وهو يتكلم . فقال : اصلبوه خنقاً في عنقه . فقال رشيد : قد بقي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه . فقال زياد : اقطعوا لسانه . فلما أخرجوا لسانه ليقطع قال : نفّسوا عني أتكم كلمة واحدة ، فنّفّسوا عنه فقال : هذا والله تصديق خبر أمير المؤمنين ، أخبرني بقطع لساني . فقطعوا لسانه وصلبوه .

خبر يوم ذي قار : روى أبو مخنف عن الكلبي عن أبي صالح عن زيد بن علي ، عن ابن عباس قال : لمّا نزلنا مع عليّ عليه السلام ذا قار قلت : يا أمير المؤمنين ! . . ما أقلّ من يأتيك من أهل الكوفة فيما أظن ! . . قال : والله ليأتيني منهم ستة آلاف وخمسمئة وستون رجلاً لا

يزيدون ولا ينقصون. قال ابن عباس: فدخلني والله من ذلك شك شديد في قوله، وقلت في نفسي: والله إن قدموا لأعدتهم. قال أبو مخنف فحدث ابن إسحاق عن عمه عبد الرحمن بن يسار قال: نفر إلى علي عليه السلام إلى ذي قار من الكوفة في البحر والبر ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً، أقام علي بذوي قار خمسة عشر يوماً حتى سمع صهيل الخيل وشحيج البغال حوله. قال: فلما سار بهم منقلة (مرحلة من السفر) قال ابن عباس: والله لأعدتهم فإذا كانوا كما قال وإلا أتممتهم من غيرهم فإن الناس قد كانوا سمعوا قوله. قال: فعرضتهم فوالله ما وجدتهم يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً فقلت: الله أكبر..

صدق الله ورسوله. ثم سرنا<sup>(٢٨)</sup>

حسبي ما قدمته من أخبار معرفته بالغيب (عليه السلام) فمن أراد الاستزادة فعليه بالجزء الثاني من الكتاب (الرائع العظيم) نهج البلاغة.

ونورد شهادة كاتب عبقري معاصر لم يمنعه اختلاف المذهب من قول الحق والصدق - إلا إن المؤمنين الصادقين لا يختلفون، ولا يفترون - في الإمام علي عليه السلام: «وبطولات الإمام ما اقتصرت يوماً على ميادين الحرب. فقد كان بطلاً في صفاء بصيرته وطهارة وجدانه، وسحر بيانه، وعمق إنسانيته، وحرارة إيمانه، وسمو وداعته، ونصرته للمحروم والمظلوم من الحارم والظالم، وتعبده للحق أينما تجلّى له الحق، وهذه البطولات ومهما تقادم بها العهد لا تزال مقلماً غنياً نعود إليه اليوم وفي كل يوم كلما اشتد بنا الوجد إلى بناء حياة صالحة، فاضلة» (ميخائيل نعيمة).<sup>(٢٩)</sup>

وقد كتبت الكتب الكثيرة في فضائل ومزايا الإمام علي عليه السلام في القديم والحديث، في الشرق والغرب، وقد قرأت العديد منها فوجدت في كتاب «الإمام علي صوت العدالة الإنسانية» لمؤلفه العبقري الملتزم «جورج جرداق» الموضوعية والتزام الحق، وما دام ملتزماً فهو الصادق الصدوق والعدل العطوف والعالم الرؤوف.

وأشهد أنه رجل موسوعة، حكمت عليه بهذا الحكم لأنني تعرّفت مقدار ما طالع من كتب واختار من فوائد ومعارف من كتب الشرق والغرب حتى استطاع أن يؤلف كتابه المتميز.

وإني أحب لكل إنسان عاقل منصف مثقف يريد لنفسه ولأهل بيته العلم النافع والخلق القويم أن يضع في مكتبته هذا المؤلف الجليل ليزين به ما يقتني من كتب ومؤلفات أو ليكون فاتحة لمكتبة عامرة بالمجلدات.

يقول جورج جرداق: «هل عرفت من الخلق عظيماً يلتقي مع المفكرين بسمو فكرهم ومع الخيرين بحبهم العميق للخير، ومع العلماء بعلمهم، ومع الباحثين بتقبيهم، ومع ذوي المودات بموداتهم ومع الزهاد بزهدهم، ومع المصلحين بإصلاحهم، ومع المثالمين بالأمهم، ومع المظلومين بمشاعرهم وتمردهم، ومع الأدباء بأدبهم ومع الأبطال ببطولاتهم، ومع الشهداء بشهادتهم، ومع كل إنسانية بما يشرّفها ويرفع من شأنها؛ ثم إن له في كل ذلك فضل القول الناتج عن العمل، والتضحية المتصلة بالتضحية، والسابقة في الزمان! . . . عظيماً يهون لديك أمر غالبيه ونصر المتصرين عليه لأن أيامهم إنما هي من الأيام التي عجت بالمتناقضات، واصطبغت بالفرايب حتى أصبح فيها شمال الحياة يمينها، وتحتها فوقها، وأرضها سماءها.

وسواءً لدى الحقيقة والتاريخ أعرفت هذا العظيم أم لم تعرفه فالتاريخ والحقيقة يشهدان أنه الضمير العملاق، الشهيد أبو الشهداء: عليّ بن أبي طالب صوت العدالة الإنسانية، وشخصية الشرق الخالدة. وماذا عليك يا دنيا لو حشدت كل قواك فأعطيت في كل زمنٍ (عليّاً) بعقله وقلبه ولسانه وذو فقاره! . . . (٣٠)

ولا أستطيع أن أختم هذا الفصل ولم أقم بإيراد العهد الذي كتبه الإمام عليّ عليه السلام إلى الأشرع عندما ولّاه مصر لأن هذا العهد يتضمن السياسة المدنية التي رغب إليه أن يطبقها خلال ولايته؛ وإني لأجزم أنه لو سار عليها كل حاكم في كل زمان أو مكان لسعدت الرعية غاية السعادة وتمتعت بكل ساعة في الحياة، ولتفوق كل حاكم في إشاعة الديمقراطية بين أفراد شعبه ولعاش سعيداً آمناً مطمئناً.

أين ديمقراطية الغرب من هذه الديمقراطية التي رسم أبعادها وحدودها الإمام عليّ عليه السلام؟! إن ديمقراطية الغرب التي يتجسّد بها ويتغنّى بمزاياها ديمقراطية فُصّلت على مقاسه وحسب فهمه ونظريته للشعوب، فما كان موافقاً لمصالحه من نهب وسلب لخيرات الشعوب ليزداد ثخمةً وتسلطاً، وسيطرة فهو الديمقراطية حسب معتقده. أما إذا طبقت الشعوب المستضعفة ديمقراطيتها التي ترفع من شأنها وترفع عنها سيطرة هذا الغرب المتوحش فإن ديمقراطية هذه الشعوب بنظره، مبتورة، وغير مناسبة في القرن العشرين والواحد والعشرين.

اقرأ أيها الغرب، وتفهم، وأدرك أن عظيماً من عظمائنا سنّ لنا الديمقراطية الحق التي لا تبلغ إليها ديمقراطيتك مهما صرخت وأدعيت.

استمعوا آيتها الحكام في أقاصي الأرض وأدانيها إلى هذا العهد الذي يسعدكم ويسعد شعوبكم إن أخذتم به وطبقتم أحكامه على شعوبكم .

وأنت أيتها الإنسانية المعذبة . . . متى ينزاح عنك العذاب والشقاء؟ أرى أن ذلك سيتم عندما تطالبين حكّامك بتطبيق بنود وفقرات هذا العهد :

. بسم الله الرحمن الرحيم .

«هذا ما أمر به عبد الله عليّ أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاء مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها .

أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، وأتباع ما أمر به في كتابه : من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها؛ وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه فإنه جلّ اسمه قد تكفل بنصر من نصره، وإعزاز من أعزّه . وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويَزَعَهَا عند الْجَمَعَات (يكفّها عن مطامعها إذا جَمَعَتْ) فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله ثم اعلم يا مالك أنّي قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دولٌ قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يُستدلّ على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده؛ فليكن أحبّ الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك، وشحّ نفسك عما لا يحلّ لك فإن الشحّ بالنفس الإنصاف منها فيما أحبّبت أو كرهت .

وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم، ولا تكوننّ عليهم سبباً ضارياً تغتصب أكلهم فإنهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق، يفرط منهم الزلل (يسبق الخطأ) وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعظمهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من وُلاكَ .

وقد استكفأك أمرهم (طلب منك كفاية أمرهم والقيام بتدبير مصالحهم) وابتلاك بهم . ولا تنصبن نفسك لحرب الله (مخالفة شريعته بالجور والظلم) فإنه لا يَدِيْ لك بنعمته (لا

طاقة لك بدفع نعمته) ولا غنى بك عن عفوه ورحمته، ولا تندمن على عفوه، ولا تبجحن بعقوبة (ولا تسارع) ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة (متسماً)، ولا تقولن إني مؤمر أمر فاطاع (المؤمر: المسلط) فإن ذلك إدغال (إفساد) في القلب، ومنهكة للدين، وتقرب من الغير (حادثات الدهر).

وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة (الخيلاء والعجب) فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك؛ فإن ذلك يطامن إليك من طماحك (النشوز والجماح) ويكف عنك من غربك (حدثك) ويضيء إليك بما غرّب عنك من عقلك (يرجع ما غاب منه) إياك ومساماة الله في عظّمته (مباراة الله في علوه) والتشبه به في جبروته؛ فإن الله يذل كل جبار، ويهين كل مختال.

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيّتك؛ فإنك لا تفعل ظلماً... ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدخض حجته (أبطل) وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نعمته من إقامة على ظلم فإن الله سميع دعوة المضطّهدين وهو للظالمين بالمرصاد. وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل، وأجمعها لرضا الرعية، فإن سخط العامة يجحف (يذهب) برضا الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي موزونة في الرخاء، وأقلّ معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف وأسأل بالإلحاف (الإلحاح في السؤال) وأقلّ شكرياً عند الإعطاء وأبطأ عنراً عند المنع، وأضعف بصراً عند ملّمات الدهر من أهل الخاصة؛ وإنما عماد الدين وجماع المسلمين، والعدة للأعداء العامة من الأمة. فليكن صفوك لهم وميلك معهم، وليكن أبعد رعيّتك منك وأشنؤهم (أبغضهم) عندك أطلبهم لمعائب الناس (الأشدّ طلباً لها) فإن في الناس عيوباً الوالي أحقّ من سترها، فلا تكشفنّ عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك. والله يحكم على ما غاب عنك. فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيّتك. أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنك سبب كل وثر (عداوة)، وتغاب عن كل ما لا يصح لك، ولا تعجلنّ إلى تصديق ساع (نمّام بمعائب الناس) فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين. ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل (الإحسان) ويعمدك الفقر (يخوّفك)، ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزيّن لك الشرّ بالجور فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله.

إن شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام، فلا يكوننّ لك بطانةً (خاصةً) فإنهم أعوان الأئمة وأخوان الظلمة، وأنت واجدٌ منهم خير الخلف ممّن له مثل آرائهم ونفادهم وليس عليه مثل أصارهم (ذنوبهم وآثامهم) وأوزارهم، ممّن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا أنماً على إثمه: أولئك أخفّ عليك، مؤونةً وأحسن لك معونةً، وأحنى عليك عطفاً، وأقلّ لغيرك إلغاً (محبّةً)، فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك، ثم ليكن أثرهم عندك أقولهم بممرّ الحقّ لك، وأقلّهم مساعدةً فيما يكون منك ممّا كره الله لأوليائه واقعاً ذلك من هواك حيث وقع. والصق بأهل الورع والصدق ثم رُضهم على الآيُوك (عوّدهم على الآيُويدوا في مدحك) ولا ييجحوك بباطل لم تفعله (ولا يفرحوك بنسبة عمل عظيم إليك ولم تكن فعلته) فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزّة.

ولا يكن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء؛ فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة! . . . والزم كلّاً منهم ما ألزم نفسه. واعلم أنه ليس شيء يادعى إلى حسن ظنّ راع برعيته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه ليأثم على ما ليس له قبلهم. فليكن منك في ذلك أمرٌ يجتمع لك به حسن الظن برعيّتك فإن حسن الظن يقطع عنك نصيباً (تعباً) طويلاً.

وإن أحقّ من ساء ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وإن أحقّ من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده.

ولا تنقض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية، ولا تحدثنّ سنّة تضرّ بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنّها والوزر عليك بما نقضت منها. وأكثر مدارس العلماء ومناقشة الحكماء (محادثة العلماء) في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك.

واعلم أن الرعيّة طبقات لا يصلح بعضها إلّا ببعض ولا غنىً ببعضها عن بعض: فمنها جنود الله، ومنها كتّاب العامة والخاصّة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمّال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمّة، ومُسلمة النَّاسِ . . . ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكلّ قد سمى الله له سَهْمَه (نصيبه من الحق)، ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنّة نبيّه ﷺ عهداً من عندنا محفوظاً. فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاة، وعزّ الدين وسبل الأمن وليس تقوم الرعيّة إلّا بهم.

ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم ،  
ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم . ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا  
بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاهد (العقود في البيع  
والشراء) ويجمعون من المنافع ، ويؤمنون عليه من خواص الأمور وعوامها ، ولا قوام لهم  
جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم (منافعهم) وقيمونه من  
أسواقهم ، ويكفونهم من الترقق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم ، ثم الطبقة السفلى من أهل  
الحاجة والمسكنة الذين يحق ردهم ومعونتهم (مساعدتهم وصلتهم) وفي الله لكل سعة ،  
ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه .

وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله ،  
وتوطين نفسه على لزوم الحق ، والصبر عليه فيما خفّ عليه أو ثقل .

قول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله وإمامك وأتقاهم جيئاً (طاهر الصدر  
والقلب) وأفضلهم حلماً : ممن يبطئ عند الغضب ، ويستريح إلى العذر ، ويرأف بالضعفاء ،  
وينبئ (يشدد) على الأقوياء ، وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف .

ثم الصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ، ثم أهل النجدة  
والشجاعة والسخاء والسماحة فإنهم جماع من الكرم ، وشعب من العرف ؛ ثم تفقد من  
أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما .

ولا يتفاقم في نفسك شيء قوتهم به ، ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قل فإنه داعية  
لهم إلى بذل النصيحة لك ، وحسن الظن بك .

ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها ؛ فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون  
به ، وللجسيم موضعاً لا يستغنون عنه وليكن أثر رؤوس جنودك عندك من أساهم (ساعدهم)  
في معونته ؛ وأفضل عليهم من جدته (غناه) بما يسمعهم ويسع من وراءهم من خلف أهليهم  
حتى يكون همهم همّاً واحداً في جهاد العدو ؛ فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك .

وإن أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية ؛ وإنه لا تظهر  
مودتهم إلا بسلامة صدورهم ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة الأمور (بمحافظةهم  
على ولاة الأمور) وقلة استئثار دولهم ، وترك استبطاء انقطاع مدتهم ، فافسح في آمالهم



وواصل في حسن الشاء عليهم وتعدد ما أبلى ذوو البلاء منهم ؛ فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهنّ الشجاع وتحرض الناكل (المتأخر القاعد) إن شاء الله .

ثم اعرّف لكلّ امرئٍ منهم ما أبلى ، ولا تضيّفنّ بلاء امرئٍ إلى غيره ، ولا تقصرنّ به دون غاية بلاءه ، ولا يدعونك شرف امرئٍ إلى أن تُعظم من بلاءه ما كان صغيراً ، ولا ضعة امرئٍ إلى أن تستصغر من بلاءه ما كان عظيماً .

واردد إلى الله ورسوله ما يضلّك من الخطوب (ما يشكّل عليك) ، ويشبه عليك من الأمور ؛ فقد قال الله تعالى لقوم أحبّ إرشادهم ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول﴾ ، فالرد إلى الله : الأخذ بمحكم كتابه (نصه الصريح) ، والرد إلى الرسول : الأخذ بسنته الجامعة غير المفارقة .

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك (القضاة) في نفسك ممّن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم (تغضبه) ولا يتمادى في الزلة ، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه (لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق) ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكفي بأدنى فهم دون أقصاه وأوقفهم في الشبهات ، وأخذهم بالحجج ، وأقلّم تبرماً بمراجعة الخصم ، وأصبرهم على تكشف الأمور ، وأصرهم عند اتّضاح الحكم ؛ ممّن لا يزيده إطرأ ، ولا يستميله إغراء وأولئك قليل .

ثم أكثر تعاهد قضائه ، وافسح له في البذل ما يزيل علته ويقلّ معه حاجته إلى الناس ، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك ، وانظر في ذلك نظراً بليغاً فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يُعمل فيه بالهوى وتُلبّب به الدنيا . ثم انظر في أمور عمّالك فاستعملهم اختباراً (امتحاناً) ولا تولّهم محاباة وآثرة فإنهم جماع من شعب الجور والخيانة ، وتوخّ منهم أهل التجربة والحياة من أهل البيوتات الصالحة والقدّم في الإسلام المتقدمة فإنهم أكرم أخلاقاً وأصحّ أعراضاً ؛ وأقلّ في المعطامع إشرافاً وأبلغ في عواقب الأمور نظراً . ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوّة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجّة عليهم إن خالفوك أمرك أو ثلموا (خانوا) أمانتك ؛ ثم تفقّد أعمالهم وابتعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم فإن تعاهدك في السرّ لأموالهم حذوّة (حث) لهم على استعمال الأمانة والرفق

بالرعية، وتحفظ من الأعوان فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة.

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله؛ فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم؛ ولا صلاح إلا بهم لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله.

وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً؛ فإن شكوا نقلاً أو علة (ثقل المضروب من مال الخراج أو علة سماوية، بزرعهم) أو انقطاع شرب أو بالة (ما يبل الأرض من ندى ومطر) أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجصف بها عطش خففت به المؤونة عنهم فإنه ذريعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك من ثنائهم، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم (السرور بما يرى من حسن عمله في العدل) معتمداً أفضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجماعك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم؛ فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به فإن العمران محتمل ما حملته وإنما يؤتى خراب الأرض من إغواز أهلها؛ وإنما يؤمر أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع (جمع المال) وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر.

ثم انظر في حال كتابك قول على أمورك خيرهم واخصص رسائلهم التي تدخل فيها مكائلك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجتري بها عليك في خلافك بحضرة ولا ولا تقهر به الذلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك وإصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذ لك ويعطي منك، ولا يضعف عقداً اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، ولا يبجل مبلغ قدر نفسه في الأمور فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل. ثم لا يكون اختيارك إياهم على فراستك واستنانتك (لا يكون انتخابك لهم تابعاً لميلك الخاص) وحسن الظن منك؛ فإن الرجال يتعرفون لفراست الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم (يتوسلون إليها لتعرفهم) وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء، ولكن اختبرهم بما وكوا للصالحين قبلك؛ فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً، وأعرفهم بالأمانة وجهاً فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولعن وكيت أمره.

واجعل لرأس كلِّ أمر من أموركَ رأساً منهم لا يقهره كبيرها ، ولا ينشئت عليه كثيرها .  
ومهما كان في كتابك من عيب فتغايبت عنه الزمته (إذا تغافلت عن عيب كتابك كان العيب  
لاصقاً بك) .

ثم استوص بالتيجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً: المقيم منهم ، والمضطرب  
بماله (المرتد بأمواله بين البلدان) والمترقق ببدنه ، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق  
وجلباها من المباعد والمطارح في برّك وبحرك وسهلك وجبلك ، وحيث لا يلتئم الناس  
لمواضعها ولا يجتروون عليها فإنهم سلم لا تخاف بائقته (داهية أو عصيان) واصلح لا تخشى  
غائلته ؛ وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك . واعلم - مع ذلك - أن في كثير منهم  
ضيقة فاحشة ، وشحاً قبيحاً (عسر المعاملة والاحتكار) واحتكاراً للمنافع ، وتحكماً في  
البياعات وذلك باب مضرّة للعامة ، وعيب على الولاة ؛ فامنع من الاحتكار فإن رسول الله  
صلّى الله عليه وآله وسلم منع منه .

وليكن البيع يباعاً سمحاً ؛ بموازين عدل ، وأسعار لا تُجحف بالفريقين من البائع والمبتاع  
(المشتري) فمن قارف حكمة بعد نهيك إياه (من احتكر بعد النهي عنه) فنكّل به وعاقبه في  
غير إسراف .

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل  
البؤس والزمنى (الفقراء وأرباب العاهات) فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتزلاً (سائلاً ومتعرضاً  
للعطاء بلا سؤال) ؛ واحفظ لله ما استحفظك من حقّه فيهم ؛ واجعل لهم قسماً من بيت  
مالك ، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد (ثمرات وغلّات أرض الغنime) فإن  
للأقصى منهم مثل الذي للأدنى ، وكل قد استرعيت حقّه ؛ فلا يشغلنك عنهم بطر (طغيان  
بالنعمه) فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم ، فلا تشخص همك عنهم (لا  
تصرف اهتمامك عن ملاحظة شؤونهم) ، ولا تصغر خدك لهم ، وتفقد أمور من لا يصل  
إليك منهم ممن تقتحمه العيون (تكبره أن تنظر إليه احتقاراً) وتحقره الرجال . ففرغ لأولئك  
ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم ، ثم اعمل فيهم بالإعزاز إلى الله يوم  
تلقاه فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم ، وكل فاعذر إلى الله في تأدية  
حقّه إليه .

وتعهد أهل اليتيم وذوي الرقة في السنّ (الأيتام والمتقدمين في السن) ممّن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل (والحقّ كله ثقيل) وقد يخفّفه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم .

واجعل لذوي الحاجات (للمتظلمين) منك قسماً تفرّغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتواضع فيه لله الذي خلقك ، وتُقعّد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك (لا يتعرضون لهم) وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير مُتّنع (المرتد الخائف) فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن : (لن تُقدّس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القويّ غير مُتّنع) ، ثم احتمل الخرق منهم والعمي (العنيف والعاجز عن النطق) ، ونحّ عنهم الضيق والأنف (ضيق الصدر والاستكبار) ييسط الله عليك بذلك أكتاف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته ، وأعط ما أعطيت هنيئاً : (هائناً سهلاً) وامنع في إجمال وإعذار (بلطف وتقدير عذر) .

ثمّ أمورٌ من أمورك لا بدّ لك من مباشرتها : منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك ، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تخرج به صدور أعوانك ، وأمض لكلّ يوم عمله ؛ فإن لكلّ يوم ما فيه ، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت ، وأجزل تلك الأقسام وإن كانت كلّها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعيّة . وليكن في خاصّة ما تخلص به لله دينك : إقامة فرائضه التي هي نه خاصّة ، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ، ووفّ ما تقرّبت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص ، بالغاً من بدنك ما بلغ ، وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منقراً ولا مضيقاً (مطوّلاً ومنقصاً في الأركان) فإن في الناس من به العلة وله الحاجة . وقد سألت رسول الله ﷺ حين وجهني إلى اليمن : كيف أصلي بهم؟ فقال : «صلّ بهم كصلاة أضعفهم ، وكن بالمؤمنين رحيماً» .

وأما بعد فلا تُطولنّ احتجاجك عن رعيتك ، فإن احتجاج الولاة عن الرعيّة شعبة من الضيق ، وقلة علم بالأمور والاحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتجوا دونه فيصنر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ويُشّاب الحقّ بالباطل ؛ وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور ، وليست على الحقّ سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب ، وإنما أنت أحد رجلين : إمّا أمرؤٌ سخّطت نفسك بالبدل في الحقّ فقيم احتجاجك من واجب حقّ تعطيه؟ أو فعل كريم تسديه؟ ، أو مبتلى بالمنع فما أسرع كفّ

الناس عن مساكنك إذا أسوا من بذلك، مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف وفي معاملة .

ثم إن للموالي خاصة وبطانة فيهم استنثار وتطاول وقلة إنصاف في معاملة، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك (الخاصة والقرابة) قطيعة (منحة من الأرض) ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون منها ذلك لهم دونك، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة. وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع؛ وابتغ عاقبه بما يثقل عليك منه فإن مغبة ذلك محمودة.

وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعلرك، واعدل عنك ظنونهم بإصهارك؛ فإن في ذلك رياضة منك لنفسك (ابرز لهم وقدم عذرك) ورفقاً برعيتك، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق.

ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضا فإن في الصلح دعة (راحة) لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل (يتقرب بالصلح ليجد غفلة فيغدر) فخذ بالحزم، وأتهم في ذلك حسن الظن.

وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو البسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء، وأرع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولوا من عراقب الغدر (وجدوا عواقب الغدر مهلكة) فلا تغدرن بذمتك ولا تخسين بعهدك (لا تخن وتنقض)، ولا تختلن عدوك فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي. وقد جعل الله عهده وذمته أمناء أفضاء بين العباد برحمته، وحرماً يسكنون إلى منعه، ويستفيضون إلى جواره (يفزعون إليه بسرعة). فلا إدغال ولا مدالسة (إفساد وخيانة) ولا خداع فيه.

ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل (ما يحوله إلى غير المراد) ولا تعولن على لحن القول (التورية والتعريض) بعد التأكيد والتوثقة. ولا يدعوتك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى

طلب انفساخه بغير الحق ؛ فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبه خيرٌ من غير تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله فيه طلبه (مطالبة) فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك .

إياك والدماء وسفكها بغير حلها ؛ فإنه ليس شيء أدنى لنقمة ولا أعظم لتبعة ، ولا أخرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها ؛ والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة ، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ؛ فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد ؛ لأن فيه قود البدن (القصاص للجسد) وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة (عجل بما لم تكن تريده : أردت تأديباً فأعقب قتلاً) فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة ، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم .

ولياك والإعجاب بنفسك ، والثقة بما يعجبك منها ، وحب الإطراء فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين .

ولياك والمن على رعيك بإحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك ، أو أن تعدهم فتبع موعدك بخلفك فإن المن يطل الإحسان ، والتزيد يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب المقات عند الله والناس : قال الله تعالى : ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ .

ولياك والعجلة بالأمور قبل أوانها ، أو التسقط فيها عند إمكانها ، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت (لم يعرف وجه الصواب فيها) أو الوهن عنها إذا استوضحت ، فضع كل أمر موضعه وأوقع كل أمر موقعه .

ولياك والاستئثار بمال الناس فيه أسوة ، والتغابي عما تعنى به مما قد وضع للميون ؛ فإنه مأخوذ منك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور ، وتُنصف منك للمظلوم . املك حمية أنفك ، وسورة حدك ، وسطوة يدك وغرب لسانك ، واحترس من كل ذلك بكف البادرة (ما يبدر من اللسان عند الغضب) وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ريك .

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سئة فاضلة أو أثر عن نبينا ﷺ أو فريضة في كتاب الله فتتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها ، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا ، واستوثقت به من الحجة لنفسك عليك ؛ لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها .

وأنا أسأل الله بسعة رحمته ، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة أن يوفقني وإياك لما فيه رضا من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه مع حسن الثناء في العبادة ، وجميل الأثر في البلاد ، وتمام النعمة وتضعيف (زيادة) الكرامة ، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة ؛ إنا إليه راجعون .

والسّلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وسلّم تسليماً كثيراً .  
والسّلام .<sup>(٣١)</sup>

### واختتم هذا الفصل بصفة الإمام عليّ عليه السّلام:

قال واصفو عليّ بن أبي طالب عليه السلام وفيهم صاحب ذخائر العقبي : «إنه كان وهو في تمام الرّجولة : ربّة القامة ، أميل إلى القصر ، أسمر شديد السمرة ، أبيض اللحية طولها ، أدعج العينين في سعة ، حسن الوجه ، واضح البشاشة ، كثير التّبسم ، أغيد كأنما عنقه إبريق فضّة ، عريض المنكبين لهما مشاش كمشاش السّبع الضاري لا تبين عضده من ساعده بل أدمجا إدماجاً ، شثن الكفين ، أبجر ، يميل إلى السّمنة في غير إفراط . ضخّم عضلة الساق دقيق مستدقّها ، ضخّم عضلة الذراع دقيق مستدقّها ، يتكفأ في مشيته على نحو يقارب مشية النبي صلى الله عليه وآله في الحرب فيقدم مهرولاً لا يلوي على شيء ، ثم إنه كان من القوة الجسدية على ما يدّهب العقول فربّما رفع الفارس بيده فجلد به الأرض غير جاهد ولا حافل كأنه يرفع طفلاً وليداً . وربما أمسك بذراع البطل فكأنه أمسك بنفسه فلا يستطيع أن يتنفّس . واشتهر عنه أنه لم يبارز فارساً إلّا صرعه مهما كانت قواه بالغة ومهما كان شأنه عظيماً .

وقد يحمل الباب الضخم الذي يعيا الأبطال بقلبه أو تحريكه فيأخذه بيد واحدة ويتّرسّ به كأنه ترسّ عادي ، وقد يزحزح بيد واحدة الصّخر الضخّم لا يزحزحه رجال مجتمعون .

ثم إنه قد يصيح الصيحة في ميدان القتال فتتخلع لها قلوب الشجعان أفراداً وجماعات ! . . وكان له من مكانة التركيب صلابة على الطوارئ الجوية فلا يبالي ألبس ثياب الشتاء في الصيف ، أو ثياب الصيف في الشتاء .<sup>(٣٢)</sup>

## المراجع

- ٧- نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد ج ١٣، ص ٢٠٢.
- ٨- نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد ج ١٣، ص ١٩٨-١٩٩ عن الطبري.
- ٩- نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ج ١٣، ص ٢١٠.
- ١٠- نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ج ١٣، ص ٢١١.
- ١١- نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ج ١٣، ص ٢١٢.
- ١٢- نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ج ١٣، ص ٢١٢-٢١٣.
- ١٣- نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ج ٩، ص ١٦٤-١٦٦.
- ١٤- نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ج ٩ ص ١٦٦ وما بعدها.
- ١٥- نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ج ٩ ص ١٧٤-١٧٥.
- ١٦- كتاب المراجعات ص ٢٠٤ وما بعدها.
- ١٧- كتاب المراجعات ص ١٨١.
- ١٨- كتاب المراجعات ص ١٨٦.
- ١٩- كتاب المراجعات ص ١٨٨.
- ٢٠- كتاب المراجعات ص ١٩٤.
- ٢١- كتاب المراجعات ص ١٩١ عن كتاب الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٨١.
- ٢٢- نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ج ١٦، ص ٢٣٣.
- ٢٣- نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ج ١٦، ص ١٤٦.
- ٢٤- نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ج ١٦، ص ٢٨٩.
- ٢٥- نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ج ١٦، ص ٢٨٦.
- ٢٦- نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ج ٢٠، ص ٢٨٣.
- ٢٧- نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ج ٢، ص ٢٨٦ وما بعدها.
- ٢٨- نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ج ٢، ص ١٨٧.
- ٢٩- الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانية ج ١، ص ٢٢.
- ٣٠- الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانية ج ١، ص ٤٨.
- ٣١- نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده ج ٣، ص ٩٢ وما بعدها.
- ٣٢- الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانية ج ١، ص ٧٢.



## الفصل الثالث

### التشيع والشيعة

في لسان العرب : «الشيعة القوم الذين يجتمعون على الأمر، وأصل الشيعة الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثني والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد. وقد غلب هذا الاسم على من يتوالى (علياً) وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل : فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة عرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا أي عندهم وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة» (٣٣).

ويقول ابن خلدون في مقدمة تاريخه «اعلم أن الشيعة هم الصاحب والأتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع (علي) وبنيه رضي الله عنهم ومذهبهم جميعاً متفقين عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر وإن (علياً) رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله عليه وسلامه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مذهبهم» (٣٤).

«ولفظ الشيعة علمٌ على من يؤمن بأن (علياً) عليه السلام هو الخليفة بنص النبي ﷺ. والتشيع في حقيقته وجوده هو الإيمان بأن الإمام المنصوص عليه يتولى الحكم، ويحكم بإرادة الله لا بإرادة الناس» (٣٥).

متى بدأ التشيع؟

يقول الشيعة : إن التشيع بدأ في حياة الرسول ﷺ بل منذ بدء الدعوة الإسلامية وذلك من خلال عدة أحاديث نبوية شريفة اتفقوا عليها مع أهل السنة ونذكر حديثاً جديداً منها بعدما قدمنا عدة أحاديث منها في الفصل السابق :

قال النبي ﷺ عندما أنزلت عليه الآية الكريمة : ﴿وَأَنْزَلْنَاكَ الْأَنْبِيَاءَ﴾ فجمع الرسول الكريم من أهل بيته ثلاثين وقال لهم : قد جشتم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني

## الفصل الثالث

### التشيع والشيعة

في لسان العرب : « الشيعة القوم الذين يجتمعون على الأمر ، وأصل الشيعة الفرقة من الناس ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد . وقد غلب هذا الاسم على من يتوالى (علياً) وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين ، حتى صار لهم اسماً خاصاً ، فإذا قيل : فلان من الشيعة عرف أنه منهم ، وفي مذهب الشيعة عرف أنه منهم ، وفي مذهب الشيعة كذا أي عندهم وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة . » (٣٣)

ويقول ابن خلدون في مقدمة تاريخه « اعلم أن الشيعة هم الصحب والأتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع (علي) وبنه رضي الله عنهم ومذهبهم جميعاً متفقين عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم ، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة ، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر وإن (علياً) رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله عليه وسلامه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مذهبهم . » (٣٤)

« ولفظ الشيعة علمٌ على من يؤمن بأن (علياً) عليه السلام هو الخليفة بنص النبي ﷺ . والتشيع في حقيقته وجوهره هو الإيمان بأن الإمام المنصوص عليه يتولى الحكم ، ويحكم بإرادة الله لا بإرادة الناس . » (٣٥)

حتى بدأ التشيع ؟

يقول الشيعة : إن التشيع بدأ في حياة الرسول ﷺ بل منذ بدء الدعوة الإسلامية وذلك من خلال عدة أحاديث نبوية شريفة اتفقوا عليها مع أهل السنة ونذكر حديثاً جديداً منها بعدما قدمنا عدة أحاديث منها في الفصل السابق :

قال النبي ﷺ عندما أنزلت عليه الآية الكريمة : « وأتولر عشيرتك الأفرين » فجمع الرسول الكريم من أهل بيته ثلاثين وقال لهم : قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني

رَبِّي أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ فَأَيُّكُمْ يُوَازِنُنِي عَلَى هَذَا؟ قَالَ عَلِيٌّ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَكُونُ وَزِيرَكَ عَلَيْهِ. فَأَخَذَ النَّبِيُّ رِقَبَتَهُ وَقَالَ: إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا.

**فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أملك أن تسمع وتطيع لولدك عليّ.** (٣٦)

وقد ظهر التشيع للإمام عليّ عليه السلام في المدينة المنورة خلال الجهاد لشييت ونشر الدعوة الإسلامية، وترسخ حبه في قلوب المعجبين بشجاعته وعلمه وفقهه وخلقه، والتف به جماعة اتخذوه قدوة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وفضلوه على غيره من المسلمين، واعتقدوا به خليفة للرسول الكريم، وبالمقابل كان هناك من يبغضه لأسباب عدة منها قتله لزعماء المشركين وحسدهم له على مزاياه التي كان يتمتع بها، وروي عن أحد الصحابة القول: كُنَّا نعرف المنافقين في الإسلام يبغضهم لعليّ بن أبي طالب. وقد قال له الرسول الكريم: يا عليّ لا يبغضك إلا منافق. ويقول ابن أبي الحديد في تفضيل الإمام عليّ عليه السلام:

**والقول بالتفضيل قول قديم قد قال به كثير من الصحابة والتابعين فمن الصحابة: عمار والمقداد وأبوذر، وسلمان، وجابر بن عبد الله، وأبيّ بن كعب، وحذيفة بن اليمان، وبريدة، وأبو أيوب، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وأبو الهيثم بن التيهان، وخزيمة بن ثابت، وأبو الطفيل عامر بن أثلة، والعبّاس بن عبد المطلب وبنوه، وبنو هاشم كافة وبنو المطلب كافة.** وكان الزبير من القائلين به في بدء الأمر ثم رجع، وكان من بني أمية قوم يقولون بذلك منهم خالد بن سعيد بن العاص ومنهم عمر بن عبد العزيز. (٣٧)

فأما من قال بتفضيله على الناس كافة من التابعين فخلق كثير: كأويس القرنيّ، وزيد بن صوحان وصعصعة أخيه، وجندب الخير، وعبيدة السلماني، وغيرهم ممن لا يحصى كثرة، ولم تكن لفظة الشيعة تعرف في ذلك العصر إلا لمن قال بتفضيله. (٣٨)

ومن المعلوم أنّ غالبية المسلمين الأوائل كانوا من المستضعفين ومن العبيد والموالي والفقراء، وهؤلاء رأوا في الإسلام ثورة اجتماعية تحقق العدل الاجتماعي والمساواة. وكان من هؤلاء صحابة للنبي صلى الله عليه وآله مقرّبون إليه كثيراً جلّهم من المستضعفين والفقراء وكان على رأس هؤلاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام فمن خلال سيرة الرسول الكريم نرى أن عليّاً عليه السلام لم يفارقه قط منذ ضمّه إليه وهو صغير وحتى وفاته، بل كان آخر من خرج من لحدّه بعد دفن جسده الطاهر.

كان هؤلاء المسلمون المقرَّبون يرون (عليّاً) خليفة للرسول ﷺ لأنه سيقم دعائم الإسلام مثلما أرساها الرسول العظيم ، ويحافظ عليها في شموخها ورسوخها ، وسيكون نصراً للمستضعفين مثلما كان الرسول الكريم . لقد عاشروه معاشرة طويلة فأروا فيه العابد الزاهد الفقيه ، البليغ ، الشجاع ، المحافظ على الإسلام ومسيرته المنطلقة إلى الكمال .

وبانتقال الرسول العظيم إلى الرفيق الأعلى حدثت هزة عنيفة في الكيان الإسلامي كادت تقضي عليه ، أو تعيق مسيرته في التحرير والبناء ، وإشادة الدولة العربية الواحدة التي يرفرف فوقها أعلام الهدى والمحبة ، والعدل ، والإخاء ، والسلام والإيمان .

عندما كان الرسول ﷺ يجهز ليصير بجوار ربه تنادى الأنصار للاجتماع في سقيفة بني ساعدة لاختيار رجل منهم يخلف النبي ﷺ ويقود الدولة الوليدة . وسمع نفر من المهاجرين بهذا الاجتماع فتراكضوا وعلى رأسهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) واشتبكوا مع الأنصار بجدال طويل بينوا فيه أن المهاجرين أولى بخلافة الرسول ﷺ من الأنصار ، وأوردوا حججاً عديدة منها أن النبي من قريش ، وأن المهاجرين عشيرته ومن ذوي قرباء ، وأورد أبو بكر رضي الله عنه حديثاً عن النبي ﷺ نصّ على أن الأئمة من قريش ، وبعد هذا الجدل طلب عمر رضي الله عنه من أبي بكر أن يسط يده لبياعه لأنه صاحب الرسول ﷺ في الغار وهو رفيقه في هجرته ، وكان من صحابته المقرَّبين ، فباعه عمر أولاً ثم تتابع على المبايعة المهاجرون والحاضرون ثم الأنصار الذين كانوا منقسمين على أنفسهم لأن الخزرج كانوا يريدون الأمر لأنفسهم .

كان عليّ رضي الله عنه منشغلاً بتجهيز النبي ﷺ وتوديعه لمثواه الأخير ، وكان بنو هاشم معه ، ويلتفت بهم ويساعدهم باقي فئات المسلمين من المهاجرين ومن الذين لم يفكروا بأن الخلافة ستكون من نصيبهم .

حدث الأمر وأصبح أبو بكر رضي الله عنه خليفة للرسول ﷺ والإمام علي رضي الله عنه غائب ، فماذا يفعل ؟ امتنع عن المبايعة لأبي بكر وتحزّب له مشايعوه فلم يبايعوا أيضاً ، وفي هذا الموقف الحرج جاءت الأخبار كالشّور المستطير تنذر بارتداد قسم من الأعراب عن الدين الإسلامي وكانوا إلى جوار المدينة ، ثم جاءت أخبار أخرى بارتداد فئة من الأعراب في الجزيرة العربية وفي اليمن أيضاً ، بل وتنابأ بعض المرتدين وصار لهم أتباع وأنصار ، وكان لا بد من العمل السريع والقضاء على الرِّدة قبل أن تستفحل وتستشري . ويسارع أبو بكر والمسلمون عامّة

وعليّ عليه السلام ومشايعوه إلى الجهاد في سبيل القضاء على المرتدين والأنبياء المدّعين الكاذبين ، ويتوقف الخصام حول الخلافة وأفضلية أو أحقية من يتولاها ، ويقال إن السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها عذلت الإمام علي عليه السلام على تركه المطالبة بحقه في الخلافة أثناء حروب الردة ، وعندما همّ بالرد عليها أذن المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقال لها : هذا ما يسعى المرتدون للقضاء عليه ، ولن أمكنهم من ذلك وأفرق بين المسلمين .

بعد وفاة النبي ﷺ بستة أشهر توفيت السيدة فاطمة رضي الله عنها وكانت مخصصة لأبي بكر رضي الله عنه لأنه منعها ميراث والدها الكريم في ذلك . بايع الإمام علي عليه السلام أبا بكر رضي الله عنه وانطلق مشايعوه وأتباعه ، وكلّ المؤمنين بالدين الإسلامي ليحرروا إخوانهم في العراق وبلاد الشام ، ولينشروا راية الدين الجديد ، راية العدل والإيمان فوق بلاد العرب ، وليجعلوها ترفرف أيضاً فوق ربوع بعيدة تسكنها أمم مغلوبة مقهورة ، مظلومة من حكامها .

بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه بايع الإمام علي عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الجديد ، وبعد فترة من خلافته أصبح مقرباً إليه ، واعتمد عمر عليه ، وبخاصة في المعضلات القضائية والمشكلات ممّا جعل عمر رضي الله عنه يردّد : «لولا عليّ لهلك عمر» وعقب إجلاء أية معضلة صعبة من قبل علي عليه السلام كان عمر رضي الله عنه يصيح : «لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن» . وإذا عرضت عليه قضية في الفقه لا يجد لها حلاً يبادر إلى الاستنجاد بالإمام علي عليه السلام ليفتي فيها بعلمه ، وفقهه ، وكان يردّد : «لا يفتين أحد في المسجد وعليّ حاضر» .<sup>(٣١)</sup> وقد شدد في هذا الأمر لأنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «أقضاكم عليّ» ، والقضاء هو الفقه . بل رأينا من خلال اطلاعنا على تاريخ الإسلام وبحثنا في هذه الكتب المصنّفة في مثل هذه المواضيع أن عمر رضي الله عنه في سني حكمه الأخيرة يقرب الإمام وأنصاره إليه ، وقد ولى بعضهم الولايات ، فقد ولى سلمان الفارسي ، وهو من أشد أنصار الإمام ، الكوفة فسار فيها سيرة عادلة تنزع إلى مساواة الفقراء بالأغنياء ممّا دفع الأغنياء إلى طلب عزله عنهم فعزله عمر ، ومع ذلك لم يؤثر هذا العزل على الصلة بين الجانبين .

ويحلو للمؤرخين المعاصرين والدّارسين والباحثين في آياتنا أن يصوّروا الإسلام في بداياته وانقسام الناس فيه بما يجري حديثاً من تبنيهم مذاهب تسلك مسالك اليمين السياسي ، ومذاهب تسلك مسالك الوسط ، ومذاهب تسلك مسالك اليسار . وقد درس انقسام المسلمين إلى مذاهب اجتماعية في صدر الإسلام الباحث والمفكر أحمد عباس صالح من القطر المصري الشقيق في كتاب مستقل صدر تحت عنوان : «اليمين واليسار في الإسلام» .

يرى المؤلف أن الإسلام منذ بداياته كان يضم أنصار اليمين المسلم، وأنصار الوسط، وأنصار اليسار، وقد وضع على رأس اليمين التجار الكبار والعائلة الأموية، وأصحاب الثروات المكوّنة من الغنائم وفتح الأمصار، أما الوسط فيقوده ويمثله جمهور من المسلمين بقيادة أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أما اليسار فيشكل جمهوراً كبيراً من المسلمين يقوده الإمام علي رضي الله عنه والصحابة الذين كانوا مقرّبين من النبي صلى الله عليه وآله، ويرى أن اليسار كان مثالياً لم يلجأ إلى العنف والاعتداء، بل كان يقود المعارضة الهادئة أيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأن عمر تحالف مع اليسار في أخريات حكمه، وقد شدّد على أصحاب الثروات والقادة فبدأ التأمير لقتله والقضاء على تشريعاته. يقول أحمد عباس صالح: «إلى جانب هذا التشدد والتحول الغريب الذي طرأ عليه وهو تحول إلى اليسار سواء في سلوكه أو في تعليماته لعمّاله على مختلف الأمصار وتشدده في محاسبتهم لصالح غالبية المسلمين بل لصالح شعوب الأمم المهزومة، فإنه قد بدأ يحدث المقرّبين بالتفكير في تشريعات جديدة تمسّ مصالح الأغنياء فيصرّح في آخر أيامه قائلاً: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت من الأغنياء فضول أموالهم فرددتها على الفقراء»<sup>(١٠)</sup>.

ويقول أحمد عباس صالح: ومن الغريب حقاً أن يقتل عمر بن الخطاب وهو على وفاق تام مع عليّ وصحبه. ويرى أن قتل عمر كان مؤامرة من اليمين الذي وثب على الحكم بمجرد تولية عثمان بن عفان الخلافة.

وقد وجدت مؤرخاً معاصراً آخر يرى قتل عمر رضي الله عنه مؤامرة دبّرها أغنياء قريش للتخلص من عمر وشدّته وتشدّده ليستريحوا منه ومن أعماله، ولتصدروا قيادة الإسلام، وينحرفوا به ليحقّقوا مصالحهم الخاصة.

هذا المؤرخ هو الشيخ محمد الخضري مؤلف كتاب (الدولة الأموية) يشرح كيفية مقتل عمر بن الخطاب «كان المسلمون يسبون من أبناء فارس ويتخذونهم لأنفسهم عبيداً... وكان من هؤلاء السبايا رجل اسمه فيروز ويكنى بأبي لؤلؤة، وهو غلام للمغيرة بن شعبة. فبينما عمر يطوف يوماً في السوق لقيه ذلك الغلام فقال: يا أمير المؤمنين، أعطني على المغيرة بن شعبة فإن عليّ خراجاً كثيراً. قال: وكم خراجك؟ قال: درهمان في كلّ يوم. قال عمر: وأيش صناعتك؟ قال: نجار، نقاش، حدّاد. قال: فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال، وقد بلغني أنك تقول: لو أردت أن أعمل رحيّ تطحن بالريح فعلت. قال: نعم. قال: فاعمل رحيّ، قال: إن عشت لأعملنّ لك رحيّ يتحدث بها من في المشرق

والمغرب، ثم انصرف عنه، فقال عمر: لقد توعدني العبد أنفأ، ثم انصرف عمر إلى منزله.  
فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار فقال: يا أمير المؤمنين: اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام، قال: وما يدريك؟ قال: أجده في كتاب الله، التوراة. قال عمر: والله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة!...

قال: اللهم، لا، ولكن أجد صفتك وحليتك، وآته قد فني أجلك، وعمر لا يحسن وجعاً ولا ألماً.

فلما كان من الغد جاءه كعب فقال: يا أمير المؤمنين ذهب يومٌ وبقي يومان. ثم جاءه من غد الغد فقال: قد ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي لك إلى صبيحتها. ولو صحت هذه الحكاية وكنت ممن يحقق في هذه القضية ما ترددت لحظة في أن لكعب يداً في مقتل عمر! وأنه كان عالماً بما تم عليه الاتفاق بين المؤتمرين على عمر!!... وربما يقال: لو كان كذلك فما يدعو كعباً إلى إنباء عمر بهذا النبأ؟ والجواب على ذلك سهل، فإنه ينال بذلك بين المسلمين مركزاً عظيماً فإن كثيراً منهم يرون بعد ذلك أن توراته فيها علم كل شيء، وأنه صادق في كل ما يخبر به فلا يتردد سامعه لحظة في تصديقه بما يوحى إليه. وكعب هذا ممن أفاض علينا من الأخبار الإسرائيلية التي لا ندري حقيقتها، ولا ريب أن فيها شيئاً كثيراً هو كذب محض لأن التوراة بأيدينا وليس فيها ما أنبأ ذلك الرجل.<sup>(١)</sup>

طمعن عمر وطمست المؤامرة إذ قام عبيد الله بن عمر بقتل الهرمزان الفارسي بدون تحقق من أنه وراء المؤامرة وكل ذنبه أنه فارسي والقاتل أبو لؤلؤة فارسي.

وقد طالب الإمام علي عليه السلام بتقديم عبيد الله إلى المحاكمة ولكن عثمان وقد صار ولي أمر المسلمين لم يقبل بذلك وسوغ الأمر بأن الأب قتل قبل ثلاثة أيام ولا يجوز أن تقتل الابن بعد أبيه وقيل: قبل أن يفارق عمر الدنيا أمر بتشكيل مجلس مؤلف من ستة أشخاص لاختيار واحد منهم ليكون خليفة للمسلمين، وهؤلاء الستة هم: الإمام علي عليه السلام وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم ومن تأليف هذا المجلس بدا وكان الخليفة المقبل هو عثمان بن عفان، إذ عبد الرحمن وعثمان بينهما قرابة بالمصاهرة، وسعد بن أبي وقاص لا يرتاح إلى علي عليه السلام لأنه يرى نفسه أهلاً للخلافة مثل كل واحد من أعضاء المجلس، وطلحة له الرأي نفسه، والهدف عينه بالإضافة إلى أنه كان غائباً وقت انتخاب الخليفة الجديد. ولم يبق من أعضاء هذا المجلس سوى الزبير بن العوام وكان هواه مع الإمام علي عليه السلام.

وقد انسحب عبد الرحمن بن عوف من فريق الخلافة ليجعل من نفسه حكماً مرجحاً في اختيار الخليفة. وعند ذلك وضحت الأمور بأن عبد الرحمن سوف يعين عثمان خليفة. وبعد مشاورات استمرت ثلاثة أيام حصر أمر الخلافة بعليّ عليه السلام وعثمان بن عفان رضي الله عنهما. وقام عبد الرحمن بتمثيل دوره المعتنق وعرض الخلافة على عليّ عليه السلام ولكن بشرط محدد وهو أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الخلفيتين من بعده. فقال الإمام عليّ عليه السلام: «أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي». فتركه وانتقل إلى عثمان وقال له مثلما قال للإمام، فقبل عثمان مباشرة ويدون تردّد فبايعه عبد الرحمن بالخلافة وتأخر الإمام وهو يقول: سيبليغ الكتاب أجله، ويقال إنه دعا أن يفرّق الله بينهما، وقد استجيبت دعوته ومات عبد الرحمن وهو مخاضم لعثمان، وأوصى ألا يصلي عليه عثمان.

يحضرني سؤال: ترى لو قبل الإمام عليّ عليه السلام بعرض وشرط عبد الرحمن كيف كان سيسميه خليفة وعثمان قابل الشرط نفسه؟

كثير من المؤرخين يرون أن قريشاً كانت لا تريد لبني هاشم أن يجمعوا بين النبوة والخلافة، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب إذ عبّر عن ذلك بأكثر من مناسبة وكان يرى عدم تولية هاشمي أي منصب أو غيره ولو كان الهاشمي القوي الأمين حسب تعبير المحامي: أحمد حسين يعقوب.<sup>(١١)</sup>

صار عثمان خليفة، والتفت حوله عائلته الأموية، وفي أول مجلس عائلي دخل عليهم أبو سفيان وكان أعمى، وبعد أن هنأ عثمان قال: يا بني أمية تلقفوها مثلما تلقف الكرة فوالله إنه الملك وما من جنة أو نار. وكان الزبير حاضراً فقال: والله لا كتمتها عنك، ويقال: إن عثمان لام أبا سفيان.

لم يقم عثمان بأي عمل يناقض تصرفات عمر رضي الله عنه ولكن بعد سنة من حكمه قام بعزل ولاة الأمصار، وعين بدلاً منهم أفراداً من عائلته كان منهم السكير الفاسق: الوليد بن عتبة ابن معيط، ولاة الكوفة فصلّى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات ثم قال: لئن شتم لأزيدنكم، وولّى عبد الله بن أبي سرح أفريقيا وهو افترى على الله الكذب وحاول تحريف كتاب الله، وكان مسلماً ثم ارتدّ، وأعاد الحكم بن العاص بن أمية وكان الرسول صلى الله عليه وآله قد نفاه إلى الطائف، ولم يعده أبو بكر ولا عمر رغم مراجعة عثمان لهما مراراً بشأنه.



وعندما صار عثمان خليفة أعاده معزّزاً مكرّماً وأعطاه تعويضاً مقداره مئة ألف درهم، ثم عيّن ابنه مروان بن الحكم كاتم سرّ الخليفة بالرغم من أنه كان يلقّب بخيط باطل لاضطراب في عقله. ثم التفت إلى أفراد الأمة المعارضين يضربهم بالسوط، ويكسر أضلاع صحابة رسول الله ﷺ المخالفين له، وينفي أبا ذرٍّ رضي الله عنه فيموت في صحراء الريزة وحيداً، لا يجد كفناً. ويعتدي على عمّار بن ياسر بالضرب حتى حصل له فتق، واستأثر ببيت مال المسلمين ينفقه على أفراد عائلته الأموية. ولما كثرت أعماله البعيدة عن الشريعة انفضّ الناس عنه وتوجّهوا نحو الرمز الباقي لهم من بيت النبوة ألا وهو الإمام عليّ عليه السلام، فكثرت الشيعة في أطراف الأرض، ولما بلغ الكتاب أجله تنادى المعارضون لحكم عثمان وعائلته الأموية، وانطلقوا إلى المدينة المنورة من مصر والكوفة والبصرة، وهي الأمصار الرئيسة ليضاف إليها الشام في الدولة العربية الإسلامية الفتية.

وقد طلب المعارضون إلى عثمان عزل ولاته من بني أمية والسير فيهم بسيرة الرسول الكريم، أو بسيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فوعدهم خيراً.

ويسجل المؤرخون على عثمان أنه أرسل لعامله على مصر كتاباً يأمره فيه بقتل الوفد المصري المعارض وعلى رأسه محمد بن أبي بكر. وتشاء المصادفة أن يقع الكتاب في يد الوفد قبل وصوله إلى مصر، فيعود الوفد المصري إلى المدينة ويجتمع إلى كبار الصحابة ويطلبهم على الكتاب، ويطلب الصحابة تفسيراً من عثمان فيحلف إنه ما كتب هذا الكتاب وحينما يواجهونه بخاتمته على الكتاب لا ينكر الخاتم ويفهم أن مروان كاتم سره هو الذي كتب الكتاب، ويتهم المجتمعون عثمان بأنه ضعيف لا يصلح للخلافة ويرغبون إليه أن يخلع نفسه منها فيرفض فيقدم المعارضون من مصر والكوفة والبصرة على حصاره في داره، ثم تقوم جماعة منهم بتسلّق جدران المنزل، ويقدم أحدهم على قتله فيقتل القاتل أحداً المدافعين عن عثمان.

تتالت الأحداث بسرعة وقتل الخليفة بعد تمرّد جماعيّ أو شبه جماعيّ، وهذا يحدث لأول مرة في الإسلام، إذ يثور قسم كبير من الرعية على الخليفة ولا يجد له ناصراً سوى قلّة ممّن استفادوا من حكمه وأمواله. وقد كان من المفترض أن ينصره والي الشام المقرب إليه كثيراً وهو معاوية بن أبي سفيان وكان أقدر الولاة على تأمين الحماية لعثمان ومنع المحاصرين من قتله لأن الحصار استمرّ أكثر من أربعين يوماً، ولكن معاوية تأخّر في إرسال جيشه، ولم يصل إلى مشارف المدينة إلا بعد مقتل الخليفة بأيام.

## المراجع

- ٣٣- لسان العرب ص٢٣٧٧ طبعة دار المعارف بمصر .
- ٣٤- مقدمة ابن خلدون ص١٩٦ .
- ٣٥- الشيعة في الميزان ص١٥ .
- ٣٦- الشيعة في الميزان ص١٧ .
- ٣٧- نهج البلاغة ج ٢٠ ، ص٢٢١-٢٢٢ .
- ٣٨- نهج البلاغة ج ٢٠ ، ص٢٢٦ .
- ٣٩- نهج البلاغة ج ١ ، ص١٨ .
- ٤٠- اليمين واليسار في الإسلام ، ص٦٤ .
- ٤١- الدولة الأموية ج ٢ ، ص٢٠-٢١ .
- ٤٢- النظام السياسي في الإسلام ص٤٠ ، عن الإمامة والسياسة ص٢٧ .

## الفصل الرابع

### الإمام عليّ خليفة

ما حدث في المدينة كان ثورة بكل ما للكلمة من معنى ، وهذه الثورة اشتركت فيها جماعات من أقطار لها وزنها السياسي والاقتصادي والعسكري في الدولة .

وكان هوى أغلب الثوار مختصاً بالإمام عليّ عليه السلام ، وبخاصة في مصر والمدينة المنورة عاصمة الخلافة وفي الكوفة ، وإن كان قسم من وفد الكوفة هوأ مع الزبير بن العوام وأما ثوار البصرة فكانوا بغالبيتهم يميلون إلى طلحة ، وكان طلحة من المحرّضين على عثمان ، ولكن ما دامت الأكثرية تميل إلى (علي) عليه السلام فقد اتجهت إليه بقلوبها ميمّة داره ، وطالبته بقبول الخلافة ليعود بالإسلام إلى سيرته الأولى فتردد ، فألحوا عليه ، وطالبوه بأن يسطر يده ليبيعه فرفض أن تكون المبايعة في داره ، وأرادها عامّة في المسجد ، وكان أول المبايعين طلحة وكانت يده شلاء فتشاهم الناس ثم تلاه الزبير فبقية الصحابة من المهاجرين والأنصار ، ثم بايع أهل المدينة عامّة ، وبايع الثوار الحاضرون من الأمصار .

ويذكر المؤرخون أن البيعة تمت للإمام عليّ عليه السلام بعد خمسة أيام من مقتل عثمان وبعضهم يزيدّها إلى ثمانية .

وقبل أن نتابع سردنا لتطوّر الأحداث يجب أن نتوقف قليلاً عند أمر يركّز عليه بعض المؤرخين كثيراً في تأليب الناس على عثمان ، فينسبون هذا التأليب لشخص يدعى عبد الله ابن سبا ، وقد جعلوا منه قوة محرّكة للجماهير في جميع أنحاء الدولة المترامية الأطراف ، ونسبوا إليه أعمالاً تحريضية يعجز عن القيام بها حزب معارض كثير الأنصار والأعوان إنهم يريدون أن يطمسوا على العقول بتركيزهم على هذا الشخص وقدرته الفائقة في التحريض والتمرد ، والضحك على عقول المسلمين كافة .

هو رجل بمفرده نسبوا إليه هذه الأعمال الخارقة وركزوا عليه بوصفه يهودياً أسلم ، ولم يركّزوا على كعب الأحبار الذي كان يهودياً وأسلم وكاد للإسلام كيداً كبيراً وأدخل في الفقه والتفسير كثيراً من الإسرائيليات لم يستطع علماء وفقهاء الإسلام التخلص منها حتى هذا اليوم .

ولأنّ قل لكم رأي الكاتب التقدمي أحمد عباس صالح في ابن سبأ، يقول : «وهنا يتردد اسم عبد الله بن سبأ وهو شخص كان يهودياً وأسلم، تصوّره كتب التاريخ على أنه كان الشيطان وراء الفتنة التي قتل فيها عثمان، بل وراء الأحداث جميعاً. وقد وقف منه الكتاب مواقف متعارضة، فمنهم من ينكر وجوده أصلاً، ومنهم من يعتبره أساس كل ما جرى، بل أساس ما دخل في الإسلام من مذاهب غريبة منحرفة. وعبد الله بن سبأ شخص خرافي بغير شك، فأين هو من هذه الأحداث جميعاً، وأين هو من الصراعات الناشئة في هذا العالم الكبير المتعدد، وماذا يستطيع شخص مهما تكن قيمته أن يلعب بمقداره بين هذه التيارات المتطاحنة؟

إن الأحداث السريعة العنيفة المتلاحقة لم تكن في حاجة إلى شخص ما حتى ولو كان الشيطان نفسه، لأن أصولها بعيدة الغور، وقوة اندفاعها لا قبل لأحد بالسيطرة عليها أو توجيهها، فضلاً عن تشابكها، وتعددها بما لا يدع لأي قوة أن تزيدها تعقيداً.

وساذج بغير شك التفكير الذي يتجه إلى خلق شخصية خرافية كهذه ليعطيها أي تأثير فيما حدث من أحداث وأكثر سذاجة منه من يظن لهذا الرجل تأثيراً ما على كبار الصحابة ومنهم أبو ذر الغفاري نفسه الذي لم يقبل مناقشة من أبي هريرة المحدث المعروف وضربه فشحة قائلاً بازدرأ: «أتعلمنا ديننا يا بن اليهودية؟!». إنّما كلّ ما حيكَ من قصص حول عبد الله بن سبأ هو من وضع المتأخرين فلا دليل على وجوده في المراجع القديمة فضلاً عن هزلة التفكير في احتمال وجوده أصلاً. <sup>(١٣)</sup> (والكثير من المؤرخين والمحدثين ضَعَفُوا سيف بن عمر الذي اخترع قصة عبد الله بن سبأ ويقولون عنه ليس بثقة ولا مأمون، ومتروك ومتهم بالزندقة، وكذّاب وقالوا: كان يضع الحديث وهو صاحب الغرائب في الأخبار وصاحب سلسلة من الروايات الشاذة عن منطق العقل والشرع)، «من كتاب: لقد شيعني الحسين» لـ إدريس الحسيني.

بعد أن صار الإمام علي عليه السلام خليفة كان أوّل أعماله عزل ولادة عثمان لقناعته بعدم جدواهم في تولي أمور المسلمين، واستبدلهم بجماعة من كبار الصحابة المشهود لهم بالعدل والاستقامة. واستلم كل وال جديد عمله ما عدا والي الشام سهل بن حنيف الذي ردّه معاوية قبل أن يطأ مدينة دمشق، واتخذ معاوية مقتل عثمان حجة يحتج بها للممانعة في بيعة علي عليه السلام واعتبر نفسه ولي عثمان، وقد ألّب أهل الشام ضد الخليفة الجديد، وكان جل أهل

دمشق وحمص من قبائل الكلية اليمانية الذين كان لهم الدور الأول في تثبيت حكم معاوية في بلاد الشام، وكان معاوية قد تزوج منهم امرأة ميسون بنت بحدل الكلية التي كانت ابنة زعيم من زعمائهم، وهي أم ولده يزيد وقد تزوجت معاوية وهي تدين بالمسيحية وظلت على مسيحيتها بعد الزواج منه، واضطر لطلاقها بعد أن نظمت قصيدة تحن فيها إلى البادية وإلى قومها وإلى أبناء عمها الطوال الهيف، وتغمز من معاوية وتشبهه بعلج من أعلاج الروم.

قام عليّ عليه السلام بتجهيز جيش للتوجه إلى الشام لقتال معاوية لكن الأخبار جاءت به بتمرد طلحة والزبير والسيدة عائشة عليه، لقد نكس طلحة والزبير البيعة وتحالفا مع السيدة عائشة التي كانت تبغض الإمام (عليه السلام) لعدة اعتبارات.

ليس من المستبعد أن تكون الأموية ممثلة بمعاوية وراء دفع الثلاثة للانشقاق وإحداث الفتنة كي لا يستقر الأمر للإمام عليه السلام.

وقد اجتمع المتمردون في مكة أولاً، ثم انطلقوا بأتباعهم نحو البصرة التي كانت تميل إلى طلحة، وأركبوا عائشة جملأ اسمه «عسكر» ولما وصلوا إلى الريدة وفي مكان يدعى الحووب نبحتهم كلاب القرية فسألتهم السيدة عائشة عن المكان: فقالوا لها إنه الحووب، فنزلت عن هودجها، وقالت: ردوني، ردوني، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول لنسائه: إن إحداكن ستبجحها كلاب الحووب، والتفت إليّ وقال: إياك أن تكوني أنت يا حمراء (لقب عائشة).

لم يتركها أتباعها تعود فقد حضر لها ابن أختها عبد الله بن الزبير خمسين أعرابياً أقسموا لها أيماناً كاذبة إن المكان لا يدعى الحووب وكان عبد الله قد قام برشوتهم زوراً وكذباً، فصدقتهم، وتابعوا مسيرتهم إلى البصرة.

وعندما سمع الإمام عليّ عليه السلام بمسيرهم إلى البصرة اعتلى المنبر وخطب في المسجد قائلاً: «أيها الناس إن عائشة سارت إلى البصرة ومعها طلحة والزبير، وكل منهما يرى الأمر له دون صاحبه، أما طلحة فابن عمها، وأما الزبير فختنها (صهرها) والله لو ظفروا بما أرادوا لن ينالوا ذلك أبداً.

ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد.

والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا تحل عقدة إلا في معصية الله وسخطه حتى توردها نفسها ومن معها موارد الهلكة. إي والله ليقتلن ثلثهم، وليهرين ثلثهم، وليتوين

ثلثهم، وإنها التي تنبجها كلاب الحووب، وإنهما ليعلمان أنهما مخططان، وربّ عالم قتله جهله ومعه علمه لا ينفعه، حسبنا الله ونعم الوكيل فقد قامت الفتنة فيها الفئة الباغية.

أين المحتسبون، أين المؤمنون، مالي ولقريش، أما والله لقد قاتلتهم كافرين ولاقتلتهم مفتونين، وما لنا إلى عائشة من ذنب إلا أننا أدخلناها في حيزنا.

والله لأبقرن الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته، فقل لقريش فلتضجّ ضجيجها، ثم نزل<sup>(١)</sup>.

وبعد أن حشد جيشه اتجه نحو البصرة به راجياً أن يجدهم في الرّيّة وعندما وصلها وجدهم قد غادروها فأرسل يستنفر أهل الكوفة ولكن واليها أبا موسى الأشعري، الذي أبقاه الإمام والياً ولم يعزله مثلما فعل بولاية عثمان، حاول تشييط عزائم أهل الكوفة وردعهم عن مساعدة الإمام عليّ عليه السلام، ولكن الحسين بن عليّ (عليهما السلام) ردّ على أقواله وتصرفاته الحمقاء الطائشة وألزمه اعتزال عمله، فسار الشيعة من الكوفة في البرّ والنهر حتى التحق جيش منهم بجيش الإمام عليه السلام.

وقد تابع الإمام عليه السلام تقدّمه بجيشه ليدرك (الناكثين) قبل وصولهم إلى البصرة، غير أن الناكثين كانوا قد وصلوها وغدروا بواليتها عثمان بن حنيف، وقاموا بتنف حاجبه ولحيته وأرسلوه إلى عليّ عليه السلام، ثم استولوا على مخازن السلاح وبيت المال، ودعوا الناس إلى خلع الإمام عليّ عليه السلام من الخلافة فانقسم أهل البصرة قسمين: قسم أيدهم ودخل في طاعتهم، والقسم الثاني خالفهم وظلّ متمسكاً ببيعة الإمام عليه السلام، بل ونشب بين القسمين قتال. وعندما وصل الإمام عليّ إلى مشارف البصرة نشب قتال بينه وبين الناكثين يوم الخميس منتصف شهر جمادى الآخرة عام ٣٦هـ، وكان جيشه عشرين ألفاً، وجيش خصومه ثلاثين ألفاً، وقد صدق الإمام عليه السلام في قوله في أهل البصرة فعندما وصل إليها افترق أهلها ثلاث فرق:

١. فرقة معه. ٢. فرقة مع خصومه. ٣. فرقة اعتزلت.

وقبل نشوب القتال قام الإمام عليّ عليه السلام بإرسال الرسل إلى خصومه ليعودوا عن رأيهم، وليتقوا الفتنة، ولكنهم صمّوا آذانهم وركبوا الفتنة وتصاقوا للقتال عند ذلك صفّ الإمام جيشه وخطب فيه: «لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم فإنكم بحمد الله على حجة،

وكفكم عنهم حتى يدؤوكم حجة أخرى ، وإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح ، وإذا هزمتوهم فلا تتبعوا مديراً ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، وإذا وصلتكم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سترأ ، ولا تدخلوا دارأ ، ولا تأخذوا من أموالهم شيئأ ، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم ، وسبين أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف القول والأنفس والعقول .

لقد كنا نؤمر بالكف عنهم وإنهن لمشركات ، وإن كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة والجريدة فيغير بها وعقبه من بعده» .<sup>(١٥)</sup>

ثم طلب إلى أحد أشياعه أن يرفع القرآن الكريم بين الجيشين ليكون حكماً بينهما ، وأوضح لحامل القرآن ، وكان فتى ، بأنه سيقتل فتدرد ولكنه أخذ القرآن العظيم ورفع بين يديه إلى أعلى ما يستطيع ودعا الجيشين إلى تحكيم الفرقان ، وبذ القتال ، فجاءته رشقة سهام من جيش البصرة أردته قتيلأ ، عند ذاك بدأ القتال .

وخرج الزبير يطلب القتال والنزال فخرج إليه الإمام علي عليه السلام غير لابس لأمة حربه ، بل كان حاسراً لا يلبس فوق ثيابه درعأ ، وابتدره الإمام علي عليه السلام : يا زبير أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بني غنم فنظر إلي فضحك إلي وضحك إلي ، فقلت : لا يدع ابن أبي طالب زهوه . فقال لك : صه ، إنه ليس به زهوه ، ولتقاتلته وأنت له ظالم . فقال : الزبير : اللهم ، نعم ، ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا ، والله لا أقاتلك أبداً ، ثم اعتزل القتال ، وذهب إلى وادي يقال له وادي السباع فاتبعه رجل يقال له عمرو بن جرموز فغدر به وهو يصلي وأحضر فرسه وخاتمه وسلاحه لعلي عليه السلام وطلب جائزة لقتله الزبير فقال له الإمام علي عليه السلام : أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : بشر قاتل ابن صفية بالنار أما طلحة فقد رماه مروان بن الحكم بسهم فقتله لأنه كان يعتبره من المحرضين على قتل عثمان ، واشتد القتال حول الجمل الذي تركبه السيدة عائشة ، ورشق الجمل بالنبل حتى صار مثل القنفذ .

ثم أمر الإمام علي عليه السلام بعقر الجمل فأسرع إليه أهل الكوفة ، ولكن أهل البصرة أحاطوا بالجمل يدافعون عن السيدة عائشة وكان أشدهم دفاعاً بني ضبة الذين قتل منهم ألف رجل ، ولما برك الجمل أسرع محمد بن أبي بكر ، وكان في جيش الإمام علي عليه السلام وحمل مع آخرين هودج أخته عائشة وأخذها بعيدأ عن مكان القتال ، وبعد المعركة سار الإمام علي عليه السلام معها جيشأ من النساء يرتدين زي الرجال وقمن بحراستها حتى وصلت مكة ، ولم تكن تعرف أنهن نساء

حتى وصلت بيتها فكشفت عن وجوههن وعرفنها بحالهن . انتصر الإمام عليه السلام بمعركة الجمل وأمر بعدم الإجهاز على الجرحى أو ملاحقة الهاربين ، وأمر بدفن القتلى من الجانبين ، وصلى عليهم ، ولم يسمح بنهب أو سلب دور أعدائه ، ولكنه قام بفتح بيت المال ترافقه جماعة من المهاجرين والأنصار ، فلما رأى كثرة ما فيه من الأموال قال : غري غيري ، مراراً ، ثم نظر إلى المال فصعد فيه بصره وصوب وقال : «اقسموه بين أصحابي خمسمائة ، خمسمائة ، فقسم بينهم فما نقصت القسمة درهماً ، ولا زادت درهماً كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره» .<sup>(١٧)</sup>

بعد أن انتهى أمر البصرة ذهب الإمام عليه السلام إلى الكوفة مع صحبه ، واستقر بها ، واتخذها عاصمة للدولة لأنه كان يراها قريبة من بلاد الشام حيث بدأ يعدّ العدة لقتال معاوية .

وما إن أخبرته عيونته في بلاد الشام بمسير معاوية بجيش كثيف لغزو العراق ، حتى سار بجيش لجب لملاقاة معاوية ، وقد التقى الجيشان في مكان يدعى (صفين) قرب سد الفرات اليوم «بجوار مدينة الرقة» وكان جيش معاوية قد سيطر على مواقع المياه ليميت جيش علي عليه السلام عطشاً ، وبعد قتال شديد استطاع جيش الإمام عليه السلام طرد جيش معاوية عن مناهل المياه لكنه سمح لأفراد هذا الجيش بالسّقي بدون رادع .

ويعد مراسلات بين الطرفين ومحاولات عديدة لتجنب القتال بدأ معاوية القتال ، ولم يبدأ علي عليه السلام إلا بعد أن طلب إلى رجل من جيشه أن يرفع المصحف الشريف ويدعو معاوية وجيشه للقبول بما جاء في القرآن الكريم من دعوة إلى الصلح ونبد للحرب ، ومثلاً جرى يوم الجمل جرى في صفين أيضاً إذ أقدم جيش معاوية على قتل حامل المصحف المطهر ، وهكذا بدأت موقعة (صفين) التي بدأت في ذي الحجة عام ٣٦هـ وانتهت في ١٣ صفر عام ٣٧هـ .

ابتدأت بين جيشين عظيمين:

١ - جيش الإمام علي عليه السلام ويبلغ تعداده تسعين ألفاً .

٢ - جيش معاوية ومقداره خمسة وثمانون ألفاً .

منذ البداية كانت الغلبة للإمام عليه السلام وجيشه ، ولما استحرّ (اشتدّ) القتال بأهل الشام وقتل منهم مقتلة عظيمة ، ووصلت طلائع جيش الإمام عليه السلام إلى مضارب معاوية الذي حاول الفرار غير أنه تراجع ، واجتمع بممرور بن العاص الذي أقنعه برفع المصاحف فوق الرماح ودعوة علي عليه السلام إلى التحكيم ، وقبول ما جاء في القرآن الكريم (لأحياء ما أحياء القرآن ولأماته ما أماته) .



أصبح جيش علي عليه السلام فشاها خمسمئة مصحف مربوطة إلى الرماح يرفعها جيش الشام الذي كان يردّد بأجمعه: كتاب الله بيننا وبينكم، وردّد قسم منهم: يا معشر العرب!.. الله الله في نساتكم وبناتكم، فمن للروم والأترار وأهل فارس؛ غداً إذا فنيتم؟ الله الله في دينكم. واجتمع رؤساء القبائل في جيش الإمام عليه السلام وطالب قسم منهم بوقف القتال والاستجابة للتحكيم، وقسم حضّ على متابعة الحرب حتى يتحقق النصر على معاوية وجيشه. وكان الإمام عليه السلام يرى متابعة الحرب وقال للمجتمعين: إنهم لا يريدون ما في الكتاب، ولكنهم يقصدون الخديعة والحيلة. ولكن الذين كانوا يرون التوقف عن القتال انتشروا بين قبائلهم. على رأسهم الأشعث بن قيس الكندي الذي يتهم بالتآمر مع معاوية لشيّط همم جيش الإمام عليه السلام. وحضّوهم على وقف القتال، وانقسم جيش الإمام عليه السلام إلى أربعة أصناف مثلما يقول السيد محسن الأمين:

الأول: أهل البصرة المخلصون للإمام في الظاهر والباطن، العارفون بحقه، العالمون بأنها خدعة: وهم القليل.

الثاني: المخلصون له بقلوبهم لكنهم خدعوا أو أحبوا البقاء.

الثالث: الذين ليس لعلّي عليه السلام في قلوبهم مكانته التي يجب أن تكون له مضافاً إلى أنهم قد خدعوا وهم القرّاء أهل الجباه السود، وهؤلاء كانوا وما زالوا في كلّ عصر أضّرّ من الفسّاق المتجاهرين بالفسق.

الرابع: المنافقون الذين يظهرون النصيحة ويبطنون الغش أمثال الأشعث وخالد بن المعمر، فكيف يتم مع هؤلاء أمر؟<sup>(١٧)</sup>

ولمّا رأى القرّاء تردّد الإمام عليه السلام في قبول التحكيم أحاط به عشرون ألفاً منهم وهدّوه باعتراله، بل ويقتله كما قتلوا عثمان بن عفان. وارتفعت أصوات من جيشه أيضاً تنادي برفض التحكيم، وصاحت جماعة: لا حكم إلا الله. وفي هذا الموقف المضطرب أمر الإمام عليه السلام الأشعث بوقف القتال وقبول التحكيم.

وليت الأمر اقتصر على ذلك فقد أرغم الإمام عليه السلام على اختيار حكم من قبله لا يرغب فيه، فقد فرض الأشعث عليه أبا موسى الأشعري الذي كان قد فارق الإمام عليه السلام بل وثبط عنه الناس.

كان الإمام يرغب في ابن عباس حكماً فقال الأشعث ومن تابعه من اليمانية : لا نريد أن يكون الحكماء : ابن عباس وابن العاص من قريش ، بل يجب أن يكون واحد يمانياً والآخر قرشياً .

وبعد ثمانية أشهر من وقف القتال اجتمع الحكماء في دومة الجندل وقد خدع عمرو بن العاص ، الحكم المختار من قبل معاوية ، أبا موسى الأشعري الذي كان مغفلاً ، فقد كان يقدمه أمامه ويعظمه ويجعله يتحدث قبله ، ويوافقه على أغلب آرائه إلى أن تمكن من السيطرة عليه ، وفي ختام مباحثاتهما طرح أبو موسى فكرة خلع عليّ ومعاوية من الخلافة ليختار المسلمون بعد ذلك من يرغبون خليفة فأيده عمرو بن العاص وطلب إليه أن يصعد المنبر ويعلمن ذلك على المجتمعين ، وعظمه ، وقدمه قبله مردداً : أنت صحبت رسول الله ﷺ قبلي ، وأنت أكبر مني سنناً وقد مات رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ .

وانطلقت الخدعة على المغفل ، وصعد المنبر وأعلن على الحاضرين أنه خلع علياً ومعاوية من الخلافة كما يخلع خاتمه وقام بخلع خاتمه من إصبعه ثم نزل .

وصعد الداهية عمرو بن العاص المنبر وقال : إن هذا قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فإنه ولي عثمان والطالب بدمه ، وأحق الناس بمقامه .

فقال له أبو موسى : ما لك ؟ لا وقّك الله . قد غدرت وفجرت ، وإنما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث ، وإن تتركه يلهث .

فقال عمرو : إنما مثلك مثل الحمار يحمل أسفاراً .

ولنعم ما قال الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه عبقرية الإمام : « كلبٌ وحمار فيما حكما به على نفسيهما غاضبين وهما يقضيان على العالم بأسره ليرضى بما قضياه ، وانتهت المأساة بهذه المهزلة ؛ أو انتهت المهزلة بهذه المأساة » .<sup>(١٨)</sup>

انتهت مهزلة التحكيم ، وهرب أبو موسى إلى مكة يجلبه العار ، وعاد عمرو لصاحبه يهته بالملك . ورفض الإمام عليّ عليه السلام وأهل العراق مهزلة التحكيم ، ونبغ في العراق قرن انقسام خطير ، فقد اجتمع الذين رفضوا قبول التحكيم في مكان قرب الكوفة يدعى (حروراء) وتعرضوا للمسلمين مثل قطاع الطرق ، يدعونهم إلى رفض التحكيم ، وقتال من يقرّ به .

وحاورهم الإمام عليه السلام مستنداً إلى القرآن والسنة فعاد قسم منهم إلى بيوتهم ، ولكن عدة آلاف منهم رفضت النقاش والعودة إلى حظيرة الدين ورأوا أن قتل المسلمين حل لهم ، وكفروا الأمة ، وقتلوا بعض الصحابة والتابعين .

عند ذلك شنّ عليهم الإمام عليه السلام غارة وقال لأصحابه : «لن يقتل منكم عشرة ، ولن ينجو منهم عشرة» ، وقد أفلت من الخوارج ثمانية انتشروا في العراق وتابعهم آخرون ، تكاثروا على مرّ الأيام حتى أصبحوا يشكلون خطراً حقيقياً على الإمام عليه السلام في العراق . ومع ذلك لم يبال بهم ، وصار يعدّ العدة للمسير بجيش كبير لقتال معاوية .

وتباطأ أهل العراق في الانضمام لهذا الجيش ، وفرّق قسم من أغنياء العراق ورؤساء القبائل إلى معاوية لأن الإمام عليه السلام ساوى بينهم وبين أفراد قبائلهم في العطاء ، ولم يفرّق بين عربي وعجمي ، وهذا أغضب أصحاب الأموال والجبروت والطفئان ، ورفضوا الانصياع إلى تعاليم الإسلام ، والتحقوا بمن قدم لهم بيت مال المسلمين بدون حساب .

إنهم موجودون في كلّ زمان ومكان ويرفعون في الوقت نفسه شعار التمسك بالدين ، والدعوة إلى التعصّب المذموم . ألا إن الدين منهم براء . إنهم تجار الدين والسياسة لاقتناص المغنم والمناصب ، والتحكّم في رقاب المسلمين .

ليس من المستبعد - على ضوء الدراسات الحديثة - أن يكون معاوية قد دبر مؤامرة لاغتيال الإمام علي عليه السلام - رأي أحمد عباس صالح .

إذ كيف يقتل الإمام عليه السلام ويصاب معاوية على عجزه - وكان ضخّم العجيزة - بينما يرسل عمرو بن العاص قائد شرطته ليقتهل الخارجي وهو يظنّه عمرو بن العاص .

إن معاوية قد استخدم الاغتيال للتخلص من خصومه : فقد تخلص من الأشتر ، وكان متوجّهاً إلى مصر والياً ، بأن سقاه أحد المكلفين من معاوية شربة عسل مسمومة ، وكذلك تخلص من أحد منافسي ولده يزيد في الحكم وهو عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بشربة مسمومة أيضاً . ألا ما أغرب الأمر ؟ أصحاب المبادئ المثالية يموتون اغتيالاً أو قهراً أو ظمناً أو حبساً ، أو فقراً ، بينما ينعم المستغلون بالثراء والسلطة والملك .

فجر السابع عشر من رمضان عام ٤٠ هـ يرتفع صوت الأشعث بن قيس الكندي في فناء دار قرية من المسجد يحث شخصاً على النهوض قائلاً : لقد فضحك الصبح . ويكمن القاتل

مع شريك له قرب المسجد في غبش الظلام ، وعندما يقترب الإمام علي عليه السلام من المسجد وهو يدعو مسلمي الكوفة إلى الصلاة يضربه القاتل عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم فيصيب رأسه ، وينهاوى إمام المستضعفين إلى الأرض ، وتضج ملائكة السماء : لقد سقط إمام أراد أن يملأ الكون عدلاً ومساواة ، ويقضي على الجور والظلم والاستغلال . وتبكي قلوب المؤمنين إمامها المرجو الذي رفع الحيف وقال : يا صفراء ويا بيضاء غري غيري ولم يعط أخاه عقيلاً درهماً واحداً زيادة عن عطائه مع أنه كان فقيراً مملقاً ، بل إنه قرب حديدة أحماها ولسعه بها فضج عقيل ، وقال الإمام عليه السلام له : إن أعطيتك من مال المسلمين بدون حق فإن العليّ القدير سيحاسبني ويا عقيل أنتخاف حديدة أحماها إنسان ، ولا تخاف ناراً أعدّها رب العالمين للكفار ومخالفي الشريعة ؟ .

ومن العجب أنه كان كلما مرّ بآبن ملجم كان يتمثل بهذا البيت :

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مُراد

فيقال : لم لا تقتله يا أمير المؤمنين ؟ فيردّ عليهم : كيف أقتل قاتلي ؟ . . (الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، ص ٧٣) .

وفي الليلة التي ضربه فيها الشقيّ ابن ملجم قال لابنه الحسن عليه السلام في السحر : يا بني : رأيت النبي صلى الله عليه وآله في نومة نمتها فقلت : يا رسول الله ، ما قببت من أمتك من اللاواء واللدد !! فقال : ادع عليهم . فقلت : اللهم أبدلني خيراً منهم ، وأبدلهم بي من هو شرّ مني .

ويفت نظر الباحثين والدارسين والمؤرخين ميلاد الإمام علي عليه السلام فقد ولد في الكعبة إذ كانت أمّه تطوف بها فجاءها المخاض فدخلت إلى جوف الكعبة فولدته ، وتوافق ميلاده مع استشهاده فقد ضرب بالسيف المسموم في المسجد بالكوفة .

المراجع :

٤٣ - اليمين واليسار في الإسلام ص ٩٥ - ٩٦ .

٤٤ - حرب الجمل وحرب صفين ص ٨١ .

٤٥ - حرب الجمل وحرب صفين ص ٤٥ .

٤٦ - حرب الجمل وحرب صفين ص ٦٠ .

٤٧ - حرب الجمل وحرب صفين ص ٢٣٥ .

٤٨ - حرب الجمل وحرب صفين ص ٢٥٢ .

## الفصل الخامس

### محاوية التشيع والمتشيعين

اغتيال إمام المستضعفين تمهيداً لتصفية العدل والمساواة، ونقاء الإسلام، ليعلو حكم المتسلطين والمستغلين والجائرين، ونهب بيت مال المسلمين. هذا هو شعور أهل العراق والحجاز وأطراف الدولة الفتية، أما أنصار معاوية في الشام فقد انتشرت علائم الابتهاج على وجوههم، وزغردت شرفات قصر الخضراء في دمشق، فقد حان تحقيق الحلم.

بعد اغتيال الإمام عليّ عليه السلام بايع أهل العراق ولده الأكبر الإمام الحسن عليه السلام خليفته للمسلمين، (منصب الأئمة بنصر إلهي نبوي يبلغه كل إمام لمن بعده وللشيعة جمعاء)، وطالبوه بشن الحرب على معاوية فجهز جيشاً تعداده اثنا عشر ألفاً، واتجه بهذا الجيش نحو الشام، لكن عندما وصل إلى المدائن فترت حماسة الجيش فتوقف وقام أحد أفراد بطمن الإمام الحسن عليه السلام في جنبه، وحاول بعضهم أن يربطه وثاقاً ويسلمه لمعاوية، وبعض آخر أراد قتله، وقد ألجأته هذه التصرفات إلى مراسلة معاوية الذي كان قد راسله قبل سرّاً للاتفاق معه على شروط الصلح وتسليم مقاليد الحكم له، وبعد مفاوضات استمرت أشهراً يتم الصلح ويستلم معاوية الحكم شريطة أن يكون الإمام الحسن عليه السلام وليّ عهده، وفي حال موت معاوية تعود الخلافة إلى الإمام الحسن عليه السلام، وثمة شرط آخر اشترطه الإمام الحسن عليه السلام على معاوية وهو ألا يتعرض لشيعة الإمام عليه السلام وألا يؤذيهم في أموالهم وأنفسهم، وقد قبل معاوية ذلك. وارتحل الإمام الحسن عليه السلام إلى المدينة بأهله بعد أن قال لأهل العراق أثناء اجتماعه مع معاوية بالكوفة: «يا أهل الكوفة لو لم تنهل نفسي عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت: مقتلكم أبي، وسلبكم ثقلي، وطعنكم في بطني، وإني قد بايعت معاوية». (٤٩) صار معاوية خليفة عام (٤٠هـ) وأعلن بعد رحيل الإمام الحسن عليه السلام: «كلّ ما عاهدت عليه الحسن تحت قدمي هاتين، ثم بدأ حرب الإبادة لشيعة الإمام عليّ عليه السلام».

١. أعطى تعليماته إلى ولاته على الأمصار بسبب الإمام عليّ عليه السلام من فوق المنابر عقب كلّ صلاة، وأردف هذه التعليمات بأخرى تقضي بقتل كلّ من يظهر الموالاة لعليّ عليه السلام واعتقال وسجن وتعذيب وقتل رؤساء الشيعة، وبدأت المطاردات المحمومة من جيش

الحاكم الجديد لجموع الشيعة في كل أنحاء الدولة ، وصدرت من الولاة إغراءات عدة ومكافآت بالأموال والمناصب لمن يدلّ على الشيعة .

وتوارى قسم من الشيعة عن الأنظار ، ومن كان غير معروف أيد الحكم الجديد علانية وأبطن حب الإمام علي عليه السلام ويومها ظهرت (التقية) ، واستتر وراءها الشيعة مخافة القتل والسجن والتعذيب .

وصدرت تعليمات مؤكدة للولاة : كل من يمالئ (علياً) أو يهواه ، اقتلوه ، ولم يكف بذلك بل أوعز معاوية إلى ولاته : من تقدم إليكم بأحاديث بسب بني هاشم فكافئوه .

وتهاافت وصاغوا الحديث على المكافآت ، واختلقوا أحاديث جمّة كلّها تقبّح بني هاشم وتركز على تشويه صورة الإمام علي عليه السلام في نفوس المسلمين . وقد دفع معاوية للصحابي ! سمره بن جندب خمسمائة ألف درهم ليروي له عن النبي صلى الله عليه وآله أن الآية : ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ نزلت في علي بن أبي طالب ، وأن الآية : ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ نزلت في عبد الرحمن بن ملجم لأنه قتل علياً عليه السلام .<sup>(١٠)</sup> وكان أشد الولاة وأقساهم في تعذيب الشيعة والفتك بهم : المغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه الذي استلحقه معاوية بنسبه وجعله أخاه بعد أن أشهد جماعة على أن أبا سفيان واقع أم زياد وكانت بغياً فولدت زياداً ، وقد خالف معاوية الحديث الشريف القائل : الولد للفراش ، وللعاهر الحجر . وقد فتك زياد بالشيعة فتكاً ذريعاً ، وكان يلي لمعاوية البصرة أول الأمر ثم ولي الكوفة بعد موت واليها المغيرة بن شعبة إذ جمع له معاوية العراقيين : البصرة والكوفة .

وعندما كان المغيرة والياً على الكوفة قام بإرسال أربعة عشر رجلاً من كبار زعماء الشيعة إلى معاوية في دمشق أشهد عليهم زوراً جماعة من أهل العراق بأنهم أظهروا شتم معاوية ، ودعوا إلى حربه ، وركز على كبيرهم حجر بن عدي الكندي وأتهمه بأنه قال : إن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب ، ثم وثب بالمصر وأخرج عامل معاوية ، وأظهر عذر أبي تراب ، والترحم عليه ، والبراءة من عدوه وأهل حربه ، وهؤلاء النفر الذين معه هم رؤوس أصحابه على مثل رأيه . ماذا تظن فعل معاوية بهم؟ أمرهم بسب الإمام علي عليه السلام والبراءة منه ، ففعل ذلك ستة منهم .

أما حجر وسبعة من أصحابه فقد ثبتوا على موالاتهم للإمام عليّ عليه السلام ولم يعلنوا البراءة منه ، فأمرهم معاوية أن يحفروا قبورهم بأيديهم في مرج عدرا قرب دمشق ، ثم دفنهم وهم أحياء بهذه القبور التي حفروها بأيديهم !! . . .

ثم جاء عبيد الله بن زياد بعد أبيه والياً فكان أقسى وأمر في مكافحة الشيعة وتعذيبهم ، وهو الذي أمر بقتل الإمام الحسين عليه السلام وسنشرح مقتله بالتفصيل .

أما الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراقين زمن عبد الملك بن مروان فقد أذاق الشيعة أفانين العذاب ، وكَمَّم الأفواه حتى لم يعد أحد يجرؤ على لفظ اسم عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وحتى أن الحسن البصري المحدث المعروف الذي كان يتمتع بشعبية كبيرة في العراق كان إذا أراد الاستشهاد بحديث عن الإمام عليّ عليه السلام لا يجرؤ على لفظ اسمه وكان يقول : حدثنا أبو زنب ، وقال أبو زنب وزنب هي إحدى بنات الإمام عليّ عليه السلام .

قال ابن أبي الحديد في نهج البلاغة : «وكان الحجاج - لعنه الله - يلعن علياً عليه السلام ، ويأمر بلعنه . وقال له متعرض به يوماً وهو راكب : أيها الأمير ! . . إن أهلي عقوني فسموني علياً فغير اسمي ، وصلني بما أتبلغ به فإني فقير . فقال : للطف ما توصلت به ، قد سميتك كذا ، ووليتك العمل الفلاني ، فاشخص إليه » .<sup>(٥١)</sup>

وأورد نهاية زياد بن أبيه على النحو التالي : «أراد زياد أن يعرض أهل الكوفة أجمعين على البراءة من عليّ عليه السلام ولعنه ، وأن يقتل كل من امتنع عن ذلك ، ويخرب منزله . فضربه الله ذلك اليوم بالطاعون فمات - لا رحمه الله - بعد ثلاثة أيام » .<sup>(٥٢)</sup>

وقد أباح الإمام عليّ عليه السلام لمحبيه وأصحابه وشيعته سبّه إذا كان في سبّه حفاظ على حياتهم ، ولكنه لم يوافق على البراءة منه ، فقال : «فأما السبُّ فسبوني فإنه لي زكاة ، ولكم نجاة ، وأما البراءة فلا تبرؤوا مني » ، وقال : «إذا عرضتم على البراءة منّا فمدوا الأعناق » .<sup>(٥٣)</sup>

وذكر أيضاً أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في الإمام عليّ عليه السلام تقضي الطعن فيه والبراءة منه ؛ وجعل لهم على ذلك (جُعلاً) يرغب في مثله فاختلفوا ما أَرْضاه . منهم : أبو هريرة وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير .

وقد ولى معاوية أبا هريرة المدينة لأنه اختلق حديثاً يفضّ من الإمام عليّ عليه السلام .  
وأبو هريرة هذا هو الذي ضربه عمر رضي الله عنه بالدرة وقال له : قد أكثرت من الرواية وأحرّك أن  
تكون كاذباً على رسول الله صلى الله عليه . (٥٤)

وقد روي عن عليّ عليه السلام أنه قال : «ألا إن أكذب الناس - أو قال - أكذب الأحياء على  
رسول الله صلى الله عليه وآله أبو هريرة الدوسي . (٥٤م) ولما قدم أبو هريرة الكوفة جاءه شاب وهو جالس  
بباب كندة فجلس إليه وقال : يا أبا هريرة ، انشدك الله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ بن  
أبي طالب : «اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه» ؟ . فقال : اللهم ، نعم ، فقال الشاب :  
فأشهد بالله : لقد واليت عدوه ، وعاديت وليّه ، ثم قام عنه . (٥٤م) وظلّ بنو أمية يسبّون  
الإمام عليه السلام على المنابر ، ويضعون فيه الأحاديث القبيحة ، ويقتلون شيعة ، حتى إن معاوية  
قتل الإمام الحسن عليه السلام بالسمّ ، فقد تخلّص منه لأن الحسن عليه السلام اشترط على معاوية في  
كتاب الصلح أن يكون وليّ عهده ، وأن تعود إليه الخلافة بعد موت معاوية .

ومن أخلاق معاوية الغدر والتخلّص من الخصوم بكل وسيلة ، وعندما كبر ابنه يزيد ،  
وتقدّم هو بالمرء فكر بتوريث ابنه يزيد الحكم ولذلك اتصل بزوجة الإمام الحسن عليه السلام  
جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي وأغراها بسمّ الحسن عليه السلام وجعل لها مكافأة مئة ألف  
درهم ، ووعدا بأن يزوجها من ابنه يزيد . فأقدمت الأئمة على وضع السم في شربة قدّمتها  
للإمام الحسن عليه السلام فمات منها ، وأعطاه معاوية المال ، ولم يزوج ابنه منها وقال : أخاف  
أن تسمّه .

الاكم قاسى الإمام عليّ عليه السلام من الأشعث وممن ولد ١١ . . ولما مات معاوية كان قد  
أخذ البيعة لابنه يزيد من الأمصار ليكون حاكماً بعده فتولى الحكم عام ٦٠هـ ، وطلب من  
واليه على المدينة أن يأخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام .

- صار الإمام الحسين عليه السلام إماماً بعد موت الإمام الحسن عليه السلام - فرفض الحسين عليه السلام أن  
يباع ليزيد السكير الخمير الفاسق ، وامتنع معه بعض زعماء المسلمين ، وراسل أهل العراق  
الإمام الحسين عليه السلام طالبين منه الحضور إلى الكوفة ليبايعوه خليفة بدلاً من يزيد ، فأرسل  
لهم الإمام الحسين عليه السلام ابن عمّه مسلم بن عقيل ليعرف أمر الشيعة برئاسة سليمان بن صرد  
الخزاعي ، وسمع يزيد بتحرك الشيعة في العراق فعزل واليه النعمان بن بشير الأنصاري ،



وولّى بدله عبيد الله بن زياد وأمره بقتل مسلم بن عقيل .

وصل ابن زياد الكوفة فجمع الناس في المسجد وخطبهم وطالبهم بتسليم مسلم بن عقيل ، فالتجأ مسلم إلى دار هانيئ بن عروة المرادي واستجار به ، فعلم ابن زياد بأمره فطلب إلى هانيئ تسليم مسلم فرفض فضربه ابن زياد وجسه بالقصر ، ولما سمع مسلم بما جرى لهانيئ ظهر مع أصحابه في شوارع الكوفة ونادوا بشعارهم : يا منصور أمت ، وهجموا على قصر ابن زياد وأحاطوا به ومرة أخرى يخون أغنياء العراق وزعماء قبائلهم ورؤسائهم ويستطيع ابن زياد إقناع هؤلاء الرؤساء بالأعطيات تارة وبالتخويف تارة أن يفرقوا أفراد قبائلهم عن مسلم بن عقيل وأن يتركوا القتال معه ، ويلعب المال دوره وتلعب العصبية القبلية دورها ، وينفض الناس عن مسلم ، ويصمد معه ٣٠ رجلاً فقط من جموع كانت تقدّر بشمانية عشر ألفاً كانت كلّها قد بايعته .

ويختبئ مسلم ، لكن عيون ابن زياد تخبره بمكان اختبائه ويرسل له هذا رجلاً ليقبض عليه . اتدري من الرجل؟! إنه محمد بن الأشعث بن قيس الكندي!! . .

ويستلم ابن زياد مسلماً فيقتله ، ويرميه منكوساً من أعلى القصر ، ويلحق به هانيئ بن عروة المرادي .

رحم الله مسلماً وهانئاً ومن جاهد في سبيل الحق .

## المراجع

- ٤٩ - نظرية عدالة الصحابة ص ٥١ عن مروج الذهب للمسعودي.
- ٥٠ ت نظرية عدالة الصحابة ص ٥٥ .
- ٥١ - نهج البلاغة ج ٤ ص ٥٨ .
- ٥٢ - نهج البلاغة ج ٤ ص ٥٨ .
- ٥٣ - نهج البلاغة ج ٤ ص ١١٣ .
- ٥٤ - نهج البلاغة ج ٤ ص ٦٧-٦٨ .

## الفصل السادس

### استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)

قبل أن يؤخذ مسلم بن عقيل بن أبي طالب (رضي الله عنهما) إلى ابن زياد، أرسل رسولاً إلى الإمام الحسين (عليه السلام) يخبره أن أهل الكوفة قد غدروا به، وانفضوا عنه، ونكثوا ببيعته، ونصح له بالآلا يستمع إلى أقوالهم فهم الذين تقاعسوا عن الإمام علي (عليه السلام)، وبين ظهرانهم قتل، وهم الذين دانوا للمعاوية، وصار رؤساؤهم من أخلص ثقاته.

سار الإمام الحسين (عليه السلام) بأهله وأهل مسلم بن عقيل إلى العراق وفي مكان يدعى الثعلبية التقاه رسول مسلم بن عقيل وأخبره خبر مسلم ووصيته له، ومرّ به الشاعر الفرزدق فسلم عليه وأخبره أن قلوب أهل العراق معه لكن سيوفهم مع بني أمية. وقد طلب منه بعض أصحابه الرجوع إلى المدينة لأنه لم يعد له بالكوفة ناصر ولا شيعة، غير أن بني عقيل صاحوا: والله لا نبرح حتى ندرّك نارنا أو نذوق كما ذاق مسلم، فتابع الحسين (عليه السلام) طريقه حتى وصل إلى مكان يقال له (شراف) قابله جيش أرسله عبيد الله بن زياد تعداد ألف فارس يقوده الحرّ بن يزيد التميمي فقال الإمام الحسين (عليه السلام) للحرّ وأصحابه: «أيها الناس إنّها معذرة إلى الله وإليكم، إني لم أتكلم حتى أنتني كتبكم ورسلكم أن أقدم علينا فليس لنا إمام، لعلّ الله أن يجعلنا بك على الهدى، فلقد جئكم فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهدكم أقدم مصرّكم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلنا منه». فلم يجيبوه بشيء في ذلك وقال له الحرّ: «إنّا أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد. فقال الحسين (عليه السلام): «الموت أدنى إليّ من ذلك». وخطب الجيش: «ألا وإنّ الدّعيّ ابن الدّعيّ قد خيّرنا بين اثنتين: السّلة (استلال السيوف) أو الدّلة، وهيّات منّا الدّلة!». يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت، وحجّر طهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة»<sup>(١٠٠)</sup> وأراد الحسين (عليه السلام) الرجوع إلى الحجاز فمنعه جيش الحرّ بن يزيد، فسار الحسين (عليه السلام) شمالاً حتى وصل إلى نينوى التي وصلها جيش آخر سيّره ابن زياد وعلى مقدمته عمر بن سعد بن أبي وقاص، وكان هذا كارهاً لآل البيت الكرام. وقد طلب من الحسين (عليه السلام) أن يبايع ليزيد فأبى الحسين (عليه السلام) وطلب منه السماح له بالرجوع إلى الحجاز

أو أي مكان آخر فأبى عمر إلا أن يبايع ليزيد، ثم حال بينه وبين الماء تنفيذاً لوصية ابن زياد، وفي كربلاء وفي اليوم العاشر من محرم عام ٦١ هـ نشب القتال بين ثمانين رجلاً من آل البيت الأشراف بقيادة الإمام الحسين عليه السلام وبين جيش جرّار كلّه من أهل العراق يقوده عمر بن سعد بن أبي وقاص، وأظهر الثمانون بطلاً ضروباً من الشجاعة وأفانين من الضرب بالسيوف والطنن بالرمح ما أدهش هذا الجيش وخاف على نفسه الاضطلام.

**قيل لرجل شهد ذلك اليوم: «ويحك!.. أقتلتم ذرية رسول الله ﷺ؟ فقال: عضضت بالجنّدل؛ إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة، أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية تحطم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقي أنفسها على الموت؛ لا تقبل الأمان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية، أو الاستيلاء على الملك؛ فلو كفنا عنها رويداً لأنت على نفوس العسكر بحذافيرها؛ فما كنّا فاعلين لا أمّ لك؟!..»** (١٠)

وقبل مغيب شمس ذلك اليوم المشؤوم، استشهد الإمام الحسين عليه السلام بعد أن تكاثرت عليه الجموع، ورمي بالسّهام، وضرب بالسيوف وطنن بالرمح. قيل أول من قتله شمر بن ذي الجوشن، ثم حزّ رجل رأسه وفصله عن جسده الطاهر، وانطلق به إلى ابن زياد يشّره بالقضاء على سيّد شباب أهل الجنة، وقام آخر بسلب جثته وحذائه، وأمر عمر بن سعد أن تدوس الخيل جثة الإمام الشهيد.

عجباً لهذا الحقد!!.. وبقيناً لو كان المقتول من الأعاجم لما فعلوا به ما فعلوه بالإمام الحسين عليه السلام فأَيّ عارٍ كسبوا، وأي آخرة ربحوا؟!!

قتل مع الإمام الحسين عليه السلام: من أهل بيته وقرابته ٧٢ شهيداً، وساق ابن سعد بن أبي وقاص نساء آل البيت إلى ابن زياد فسيّرهن بأسوأ صورة إلى دمشق، يتقدّمهن رأس الإمام الحسين عليه السلام مرفوعاً على قناة تبكيه العيون، وتتوجّع له القلوب، وكان يكيه مع الباكين ولده الصغير المريض الذي أضْحى إماماً بعد استشهاد والده العظيم، إنه الإمام عليّ زين العابدين عليه السلام.

لقد أبقى عليه القتلة لأنه كان صغيراً مريضاً، وكانوا يحسبون أنه لن يعيش كثيراً يوماً أو بعض يوم، وانكبّت عليه عمّته زينب تحميه من سيوف القتلة المجرمين.

قتل سيد أهل الإباء الذي علّم الناس الحميّة والموت تحت ظلال السيوف اختياراً له على الدنيا: أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، عرض عليه الأمان وأصحابه، فأنف من الذل وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان إن لم يقتله، فاختار الموت على ذلك. (٥٧)

ما أعظمك أيها الإمام! . . . فقد جاهدت وجُدت بنفسك لتعلّم الناس معنى التضحية في سبيل نصرّة العدل والحقّ، وتساميت عن صفائر الدنيا وملذّاتها، وملاهيها وأموالها. لقد رأيت أنك إذا بايعت الظلمة فسوف تشاركهم ظلمهم وإثمهم، فتنزّهت عن ذلك، وضربت لنا مثلاً في الاقتداء بالثورة على الظلم والظالمين:

ثائر الحقّ تسامى فهو في كربلاء

أبصر الظلم مليكاً فاسقاً يسحق حلم الضعفاء

فصدّى له شهماً أريحياً زارياً بالجبناء

شاهد العدل جريحاً فاقتداء بالنماء

علّم التاريخ معنى أضحيات العُظماء

فأنحنى التاريخ يعنو لإمام الفقراء

وحبّاه باعتزاز لقباً: سيّد كلّ الشهداء

من يجد بالنفس أضحى سيّداً للجوّاء. (٥٨)

الجوّاء: الكرّماء.

وسأورد لك هذه الأخبار فاستج منها ما شئت:

قال نصر . . عن هرثمة بن سليم قال: غزونا مع عليّ رضي الله عنه صفين، فلما نزل بكرّلاء صلّى بنا، فلما سلّم رفع إليه من تربتها فشمّها ثم قال: واهأ لك يا تربة، ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب. (٥٩)

قال: فلما رجع هرثمة من صفين إلى امرأته جرداء بنت سمير، وكانت من شيعة عليّ رضي الله عنه حدثها هرثمة فيما حدث فقال: ألا أعجبك من صديقك أبي الحسن! . . قال: لما نزلنا

بكرلاء وقد أخذ حفنة من تربتها، فشمها وقال: واهاً لك أيتها التربة ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب، وما علمه بالغيب! فقالت له المرأة: دعنا منك أيها الرجل فإن أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل إلا حقاً.

قال: فلما بعث عبيد الله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين عليه السلام كنت في الخيل التي بعث إليهم، فلما انتهيت إلى الحسين عليه السلام وأصحابه عرفت المنزل الذي نزلنا فيه مع علي عليه السلام، والبقعة التي رفع إليه من تربتها والقول الذي قاله فكرهت مسيري، فأقبلت على فرسي حتى وقفت على الحسين عليه السلام فسلمت عليه، وحدثته بالذي سمعته من أبيه في هذا المنزل؛ فقال الحسين: أمعنا أم علينا؟ فقلت: يا بن رسول الله، لا معك ولا عليك؛ تركت ولدي وعيالي وأخاف عليهم من ابن زياد. فقال الحسين عليه السلام: قولاً هارياً حتى لا ترى مقتلنا، فوالذي نفس حسين بيده، لا يرى اليوم مقتلنا أحد ثم لا يعيننا إلا دخل النار. قال: فأقبلت في الأرض أشد هرباً حتى خفي علي مقتلهم. (٥٩م)

قال نصر... قال جاء عروة البارقي إلى سعد بن وهب فسأله فقال: حديث حدثناه عن علي بن أبي طالب قال: نعم، بعثني مخنف بن سليم إلى علي عند توجهه إلى (صفين) فأتيته بكرلاء، فوجدته يشير بيده ويقول: ها هنا، ها هنا. فقال له رجل: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ثقل لآل محمد ينزل ها هنا، فويل لهم منكم، وويل لكم منهم. فقال له الرجل: ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟ قال: ويل لهم منكم تقتلونهم، وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم النار. (٥٩م)

قال نصر... إن علياً عليه السلام أتى كربلاء فوقف بها فقبل له: يا أمير المؤمنين هذه كربلاء، فقال: ذات كرب وبلاء ثم أوما بيده إلى مكان آخر فقال: ها هنا مراق دمائهم، ثم مضى إلى ساباط. (٥٩م)

قتل مع الحسين عليه السلام سبعة عشر رجلاً كلهم قد ارتكض في بطن فاطمة، وما على الأرض يومئذ أهل بيت لهم شبيهون.

وقد جاء عقاب القتلة سريعاً، وعجل الله به كأنه لمح البصر، لم يتمتع القتلة بنصرهم وتثبيت سلطانهم، فقد مزق الله ملك يزيد إذ انفض عنه أهل الحجاز وخلعوه فأرسل لهم جيشاً حاصر المدينة وقتك بأهلها فتكاً ذريعاً، وكان هذا الجيش بقيادة مسلم بن عقبة، ولكثرة ما أسرف في قتل أهل المدينة دعي (مسرفاً).

ثم تمرّد عبد الله بن الزبير في مكّة وخلع طاعة «يزيد» ودعا لنفسه بالخلافة . وفي شهر ربيع الأول عام ٦٤ هـ مات يزيد فجاءه واستلم الحكم بعده ابنه معاوية غير انه مات بعد شهر ونصف من حكمه . واستلم الحكم بعده مروان بن الحكم ولم تطل مدته فقد مات بعد ستة أشهر وتحقّق فيه قول الإمام عليّ عليه السلام : ستكون مدة حكمه كلعقة الكلب أنّفه .

واضطربت البلاد وماجت ، وأصبحت مقسّمة بين الأمويين الذين لهم الشام ومصر ، وعبد الله بن الزبير الذي دانت له الحجاز وسيطر على العراق الشيعة والخوارج .

بعد موت يزيد تنادى الشيعة من كلّ أنحاء العراق ، واجتمعوا في الكوفة في بيت سليمان بن صُرْد الخزاعي ، وتداولوا في امر تخاذلهم عن الإمام الحسين عليه السلام ورأوا أنهم قد تسببوا في فاجعة كربلاء حينما كاتبوا الحسين عليه السلام ليقدم إليهم ، ثم تخلّوا عنه ، وأسلموه إلى عدوّه عبيد الله بن زياد بل كان بعضهم ممّن شارك في الجيش الذي قاتله .

وندموا ، وقالوا : لن يفسل عار التخلّي عنه ، ورفع الإثم عنّا إلا أن نقتل قتله ولو كانوا في مشارق الأرض ومغاربها ، ثم أعلنوا أنهم قد تابوا من ذنبهم وأطلقوا على أنفسهم اسم «التوابين» ، وجعلوا على رأسهم سليمان بن صُرْد الذي شكل جيشاً منهم عدده أربعة آلاف رجل وسار بهم نحو بلاد الشام في ربيع الأول ٦٥ هـ .

وفي مكان يدعى (عين الوردية) : (عين العرب ، أو رأس العين في سورية) التقى هذا الجيش جيشاً أموياً يقوده عبيد الله بن زياد ، وكان من الطبيعي أن ينهزم هذا الجيش الصغير أمام جيش أمويّ مدربّ جلّه من أهل الشام ، وقتل القائد سليمان بن صُرْد الخزاعي بعد أن كَفَّر عن تقصيره في مساندة الإمام الحسين عليه السلام .

تَزَعَّم الشيعة بعد استشهاد سليمان بن صرد رجلٌ مغامر متشيع هو المختار بن عبيد الثقفي ، رفع شعار الأخذ بثار الحسين عليه السلام وقتل قتله ، والقضاء على الحكم الأمويّ ، فانضوى تحت سلطته الشيعة وعلى رأسهم إبراهيم بن الأشتر ، القائد العسكري الناجح ، وتمكّن المختار من السيطرة على الكوفة وتشكيل جيش قاده إبراهيم بن الأشتر نحو بلاد الشام ليلتقي جيش عبيد الله بن زياد قرب الموصل .

ودارت الدائرة على الجيش الأموي ، وهزم هزيمة ساحقة وقتل قائده عبيد الله بن زياد وكبار قواد هذا الجيش وكان فيهم عدد كبير من قتلة الإمام الحسين عليه السلام ، ثم تابع الجيش

مسيره، واحتل أراضي الجزيرة السورية وألحقها بالسيطرة العراقية وصار المختار أميراً لمناطق واسعة، وأرسل الشيعة إلى كل مكان حلّ فيه قتلة الحسين عليه السلام لتصفيتهم، واصطلحهم جميعهم. ولكن حكم المختار لم يدم طويلاً لأن أشراف العراق تخلّوا عنه، وفروا إلى عبد الله بن الزبير الذي استولى على الحجاز، وكذلك تخلّى عنه إبراهيم بن الأشتر وعدد كبير من الشيعة لأنهم رأوا فيه مفاعراً تبنّى قضيتهم لتحقيق مطامعه الخاصة.

بعد القضاء على المختار من قبل مصعب بن الزبير شقيق عبد الله صارت الدولة العربية الإسلامية مقسّمة بين عبد الملك بن مروان الذي ورث حكم أبيه ومقرّ حكمه دمشق، وبين عبد الله بن الزبير ومركز حكمه مكة.

سار عبد الملك بن مروان على رأس جيش كثيف ليستخلص العراق من ابن الزبير، والتقى جيش مصعب في مكان يدعى (مَسْكَن) على نهر دُجَيْل، عند دير الجاثليق عام ٧٢هـ، وكالعادة تخلّى أشراف العراق ورؤساء القبائل عن حاكمهم وانضموا إلى عبد الملك ممّا أدى إلى تخاذل جيش مصعب، وقاتل هذا القائد وسقط في أرض المعركة وهو يتمثل بهذا البيت:

وإن الألى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

والطف مكان استشهاد الحسين عليه السلام.

سيطر عبد الملك على العراق بكامله وأرسل أحد قواده الحجاج بن يوسف الثقفي إلى مكة فحاصرها وسلط المنجنيق على الكعبة المشرفة وأشعل فيها النيران وهدمها حجراً حجراً، ودعا عبد الله بن الزبير للاستسلام فأبى، فشدد الحصار على مكة وقطع المؤن عنها، فتسلّل سكانها إليه وتخلّى قسم كبير منهم عن ابن الزبير، ومنهم أخوه، وولده، ودخلت جيوش الحجاج مكة وقتلت ابن الزبير وأعوانه، وقام الحجاج بصلب ابن الزبير في السابع عشر من جمادى الآخرة عام ٧٣هـ.

ويعتقل ابن الزبير صفى الملك لعبد الملك وبدأت مطاردة الشيعة من جديد، ينفذها الولاة في كلّ الأمصار، وبخاصّة الحجاج الذي لم يترك وسيلة شنيعة إلا واستخدمها في تعذيب وقتل الشيعة.



وقد قام الأمويون باغتصاب أملاك الشيعة ومنعواهم من قيادة الجيش ، ومن الوظائف العامة ، وظل شتم الإمام علي عليه السلام عند كل صلاة ، إلى أن استلم الخلافة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز عام ٩٩ هـ ، فقد ألغى سب الإمام علي عليه السلام وطير كتاباً للأمصار بذلك ، وأمر ولاته بإبطال السب وجعل مكانه الآية الكريمة التالية : ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾ . وصار ذلك سنة في حكمه . ويوضح عمر رضي الله عنه سبب إبطاله الشتم فيقول : «كنت غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود ، فمررت يوماً وأنا ألعب مع الصبيان ، ونحن نلعن علياً ، فكره ذلك ودخل المسجد ، فتركت الصبيان ، وجئت لأدرس عليه وردي ، فلما رأيته قام فصلّى وأطال في الصلاة شبه المعرض عني - حتى أحسست منه بذلك ، فلما انقضى من صلاته كَلَحَ في وجهي فقلت له : ما بال الشيخ ؟ فقال لي : يا بني : أنت اللاعن علياً منذ اليوم ؟ فقلت : نعم . قال : فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم ؟ فقلت : يا أبت : وهل كان علي من أهل بدر ؟ فقال : ويحك ! . . وهل كانت بدر كلها إلا له ؟ فقلت : لا أعود . فقال : الله أنك لا تعود ؟ قلت : نعم . فلم ألعنه بعدها .

ثم كنت أحضر تحت منبر المدينة ، وأبي يخطب يوم الجمعة ، وهو حينئذ أمير المدينة . فكنت أسمع أبي يمر في خطبه تهلّل شقاشقه حتى يأتي إلى لعن علي عليه السلام فيجرحم ويعرض له من الفهاة والحصر ما الله عالم به ، فكنت أعجب من ذلك ، فقلت له يوماً : يا أبت أنت أفصح الناس وأخطبهم ، فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل صرت ألكن عيباً ؟

فقال : يا بني ، إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم ، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد . فَوَقَرْتُ كلمته في صدري ؛ مع ما كان قاله لي معلمي أيام صفري ، فأعطيت الله عهداً لأن كان لي في هذا الأمر نصيب لا غيرنه ، فلما من الله علي بالخلافة أسقطت ذلك .<sup>(١٠)</sup>

أدى هذا الانفتاح على الأمة في عهد عمر رضي الله عنه إلى ترك الشيعة لحذرهم وخوفهم من العذاب والقتل والتشريد فجاهروا بتشيعهم وقام شعراؤهم بمدح عمر رضي الله عنه وهذا الشاعر (كثير عزة) بمدح عمر ويقول :

وَكَيْتَ فلم تشتم علياً ولم تخف      برياً ولم تنبغ مقالة مجرم  
تكلمتَ بالحق المبين وإنما      تبين آيات الهدى بالتكلم  
وصدقت معروف الذي قلت بالذي      فعلت فأضحى راضياً كل مسلم<sup>(١)</sup>

وفي القصة التالية تصديق لجراة الشيعة في عهد عمر رضي الله عنه :

كتب له عامله ميمون بن مهران عن أمر أشكل عليه فلم يستطع له حلاً ولذلك أوكّل حلّ هذا المشكل للخليفة لأنّه الموكّل بذلك . والأمر هو : ورد عليه رجلان وامرأة ، وأحد الرجلين والد المرأة والآخر زوجها ، وقد زعم أبوها أن زوجها حلف بطلاقها إن لم يكن عليّ بن أبي طالب عليه السلام خير هذه الأمة وأولاها برسول الله ﷺ والأب يزعم أن ابنته طلقت منه ، وأنه لا يجوز له في دينه أن يتخذها صهرًا ، وهو يعلم أنّها حرام عليه كامّة ، ولكن الزوج يقول له : كذبت وأثمت ، لقد برّ قسمي ، وصدقت مقالتي ، وهي امرأتي على رغم أنفك وغيظ قلبك .

ويسأل مهران الرجل عن يمينه فيقول : نعم قد كان ذلك وقد حلفت بطلاقها : إنّ علياً خير هذه الأمة وأولاها برسول الله ﷺ عرّفه من عرّفه ، وأنكره من أنكره ، فليغضب من يغضب وليرض من رضي . . . وقام عمر رضي الله عنه بجمع بني هاشم ، وبني أمية ، وأفخاذ من قرش ليكون الحكم عامًا وجامهيريًا وأحضر المرأة وأباها وزوجها ، وقال لوالدها : ما تقول أيها الشيخ ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! . . هذا الرجل زوجته ابنتي وجهزتها إليه بأحسن ما يجهّز به مثلها ، حتى إذا أمّلتُ خيره ورجوت صلاحه حلف بطلاقها كاذبًا ، ثم أراد الإقامة معها ، فقال له عمر رضي الله عنه : يا شيخ ، لعله لم يطلق امرأته ، فكيف حلف ؟ قال الشيخ : سبحان الله ! . . الذي حلف عليه لأبين حنأً وأوضح كذباً من أن يختلج في صدري منه شكّ مع سنيّ وعلمي ، لأنه زعم أن علياً عليه السلام خير هذه الأمة ، وإلا فامرأته طالق ثلاثاً . فقال للزوج : ما تقول ؟ أهكذا حلفت ؟ قال : نعم . فقيل : إنه لما قال : نعم ، كاد المجلس يرتجّ بأهله ، وبنو أمية ينظرون إليه شذراً ، إلا أنهم لم ينطقوا بشيء ، كلٌّ ينظر إلى وجه عمر رضي الله عنه . فنظر إليهم عمر بعد إطراق ، وقال : ما تقولون في يمين هذا الرجل ؟ فسكتوا ، فقال : سبحان الله ! . . قولوا ، فقال رجل من بني أمية : هذا حكم في فرج ، ولسنا نجترئ على القول فيه ، وأنت عالم بالقول ، مؤتمن لهم وعليهم . فقال له عمر رضي الله عنه : قل ما عندك ، فإن القول ، ما لم يكن يحقّ باطلاً ويطلّ حقاً ، جائز عليّ في مجلسي قال : لا أقول شيئاً ؛ فالتفت إلى

رجل من بني هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب فقال له : ما تقول فيما حلف به هذا الرجل يا عقيلي؟ فاغتمها العقيلي فقال : يا أمير المؤمنين : إن جعلت قلبي حكماً ، أو حكمتي جائزاً قلت ؛ وإن لم يكن ذلك فالسكوت أوسع لي ، وأبقى للمودة . قال عمر : قل ، وقولك حكماً ، وحكمك ماض . فلما سمع ذلك بنو أمية قالوا : ما أنصفتنا يا أمير المؤمنين إذ جعلت الحكم إلى غيرنا ، ونحن من لحمتك وأولي رحمتك ! . . فقال عمر : اسكتوا ، أعجزاً ولوماً ؟ ! عرضت ذلك عليكم أنفاً فما انتدبتم له . قالوا : لأنك لم تعطنا ما أعطيت العقيلي ، ولا حكمتنا كما حكمته . فقال عمر : إن كان أصاب وأخطأتم ، وحزمت وعجزتم ، وأبصر وعميت ، فما ذنب عمر لا أبالكم ! . . أتدرون ما مثلكم ؟ قالوا : لا ندري . قال : لكن العقيلي يدري ثم قال : ما تقول يا رجل : قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، كما قال الأول :

دُعِيتُ إِلَى أَمْرٍ فَلَمَّا عَجَزْتُمْ      تَنَاولَهُ مِنْ لَا يَدْخُلُهُ عَجَزُ  
فَلَمَّا رَأَيْتُمْ ذَاكَ أَبَدْتُمْ نَفُوسَكُمْ      نَدَاماً ، وَهَلْ يَغْنِي مِنَ الْقَدَرِ الْحَذَرُ ؟  
فَقَالَ عُمَرُ : أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ ، فَقُلْ مَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ .

قال : يا أمير المؤمنين ، برّ قسمه ، ولم تطلق امرأته . قال : وأتى علمت ذاك ؟ قال : نشدتك الله يا أمير المؤمنين ألم تعلم أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها وهو عندها في بيتها عائداً لها : يا بنية ، ما علّتك ؟ قالت : الوَعَكُ يا أباها ، وكان عليّ غائباً في بعض حوائج النبي ﷺ ، فقال لها : أنتستين شيئاً ؟ قالت : نعم ، أشتي عباً ، وأنا أعلم أنه عزيز ، وليس وقت عنب . فقال صلى الله عليه وآله إن الله قادر على أن يجيئنا به ، ثم قال : اللهم اتنا به مع أفضل أمتي عندك منزلة . فطرق عليّ الباب ، ودخل ومعه مكثل قد ألقى عليه طرف رداءه ، فقال له النبي ﷺ ما هذا يا عليّ ؟ قال : عنب التمسته لفاطمة . فقال : الله أكبر ، الله أكبر ، اللهم لما سررتني بأن خصصت عليّاً بدعوتي ، فاجعل به شفاء ابنتي ، ثم قال : كلي علي اسم الله يا بنية . فأكلت ، وما خرج رسول الله ﷺ حتى استقلت وبرأت . فقال عمر : صدقت وبررت ؛ أشهد : لقد سمعته ، ووعيته ، يا رجل : خذ بيد امرأتك ، فإن عرض لك أبوها ، فهاشم أنفه . ثم قال : يا بني عبد مناف ، والله ما نجهل ما يعلم غيرنا ، ولا بنا عمى في ديننا ، وكلنا كما قال الأول :

تَصَيَّدَ الدَّنِيَّاءُ رَجَالاً بِفَخِّهَا      فَلَمْ يَدْرِكُوا خَيْرَ بَلٍ اسْتَبْجَحُوا الشَّرَّاءَ  
وَأَعْمَاهُمْ حُبُّ الْغَنِيِّ وَأَصَمَّهُمْ      فَلَمْ يَدْرِكُوا إِلَّا الْخُسَارَةَ وَالْوُزْرَاءَ

قيل : فكانما ألقم بني أمية حجراً ، ومضى الرجل بامرأته . (١٧)

لم يستمرّ حكم عمر بن عبد العزيز طويلاً فقد أقدمت عائلته الأموية على سَمِّه ،  
 والتخلّص منه بعد فترة استمرت سنتين وخمسة أشهر قام أثناءها برّد الحقوق إلى أصحابها  
 حيث ردّ القطائع المغتصبة من أصحابها من قبل الأمويين أثناء حكمهم منذ عهد معاوية ،  
 وأقام العدل والمساواة بين المواطنين ممّا شجّع الوثنيين والبربر والموالي والمسيحيين على  
 اعتناق الإسلام ، وهادن الخوارج وأنصف الشيعة ، وكرّم آل البيت الأطهار ، بل وطلب إلى  
 زوجه أن تتخلّى عن حليّها وجواهرها ، وتردّها إلى بيت المال ، وقد فعلت .  
 وقد عابه أحد أفراد عائلته الأموية على أعماله هذه ، فهدّده بأنه سيبيعه ويردّ ثمنه إلى  
 بيت المال لأن أمّه كانت أمةً اشتراها أبوه من بيت مال المسلمين .

وبعد موته استلم الحكم حاكمٌ عابثٌ لاه مقبل على الملذات هو يزيد بن عبد الملك ،  
 وأمضى فترة حكمه يعبّ الخمرة ويستمتع إلى الغناء من جاريته (حَبّابة) و(سلامة) ، ولما  
 ماتت حَبّابة بعد أن شرقت بحبّة رمانٍ لحقها بعد أربعين يوماً ، قالت مقاليد الحكم إلى هشام  
 بن عبد الملك وتميّز حكم هشام هذا باستقرار الدولة الأموية لأنه اتّبع سياسة شديدة لا  
 هوادة فيها ، وولّى عمالاً أقوياء شديدين .

وقد ولّى العراق خالداً القسري فاهتمّ بالاقتصاد ، واستصلح الأراضي وساوى بين  
 القبائل المتناحرة ، وركن الشيعة في عهده إلى الاستقرار لأن الإمام محمد الباقر عليه السلام كان  
 يرى عدم الثورة على الأمويين متّبعاً طريقة والده الإمام الرابع : عليّ بن الحسين عليهما  
 السلام الملقّب بزين العابدين لأنه كان كثير العبادة والصلاة .

### المراجع

- ٥٥ - نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٤٩ .
- ٥٦ - نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٦٣ .
- ٥٧ - نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٤٩ .
- ٥٨ - مسرحية ديك الجن وورد مسرحية شعرية لمؤلف الكتاب .
- ٥٩ - نهج البلاغة ج ٣ ص ١٦٩ .
- ٦٠ - نهج البلاغة ج ٤ ص ٥٨ - ٥٩ .
- ٦١ - الدولة الأموية ج ٢ ص ١٨٤ .
- ٦٢ - نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٢٢٢ وما بعدها .

## الفصل السابع

### انقسام الشيعة

بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام غداً ابنه (علي) عليه السلام إماماً ، فالتفت حوله الشيعة وأخذوا بنصائحه القاضية بعدم الثورة على الأمويين لأن الشيعة كانت الأرصاد ماثلة عليها تراقبها ، وبالوقت نفسه لم تكن قوية بشكل تستطيع فيه القضاء على الدولة الأموية ، واستفادت الشيعة في هذه الفترة من التنظيم السري المحكم فحافظت على نفسها ، وزاد عددها . حسب النص الإلهي النبوي قام الإمام علي زين العابدين عليه السلام بتسمية ابنه محمد عليه السلام إماماً ونصراً عليه ليكون خليفته في الشيعة ، وقد امتاز الإمام محمد عليه السلام بعلمه الغزير الواسع ، فلقبته شيعته بالباقر لأنه بقر العلم أي تبحر فيه واتسع وأصبح كالبحر في الغزارة والاتساع .

وسار الإمام الباقر عليه السلام على خطى والده في تنظيم الشيعة ورعاية أمورها ، ولم يحاول الصدام مع الدولة الأموية .

وكان للإمام محمد الباقر عليه السلام أخ اسمه (زيد) تتلمذ على يد واصل بن عطاء أحد مؤسسي فرقة المعتزلة فبنى أفكار هذه الفرقة ومعتقداتها ومنها جواز إمامة المفضول في وجود الفاضل . وكان يرى الثورة على الأمويين ، فالتفت حوله قسم من الشيعة يرون رأيه في الثورة ، ولما تعرض للسجن والعذاب على يد يوسف بن عمر الثقفي الذي أصبح والياً على العراق بعد خالد القسري المعزول ، قام بثورته في الكوفة على الأمويين .

### الانشقاق الأول:

اتهم يوسف بن عمر (زيداً) بأنه يخفي ستمئة ألف درهم أودعها عنده خالد القسري والي المعزول فأنكر زيد ذلك فأرسله يوسف إلى هشام بن عبد الملك في دمشق فتركه هشام مدة طويلة بدون أن يسمح له بمقابلته ، ولما رغب في مقابلته جلس في (عليه) له ، فرقي زيد إليها ، وقد أمر هشام خادماً له أن يتبعه حيث لا يراه زيد ويسمع ما يقول فصعد زيد وكان بادئاً ، فوقف في بعض الدرجات فسمعه الخادم وهو يقول : «ما أحب الحياة إلا من ذل» ، فأخبر الخادم هشاماً بذلك ، فلما قعد زيد بين يدي هشام وحدته حلف له على شيء

فقال هشام: لا أصدقك. فقال زيد: إن الله لا يرفع أحداً عن أن يرضى بالله، ولم يضع أحداً عن أن يرضى بذلك منه. قال له هشام: إنّه بلغني أنّك تذكر الخلافة، وتتمناها، ولست هناك لأنك ابن أمة. فقال زيد: إن لك جواباً. قال: تكلم. قال: إنه ليس أحد أولى بالله ولا أرفع درجة عنده من نبيّ أتبعته، وهو إسماعيل بن إبراهيم وهو ابن أمة، وقد اختاره الله لنبوته، وأخرج منه خير البشر. فقال هشام: فما يصنع أخوك البقرة؟ فغضب (زيد) حتى كاد يخرج من إهابه ثم قال: سمّاه رسول الله ﷺ الباقر، وأنت تسميه البقرة!... لشدّما اختلفتما. لتخالفتنه في الآخرة كما خالفته في الدنيا، فيرد الجنة، وترد النار.

فقال هشام: خذوا بيد هذا الأحق المائق، فأخرجوه، فأخذ الغلمان بيده فأقاموه. فقال هشام: احملوا هذا الخائن الأهوج إلى عامله. فقال زيد: والله لئن حملتني إليه لا أجمع أنا وأنت حين، وليموتنّ الأعجل منّا. <sup>(١٣)</sup>

خرج زيد مغضباً، وعندما وصل العراق جمع يوسف بن عمر بينه وبين خالد القسري، وحلف زيد إن خالداً لم يودع عنده مالا فلم يصدقه يوسف، وكان زيد ورعاً تقياً صادقاً، وآلمه ذلك، ولم يكف الوالي بعدم تصديقه، بل قام بتعذيبه في السجن. لكن هشاماً أرسل لعامله يطلب منه أن يطلق سراحه، وبعد خروجه من السجن أراد التوجه إلى المدينة، فاجتمع إليه شيعة في الكوفة، وألحفوا عليه بالبقاء بينهم للتحضير للثورة على الأمويين، وقالوا له: «أين تذهب عتاً، ومعك مائة ألف رجل من أهل الكوفة يضربون بها بني أمية دونك؟».

فبقي بينهم وبدأ التحضير للثورة استمر عشرة أشهر وفي أول صفر ١٢٢ هـ ٧٤٠م أعلن ثورته، لكن الوالي كان قد سمع بها قبل زمن يسير من إعلانها فدعا أهل الكوفة للاجتماع في المسجد، وأحاطه بجيش كثيف وهكذا عزل قسماً كبيراً من الشيعة في المسجد، ومن بقي منهم مع (زيد) لم يخوضوا معه المعركة ضد الأمويين، بل طلبوا إليه أن يوضح لهم موقفه من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وكانوا قد سمعوا منه أثناء فترة التحضير للثورة آراء تناقض رأي الشيعة في الشيخين، فقال لهم: كانا وزيري جدّي، ولا أقول فيهما إلا خيراً. فلما سمعوا ذلك منه تركوه، ورفضوا عنه فسمّاهم (الرافضة).

لم يبق من الشيعة مع زيد غير ٢٠٠ رجل، هاجم بهم المسجد ليفرج عن أصحابه فصده جند الوالي، ودارت بين الطرفين مناوشات استمرت يومين، وأثناء الصدام أصيب زيد بسهم لا يعرف راميه أصاب جبهته اليسرى في دماغه فحملة شيعة إلى أحد المنازل،

وحينما نزعوا السهم مات زيد عليه السلام فدفنوه ، وأخفوا قبره لكن جاء الوالي من أخيره بموضع القبر فأخرج جثمان زيد وصلبه بالكناسة (مكان سكنى السنة) بالكوفة ، ثم فصل رأسه عن جسده الشريف وأرسله إلى هشام فصلبه على باب دمشق .

تابعه ابنه (يحيى) بحركة أخفقت هي الأخرى في نهاية العصر الأموي لكن انتشر المذهب (الزيدي) نسبة إلى الإمام زيد عليه السلام في سواد الكوفة ، ثم ازداد كثرة في إقليم طبرستان وجنوب بحر قزوين في الثلث الأخير من القرن الثاني للهجرة ، واستطاع الزيديون تشكيل دولة في هذا الإقليم بقيادة الحسن بن زيد العلوي ، أحد رؤوس الشيعة الزيدية ، ثم وسّع هذه الدولة فشملت جرجان وبلاد الديلم والري ، وكان قيام هذه الدولة عام ٢٥٠هـ واستمرت حتى ٣٥٥هـ وإضافة إلى تكاثر الزيديين في طبرستان فقد تكاثروا في اليمن ، وفي بداية القرن العاشر الميلادي استطاعوا تكوين دولة في اليمن رئيسها إمام زيدي ظلّت مستمرة حتى عام ١٩٦٢م حينما قامت ثورة ضد الإمام البدر بقيادة المشير عبد الله السلال - وهو زيدي - وأعلن قيام الجمهورية العربية اليمنية .

وفي فترة انهيار الحكم الأموي وقبيل القضاء نهائياً على هذا الحكم نشط الشيعة في العراق وخراسان ، وانضمّ بعضهم إلى الدعوة العباسية لأن هذه الدعوة كانت سرية ، وكان دعاؤها يدعون إلى الرضا لآل البيت بدون تحديد لاسم صاحب الدعوة .

ولما أذن الله بأفول الدولة الأموية فقد اصطدمت القبائل اليمنية مع القيسية وتعاقب على حكم هذه الدولة عدّة حكام بعد موت هشام ، وكلّ حاكم له ميل يختلف عن الآخر بشأن القبائل .

ولما تولى مروان بن محمد وهو آخر حاكم أموي غلب المضربة على اليمنية فثاروا ضده ، ثم ساعدوا بعض زعماء الشيعة ، وانضموا إلى بني العباس في القضاء على الدولة الأموية عام ١٣٢هـ .

### الدولة العباسية:

قامت الدولة العباسية على أكتاف جناح من الشيعة ، فقد كان لمحمد بن الحنفية ، ابن الإمام علي عليه السلام من زوجته خولة الحنفية شيعة خاصة دعيت بالكيسانية نسبة إلى كيسان خادم السيد محمد بن الحنفية رضي الله عنه . وقد التفّ قسم من الشيعة حول محمد بن

الحنفية بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام). وكان محمد بن أبي بكر يرى ألا يثور الشيعة ضد الأمويين الذي يمتلكون الجيوش المنظمة، وبيت المال الذي جعلوه بيت مال يخصهم وحدهم، وليس بيت مال المسلمين. وكان يرى أن تنظم الشيعة نفسها تنظيمًا سرّيًا حتى يصلب عودها وتمتد وتتظفر ضعف الدولة الأموية فتتقصر عليها، وتنتهيها، وتنفيذاً لفكرته بثّ الدّعاة في العراق وخراسان بخاصّة، وعندما توفّي تولّى الدعوة بعده ابنه أبو هاشم عبد الله.

ويقول المؤرخون إن الحاكم الأموي سليمان بن عبد الملك كشف أمر هذه الدعوة فتوصّل إلى سمّ عبد الله بن محمد بن الحنفية وهو متّجه لزيارة محمد بن علي بن عبد الله العبّاس في منطقة الحميمة قرب البحر الميت. وقبل أن يقضي عليه السمّ أخبر ابن علي بن عبد الله بن العبّاس بأمر دعوته، وعرفه بأسماء الدعاة وأماكن وجودهم وكتب لهؤلاء الدعاة يطلب منهم إطاعة أوامر وتعليمات خليفته عليهم محمد بن علي العبّاسي. كان ذلك عام ٩٩هـ، ومنذ ذلك الوقت شغف العبّاسيون بتولّي الحكم، وقام محمد هذا بزيارة الدعاة ووجههم إلى خراسان بخاصّة لأنها بعيدة عن مركز الدولة وفيها أقوام تكره الحكم الأموي، وقد أوصى دعاته بإبقاء أمر من يدعون إليه غامضاً، بل عليهم الدّعوة لشخص غير محدّد من آل البيت.

وعند نجاح الدعوة والقضاء على الدولة الأموية يتفق الثائرون على شخص يرتضونه من آل البيت، ولذلك طرح الدّعاة شعار (الرّضا من آل محمد).

وبعد موت محمد العبّاسي خلفه في قيادة الدعوة ابنه إبراهيم الذي صار يطلق على نفسه لقب الإمام تشبهاً بالأئمة العلويين وصار كبير دعاته النّاجح شخصية غامضة لا يعرف نسبها، ولكنها تمتاز بالبراعة في التنظيم والدهاء، إنها شخصية أبي مسلم الخراساني الذي نظّم الدعوة في خراسان تنظيمًا عظيمًا وألف جيشاً استطاع فيه القضاء على والي خراسان الأموي نصر بن سيار.

ولكن إبراهيم الإمام لم ير تحقيق ما يدعو إليه إذ عرف أمره مروان بن محمد آخر حاكم أموي فحبسه ومات في حبسه، وقبل موته أوصى لأخيه عبد الله بن محمد المعروف بأبي العبّاس السفاح.



وعندما دحرت الجيوش العباسية الفرق العسكرية الأموية بقيادة مروان واستولت على العراق وبلاد الشام ومصر، وقتلت مروان في بوصير في مصر قضى على الدولة الأموية، وقتل أكثر أفراد الأسرة الأموية، ونشئت قبور حكام تلك الدولة، وأحرقت جثة هشام بن عبد الملك لأنها وجدت كاملة لم تتحلل.

واستولى أبو العباس السفاح على الحكم وعيّن الفارسيّ أبا سلمة الخلال وزيراً له ولقبه بوزير آل محمد، وهكذا قطعت الأسرة العباسية ثمار كلّ الحركات والثورات التي قام بها الشيعة إبان حكم بني أمية وبذلوا نعيمهم في سبيل إقامة مجتمع العدل والمساواة والحرية، ولكنهم أخفقوا.

### الانشقاق الثاني:

في نهاية الحكم الأمويّ وبداية الحكم العباسيّ كان إمام الشيعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وهو الإمام السادس، وقد أصبح إماماً بعد وفاة والده الإمام محمد الباقر عليه السلام وقد تمتع الإمام جعفر عليه السلام بعلم غزير واسع كالمحيط، وكان العالم الأوّل والأوحد في زمانه وبخاصة في الفقه، وكان حجةً في كل العلوم، ويقال إنه وضع علم الكيمياء، وقد نبغ من تلاميذه في هذا المجال العالم العربيّ جابر بن حيّان، وإليه ينسب علم الكيمياء اليوم، وقد تخرّج على يد الإمام جعفر عليه السلام أكثر من ٤٠٠ عالم في الفقه، وكان من تلاميذه أئمة السّنة الأربعة: أبو حنيفة، والشافعيّ والمالكيّ والحنبليّ: فأبو حنيفة تتلمذ على الإمام جعفر الصادق عليه السلام وتلمذ على أبي حنيفة مالك، ثم تلقى الشافعيّ عن مالك، وهكذا الأمر مع أحمد بن حنبل.

ويطيب لي أن أنقل ما كتبه الدكتور مصطفى غالب عن هذه الشخصية الفريدة في تاريخ العرب والإسلام. يقول الدكتور مصطفى:

«وما إن وصلت إمامة الشيعة بموجب النصّ الشرعيّ إلى الإمام جعفر الصادق بن محمد ابن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام حتى التفّ حوله عدد كبير من الشيعة، واعتبروه المؤسّس الحقيقيّ للمدرسة الشيعيّة الدينية والفكرية وواضع أصول المعتقدات الشيعيّة.

ولا بدّ للباحث في فقه الإسلام على ضوء العقل من التحدّث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام مفجّر الثقافات الفكرية الإسلامية وعميد المدارس الفلسفية في الإسلام؛ وإذا ما

افتخرت المدينة الغربية بالثقافة الإنسانية للأوائل ، فليس علينا إلا أن نرفع رأسنا عالياً مفتخرين بالنزعة الإنسانية التي أوجدها التيار الفكري الإسلامي الذي تغذى بالتقوى ، ووضع أسسها وخطط لها الإمام جعفر الصادق صاحب أول نداء انبعث من الأعماق لإيقاظ رسالة الإنسان الكاملة في معانيها الدقيقة ، وأهدافها السامية النبيلة ولقد جعل الإنسان المحور الذي تدور عليه القيم ، والمفسر لمعالم الكون من الوجهة الإنسانية .

يعتبر الإمام الصادق عليه السلام من أعظم الشخصيات العلمية في الإسلام في عصره ، وبعد عصره بالرغم من أن شخصيته العلمية لا تزال غامضة تحتاج إلى من يفجر طاقاتها ، ويكشف كنهها ، ويسبر غورها لأن التاريخ يحتم علينا أن نرفع القناع عن حقيقة أعظم شخصية علمية أوجدت مدارس خاصة في الإسلام كان لها تأثير قوي في التيارات الفكرية الإسلامية .

وقد تخرج من تلك المدارس فرق عديدة أهمها : المعتزلة ، الصوفية ، الجعفرية ، الإثناعشرية .

ومن الملاحظ أن أكثر أحاديث الإمامة تروى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام وأهمها ما رواه عن جده الإمام : علي بن أبي طالب عليه السلام في كيفية خلق العالم ، وكيف انتقل النور من آدم إلى محمد عليه السلام ومن ثم انتقل ذلك النور إلى الأئمة المنصوص عليهم من آل البيت .

ويؤكد أكثر العلماء والمؤرخين أن الإمام الصادق عليه السلام هو الذي وضع الفقه المسمى باسمه - الفقه الجعفري - الذي تسير عليه ويموجه كافة الفرق الشيعية في العالم .<sup>(١١)</sup>

وقد قيل إن أبا سلمة الخلال عرض الخلافة على الإمام جعفر الصادق عليه السلام قبل أن يسلمها للسفاح فرفض الإمام جعفر عليه السلام عرضه ، وقام بعد ذلك بمبايعة السفاح .

انصرف الإمام جعفر عليه السلام إلى شؤون العلم والتدريس ولكن أبا جعفر المنصور الذي خلف السفاح كان يراقب العلويين سراً وعلناً ، ويخاف من قيام أئمتهم بحركات ثورية ضده ويخاصه بعد أن رفض شقيقان من الأسرة العلوية مبايعته ، وقاما بحركتين ثوريتين ضده ، والشقيقان هما : محمد بن عبد الله (النفس الزكية) وإبراهيم بن عبد الله ، وجدهما الإمام الحسن عليه السلام .

قام محمد ذو النفس الزكية بثورته في المدينة المنورة في شهر رجب ١٤٥ هـ ٧٦٢م وبايعته المدينة بأكثريتها ولكن عند وصول جيش أبي جعفر إلى المدينة تفرق عنه عدد من

مبايعه وبالرغم من ذلك قاتل بشجاعة نادرة ورفض الاستسلام ، وقتل في ١٤ رمضان ١٤٥ هـ ، وحُز رأسه الشريف وأرسل إلى أبي جعفر .

أما أخوه إبراهيم فقد ثار في البصرة واستولى على الأهواز وواسط ، وبعد القضاء على أخيه محمد أرسل له أبو جعفر جيشاً كبيراً التقى جيشه في مكان يدعى (باخْمَرِي) ، واستشهد إبراهيم في ٢٥ من ذي القعدة عام ١٤٥ هـ .

لقد كان الشقيقان من أفضل الحكام في معاملة الناس إبان حكمهما القصير ، ولكن حظهما عاثر ، و . .

كان للإمام جعفر الصادق عليه السلام عدة أولاد أكبرهم إسماعيل ، وقد توفي في حياة والده ، فأحضر الإمام الصادق عليه السلام جمعاً من الشيعة شهدوا موته ، ثم سَمَّى ولده الأصغر موسى إماماً بالنص الشرعي فصار موسى الإمام السابع بعد وفاة الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، ولكن فريقاً من الشيعة قال : إن الإمام الصادق عليه السلام نصَّ أن يتولى ولده الأكبر إسماعيل عليه السلام من بعده ، وبما أن إسماعيل قد توفي في حياة والده فيجب أن تنتقل الإمامة إلى ابنه محمد بن إسماعيل لأن الإمامة لا تكون إلا في الأعقاب ، وقد قيل إن محمداً كان لا يزال في بطن أمه حينما توفي والده .

اضطرب أمر الشيعة في حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، وانقسموا إلى فريقين :

الأول اتبع إسماعيل وابنه محمداً بعده وصاروا يلقَّبون بالإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام .

والثاني اتبع الإمام السابع موسى الكاظم (لأنه كان يكظم غيظه) وهم جمهور الشيعة ، وتابع ولده من بعده .

وهكذا حدث الانشقاق الثاني في الشيعة عام ١٣٨ هـ أو عام ١٤٥ هـ كما يؤكد بعض المؤرخين .

يعرف الإمام موسى الكاظم عند أهل العراق بباب الحوايج لأنه ما خاب المتوسِّل به في قضاء حاجة قط .

حبسه الحاكم العباسي المهدي فرأى في نومه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول له : «يا محمد ، فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم؟» .

فأرسل وزيره الربيع ليلاً فأحضره، وعانقه وأخبره بالواقعة وقال له: يا موسى! تعاهدني ألا تخرج عليّ ولا على أحد من ولدي. قال: والله، لا فعلت ذلك ولا هو من شأني. قال: صدقت.

وسأله الرشيد يوماً فقال: يا موسى، لم قلتم إنكم أقرب إلى رسول الله ﷺ منا؟ فقال له: لو أن رسول الله ﷺ خطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه؟ فقال: سبحان الله! وكنت أفخر بذلك على العجم والعرب. فقال الإمام موسى عليه السلام: لكنه لا يخطب إلي ولا أزوجه لأنه والدنا لا والدكم فلذلك نحن أقرب إليه منكم، ثم قال: وهل كان يجوز له أن يدخل على حرمك وهنّ منكشفات؟ فقال الرشيد: لا. قال الإمام: لكنه كان له أن يدخل على حرمي ويجوز له ذلك، فلذلك نحن أقرب إليه منكم.

وكانت وفاته عليه السلام ١٨٣ هـ، فلما توفي أمر الرشيد بوضع نعشه على الجسر ببغداد وينادي عليه: «هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الشيعة أنه لا يموت، فانظروا إليه ميتاً». ثم دفن بمقابر قریش. (٦٥)

بعد وفاة الإمام موسى الكاظم أصبح ولده عليّ عليه السلام الإمام الثامن ولقبه (الرضا) والصابر، والزكي، وقد عاصر هارون الرشيد الذي أوصى بولاية العهد إلى ولديه محمد الأمين وعبد الله المأمون، وبعد موته صار الأمين حاكماً للدولة العباسية وقام بعزل المأمون عن ولاية عهده، وذهب المأمون إلى خراسان وتمرد على أخيه، وأحاط به الفرس. لأن أمه كانت فارسية. وساعده: وقام المأمون بكسب ود العلويين، وتقرب منهم، وجعل الإمام عليّاً الرضا عليه السلام ولي عهده ليستلم الحكم بعده.

وقد انخرط العلويون في جيش المأمون، وقاتلوا جيش الأمين واحتل جيش المأمون بغداد وقتل الأمين في ٢٥ محرم عام ١٩٨ هـ (٥/٩/٨١٣ م) وصار المأمون في اليوم نفسه حاكماً عباسياً جديداً غير أنه أمر جيشه بطرح السواد شعار العباسيين، ولبس ثياب الخضرة شعار العلويين، وظل ذلك مرعياً حتى سنة ٢٠٤ هـ، والمأمون لا يزال مقيماً بخراسان.

ولما سمع أن أهل بغداد خلعوه لأنه جعل ولاية العهد لعلوي، وجعل شعار العلويين شعاراً له، ولأركان دولته، عند ذلك رحل إلى بغداد يصحبه الإمام علي الرضا عليه السلام.

وفي مدينة (طوس) توفي الإمام الرضا عليه السلام فجأة، وأتهم المأمون بأنه دس السم له ليتخلص منه، وليستميل إليه عائلته العباسية التي تمردت عليه، وعينت بدله إبراهيم بن

المهدي . وبعض المؤرخين نفى هذه التهمة عن المأمون لأنه كان يفضل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقد صاهر الإمام علياً الرضا عليه السلام وليس من المستبعد أن تكون بطانة المأمون هي التي سمّت الإمام الرضا عليه السلام عام ٢٠٣ هـ .

روى المؤرخ أحمد بن يوسف القرماني مؤلف كتاب (أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ) وهو ليس من الشيعة ، أن رجلاً قال للإمام علي الرضا عليه السلام إن امرأتي حامل ، فادع الله أن يجعله ذكراً . فقال الإمام عليه السلام : هما اثنان . فقال الرجل : أسمي الواحد محمداً ، والآخر علياً ، فدعاه الإمام وقال : سمّ واحداً علياً ، والآخر أم عمرو . يقول الرجل : فولدت لي امرأتي غلاماً وجاريةً فسميتهما كما ذكر . وروى الحاكم بإسناده عن أبي حبيب قال : رأيت النبي ﷺ في المنام في مسجد وبين يديه طبق فيه تمر صيْحانيّ فوقفت بين يديه فقبض لي قبضة من التمر وناولنيها فعددتها فوجدتها ثمانين عشرة تمرّة فتأولت أنّي أعيش عدتها ، ثم جاء بعد أيام علي الرضا من المدينة فمضيت إليه فإذا هو في الموضع الذي رأيت النبي ﷺ جالساً فيه ، والطبق والتمر بين يديه ، فتأولني قبضة عدتها كقبضة النبي ﷺ فقلت : زدني ، فقال : لو زادك رسول الله ﷺ شيئاً لزدناك .<sup>(١٦)</sup>

بعد وفاة الإمام علي الرضا عليه السلام صار ولده محمد عليه السلام الإمام التاسع حسب النص الشرعيّ ، وقد قرّبه المأمون إليه وزوّجه ابنته وكان الإمام محمد عليه السلام كريماً جداً فلُقّب بالجواد ، ولكنه لم يعيش طويلاً فقد توفي عام ٢٢٠ هـ وعمره (٢٥) سنة ، وكان العلويون في زمنه مقرّبين من المأمون حتى عام ٢٠٧ هـ حينما ثار عليه عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام في اليمن فقبض على ثورته لكنه لم يعاقبه بل أمر العلويين بلبس السواد بدل الخضرة . وقبل موته أوصى المأمون أخاه المعتصم بحسن صحبته للعلويين وتقديم الصلّات والإكرام لهم :

«وهؤلاء بنو عمك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأحسن صحبتهم ، وتجاوز عن مسيئتهم ، وأقبل من محاسنهم ، وصلاتهم فلا تغفلها في كل سنة عند محلّها فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى» .<sup>(١٧)</sup>

وقد نفّذ المعتصم الوصيّة ولم يقتل محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين عليه السلام وكان زليفاً وخرج على المعتصم بالطالقان في خراسان فحاربه عبد الله بن طاهر أمير خراسان وهزمه ولكن أسره وأبقى على حياته غير أنه حبسه في سامراء فهرب من الحبس بعد ذلك .

أصبح عليّ بن محمد (عليهما السلام) الإمام العاشر بعد وفاة والده ، ولقبه الهادي ، وقد عاصر المعتصم والواثق والمتوكل بن المعتصم ، والمتوكل هذا كان (ناصباً) يكره الإمام عليّاً بن أبي طالب (عليه السلام) ، ويبغض العلويين وآل أبي طالب جميعاً . «وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى عليّاً وأهله بأخذ المال والدم ، وكان فيما يقال يبغض من تقدّمه من الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق لمحبة عليّ وأهل بيته ، وكان ينادمه ويجالسه جماعة اشتهروا بالنصب وبغض عليّ فكانوا يخوفونه من العلويين ويشيرون عليه بإبعادهم والإعراض عنهم ، والإساءة إليهم ، ثم حسنوا الواقعة في أسلافهم الذين يعتقد الناس علو منزلتهم في الدين ، ومن آثار تلك الكراهية أنه أمر في سنة ٢٣٧هـ بهدم قبر الحسين بن عليّ بكر بلاء وهدم ما حوله من المنازل والدور وأن يحرق ويذمر ويسقى موضع قبره ، وأن يمنع الناس من إتيانه ، فذكر أن عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية : «من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة أيام بعثنا به إلى المطبق (السجن) ، فهرب الناس ، وامتنعوا من المصير إليه ، وحرث ذلك الموضع وزرع ما حوله» . (١٨)

وقال آدم ميتز في كتابه الحضارة الإسلامية : «كان المتوكل ٢٢٣ - ٢٤٧هـ / ٨٧٤ - ٨٦١م ، شديد البغض لعليّ ولأهل بيته ، حتى من جملة ندمائه رجل يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدّة ويكشف رأسه ، وهو أصلع ، ويرقص ويقول : قد أقبل الأصلع البطين أمير المؤمنين يعني عليّاً رضي الله عنه والمتوكل يشرب ويضحك» . (عن أبي الفداء) (٦٩)

وقد سعى مبغض لآل البيت بالإمام الهادي (عليه السلام) بأنه يخزّن في بيته سلاحاً وأموالاً وكتباً من شيعته فوجّه إليه من هاجم منزله ليلاً وهو غافل فوجده قائماً يصلي على حصير وعليه جبة من صوف ولم يجد سلاحاً ولا مالاً ولا كتباً . وأحضر الإمام (عليه السلام) إلى المتوكل وكان يشرب الخمر فأجلسه إلى جانبه وطلب إليه أن يشرب معه الخمرة فرفض واستعفاء من شربها فلم يقسره .

توفي الإمام عليّ الهادي (عليه السلام) عام ٢٥٤هـ في سامراء وقبل وفاته أوصى لولده الحسن ففداه الإمام الحادي عشر وكان لقبه العسكري لأنه ألزم على الإقامة في سامراء وكانت تعرف بالعسكر ، وظلّ مقيماً بها ٢٠ سنة وقبض فيها عام ٢٦٠هـ . ومن كراماته : «أصاب البلاد قحط أثناء حكم المعتد فأمّر الناس بالاستسقاء فما زادت السماء إلا صحواً ، فخرج بعدهم النصاري والرهبان وكان فيهم راهب كلما مدّ يده إلى السماء هطلت ففتنّ به الناس ، فأرسل

المعتمد إلى الإمام الحسن (عليه السلام) أن أدرك أمة جدك محمد (عليه السلام) قبل أن يرتدوا، وأطلقه من الحبس ومن معه، فلما رفع الراهب يده أمطرت السماء، وكان في ذلك المشهد الخليفة فممن دونه، فلما رفع الراهب يده أمر الحسن (عليه السلام) بالقبض على يد الراهب فإذا بين أصابعه عظم آدمي فأخذه الحسن (عليه السلام) ولفه ودفنه، وقال للراهب: استسقى، فانكشفت السماء، فعجب الناس، وقال الخليفة: ما هذا يا أبا محمد؟ قال الإمام: هذا عظم نبي من أنبياء الله ظفر به هذا الراهب، وما كشف من عظم نبي تحت السماء إلا هطلت بالمطر، فامتحنوا ذلك العظم فكان كما قال.

وسأله رجل أن يدعو له بالفن لفقير مس فقَالَ له: أبشر مات ابن عمك، وخلف مئة ألف درهم، وعن قريب يأتيك، فورد الخبر عن قريب والمال معه. (٧٠)

قتل المتوكل بيد ابنه المنتصر عام ٢٤٨هـ فأزال عن العلويين الظلم والتضييق وسمح لهم بزيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام)، وأنصف رعيته غير أنه توفي بعد ستة أشهر من حكمه، فتولى الحكم بعده أحمد بن محمد بن المعتصم الملقب بالمستعين الذي في عهده ظهرت للوجود أول دولة للشيعة الزيدية عام ٢٥٠هـ، وقد استمرت هذه الدولة حتى عام ٣٥٥هـ، وكانت منتشرة في إقليمي الري، وطبرستان، وتعاقب على حكمها الحسن بن زيد الداعي، ومحمد بن زيد القائم بالحق، والحسن الأطروش بن علي بن عمر بن زين العابدين، والحسن ابن القاسم بن علي بن عبد الرحمن ومعه أولاد الأطروش.

بعد قبض الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) أصبح إمام الشيعة الإمام محمد بن الحسن العسكري (عليه السلام) وهو الإمام الثاني عشر ولقبه المهدي، وبعد ست سنوات من إمامته غاب عن الأنظار، وكانت غيبته في مدينة سامراء عام ٢٦٦هـ. وعند الشيعة عموماً اعتقاد وإيمان بأنه حي وسيعود إلى الظهور ويملا الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً وظلماً، وسيكون يوم ظهوره في عاشوراء في مكة ومنها ينتقل إلى الكوفة.

### الانشقاق الثالث:

وبغية الإمام المهدي (عليه السلام) حدث الانشقاق الثالث في الشيعة بسبب الخلاف حول مهمة الباب السيد محمد بن نصير العبدى البكري النميري. فقد كان رأي قسم من الشيعة أن مهمته الدينية قد انتهت بغياب الإمام محمد المهدي (عليه السلام). ويجب أن يتوقف عن كل نشاط

ديني، وهؤلاء كان لهم قيادات دينية كانت تراحم السيد محمد بن نصير على مركزه الذي هو (الباب) ومنهم الشلمغاني بن أبي العزافر والسريعي، ومن المحتمل أن يكون الحسين بن منصور الحلاج منهم، لأن الحلاج هذا انتقل من مبدأ إلى مبدأ. ومنهم إسحق الأحمر أيضاً.

أما الفئة التي التزمت بآية أبي شعيب محمد بن نصير النميري، فقد أصرت على استمراره في مركزه لأن الشيعة يجب أن يظل لهم مرجع ديني كبير يرجعون إليه في أمورهم الدينية بعد غياب الإمام المهدي المنتظر عليه السلام وبما أن أبا شعيب كان باباً لإمامين وقد ثقف علومه من الأئمة السابقين ومن إمام عصره فهو الجدير بقيادة الشيعة بعد غيبة الإمام المهدي عليه السلام.

**وتوضيح أهمية الباب نقول:** «إن الإمام كان يختار رجلاً عالمًا فاضلاً، يتحلّى بالأخلاق الرفيعة والمزايا الحميدة يأخذ عنه العلم، ويكون واسطة بينه وبين شيعته ويبلغ عنه، وينقل تعليماته ونواحيه، ويحدث عنه بالعلوم التي اجتناها ولقناها منه هذا الرجل الثقة الأمين المحب المتفاني في الإخلاص والقداء كان يطلق عليه لقب (الباب) وهذه التسمية مأخوذة من قول الرسول ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب». (٧١) فكان لكل إمام من الأئمة باب. وبهذا الانقسام الجديد أصبحت الشيعة أربع فرق:

١- **الفرقة الزيدية وإمامها المعظم عندها:** زيد بن علي بن الحسن عليه السلام، وقد استطاعت هذه الفرقة تأسيس أول دولة شيعية زيدية في طبرستان أثناء حدوث الانشقاق الثالث للشيعة، وهي تؤمن باستمرار الإمامة.

٢- **الفرقة الإسماعيلية وإمامها إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام**، وتولت بعده ابنه محمداً المكتوم وسارت على تعاليم خاصة، ومزجت بين العلم والعقل، واتبعت التنظيم السري الشديد في بث دعوتها، وكان مركز الدعوة ومركز الإمامة في مدينة (سلمية) القرية من مدينة حماة السورية، وكانت أثناء الانشقاق الثالث في طور الانتشار، وتؤمن باستمرار الإمامة إلى يوم الإقامة.

٣- **الفرقة الشيعية:** التي تعظم شأن الإمام علي عليه السلام وتؤمن باثني عشر إماماً، وتقف عند الإمام محمد المهدي القائم المنتظر القائم بالحجة عليه السلام وكان أفرادها ينتشرون في بقاع الدولة العباسية وبخاصة في العراق وبلاد الشام وخراسان، ويختلفون عن العلويين بباية أبي شعيب.



٤- الفرقة العلوية : التي تعظم شأن الإمام المرتضى عليّ بن أبي طالب عليه السلام إمام الأئمة ، وإمام الشيعة جميعها ، وتؤمن باثني عشر إماماً وتتوقف عند الإمام محمد المهدي المنتظر عليه السلام ، ولكنها ترى أن أبا شعيب محمد بن نصير النميري هو المسؤول عن الشؤون الدينية بعد غيبة الإمام الثاني عشر ، وهو المرجع الوحيد لهذه الفرقة التي يأخذ بشأنها لتظل سائرة على طريق الهدى والحق .

على هذا النحو برزت الطائفة العلوية فرقة من فرق الشيعة يقودها (الباب) أبو شعيب محمد بن نصير النميري يعلمه الغزير وقيادته السمحة ، وزهده وتقشفه وفقهه في الدين ، وشدة حبه للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومواليه لأهل البيت الكرام . وقد اتبع التنظيم السري في نشر الدعوة العلوية وكون التلاميذ والأتباع في مناطق متعددة من الدولة العباسية ، ولكنه ركز بشكل كبير على العراق وبلاد الشام ومصر .

نُقِسَ على أبي شعيب علمه وقيادته المدعو إسحق الأحمر فجحد بابيته وزعامته للعلويين ، وأصبح خصماً معارضاً معانداً منافقاً يتلفظ بألفاظ الإيمان ولكنه يطن الكفر فطرد من بين صفوف العلويين ونعت بأنه : «عنصر الشيطان ، ومعدن الكفر والطغيان» .<sup>(٣٢)</sup>

قبل موته سلّم أبو شعيب محمد بن نصير النميري مرجعية العلويين وقيادتهم إلى السيد أبي محمد عبد الله بن محمد الجتنان الجنبلائي الذي كان مقيماً ببلدة (جنبلا) وموقعها في العراق بين واسط والكوفة . ولد عام ٢٣٥هـ ونشأ محباً للعلم فتقف علوم عصره فأصبح عالماً علامة ، صاحب فلسفة فتكلم عن الهيئة والاستقصاء والكور والدور والنجوم ، وطعن على المنجمين ، وتكلم عن الأفلاك والدائرة والنقطة في كتاب له يدعى (إيضاح المصباح) وُصِف كتابه بأنه لم يكن أبْلَغ منه بياناً .

وإلى جانب علمه كان عابداً زاهداً ممّا رشّحه لأن يكون خليفة للسيد محمد بن نصير النميري فتولى رئاسة العلويين وأصبح شيخهم فقام برحلات إلى مصر وغيرها لبث الدعوة واكتساب الأنصار والتلاميذ . وفي (جنبلا) التقى الخصيبي فضمه إلى الدعوة ثم اختاره ليخلفه في رئاستها ، وضمّ إلى جانب الخصيبي رجالاً امتازوا بقراءة القرآن الكريم وشرحه ، وكتابة كتب في التفسير والفقه .

ومما لفت نظري في سيرتهم أنهم كانوا حجاجاً إلى بيت الله الحرام ، وبعضهم حجّ إلى القدس .

انتقلت رئاسة العلويين بعد وفاة الجنبلائي عام ٢٨٧هـ إلى تلميذه المقرّب والعالم الفقيه السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي الذي ولد عام ٢٦٠هـ في مصر، وقد شبّ على حبّ العلم والدين فحفظ القرآن الكريم وهو ابن إحدى عشرة سنة، وحجّ وعمره خمس عشرة سنة، وحجب بصره وعمره عشرون سنة، وكان لا يبصر إلا ما يقرؤه.<sup>(٧١)</sup>

وقد سافر إلى (جنبلا) برفقة أبيه وعمّه أحمد بن الخصيب، والتقى الجنّان الجنبلائي شيخ الدعوة وتلمذ له، ثم خلفه بعد موته في رئاسة العلويين الدينية، وانتقل إلى بغداد فدمشق، واستقرّ أخيراً في حنب، إلى أن توفي فيها، وقبره اليوم في شمالها يزار، وهو معروف لدى الحلبيين بمزار الشيخ (بيرق) أو براق.

وقد آلف كتاباً في مذهب العلويين أعظمها وأهمّها كتاب (الهداية الكبرى) يتضمّن فضائل النبي ﷺ وفضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، وله كتاب (أسماء النبي ص)، وأسماء الأئمة ع)، والإخوان، والمائدة.

وقدّم كتابي (الهداية الكبرى والمائدة) للأمير الحمدانيّ سيف الدولة. (٧٥)

ويورد المستشرق بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي أن الخصيبيّ كان يؤمّ سيف الدولة في الصلاة، وكان قيماً لمكتبته الكبيرة.

يعتبر الخصيبي شيخ العلويين الأكبر لأنه كان رئيساً عالماً، وداعية منظماً، قوياً، كبيراً، صاحب حجّة وإقناع، استطاع بقدرته العلمية، وحجته العقلية أن يستميل الحكام والرؤساء والولاة إلى المذهب العلوي مما ساعد على تكاثر العلويين وانتشارهم في كل بقاع الأرض.

وله الفخر أنه استطاع ضمّ سيف الدولة الحمداني إلى صفوف العلويين، وكذلك رؤساء بني بويه الذين حكموا بشكل فعلي الدولة العباسية أكثر من مئة عام، ويدر بن عمّار والي طبرية، وهو ممّن مدحهم المتنبي، ثم ضمّ غيرهم كثيرين، وستعرض لترجمة بعضهم، وإذا كان السادة القادة للعلويين قد اتّبعوا التنظيم السري لنشر التعاليم وجذب الأتباع وتكتموا في بعض المسائل الإسلامية (فجميع طرق التصوف في الإسلام تقول بضرورة كتمان بعض المعلومات الدينية عن غير مستحقيها)<sup>(٧٥مكرر)</sup>، والعلويون أتباع طريقة من طرق التصوف في الإسلام.

## المراجع

- ٦٣ - نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .
- ٦٤ - الحركات الباطنية في الإسلام ص ٥٠ - ٥٢ .
- ٦٥ - كتاب أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ص ١١٣ .
- ٦٦ - كتاب أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ص ١١٤ .
- ٦٧ - كتاب الدولة العباسية ص ١٩٠ .
- ٦٨ - كتاب الدولة العباسية ص ٢٥٩ .
- ٦٩ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ١٢٨ .
- ٧٠ - كتاب أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ص ١١٧ .
- ٧١ - كتاب المراجعات ص ١٦٦ .
- ٧٢ - تاريخ العلويين للطويل ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .
- ٧٣ - مؤلفات الشيخ حسين أحمد (مخطوط) .
- ٧٤ - خير الصنيعة ج ١ ص ١٥٣ .
- ٧٥ - الأعلام ج ٢ .
- ٧٥ مكرر : تاريخ العلويين نقد وتقرير الشيخ عبد الرحمن الخير ص ٢٧ .

## الفصل الثامن

### تكاثر العلويين وانتشارهم

يعتبر القرن الرابع الهجري منذ بدايته القرن الذهبي للعلويين ، ففيه لقيت دعوتهم الاستجابة في النفوس في كل مكان من الدولة العباسية المترامية الأطراف .

وانتشروا في المدن والأمصار والأرياف والجبال ، وعلى سواحل البحار ، واعتنق مذهبهم الحكّام والولاة والأدباء والكتاب والشعراء ، وكثير من عامة الناس وبخاصة في بلاد الشام لوجود الخصيبي في حلب ، وتفرّق تلاميذه ودعائه في كل مكان وصقع ، في الشرق والغرب وفي الشمال والجنوب ، في أفريقيا ومصر ، في طبرية ، في صيدا ، في صور ، في دمشق ، وحمص ، وحماة ، وحلب ، وأنطاكية واللاذقية ، وعانة ، وبغداد ، وفي المشرق حتى الصين . ولنا أن نتساءل : كيف قيّض لهذه الدعوة الانتشار بعد كبت وانكسار ، ومحاربة ومقاومة بلغت إلى الفتك بالنفوس ، وتعليق الأجساد والرؤوس على عيدان الصلب فوق الجسور وعلى مفترق الطرق ؟

إن الدولة العباسية بعد مرور مئة عام على قيامها ، وبعد موت الحكام الأوائل الأقوياء بدأت تميل إلى الضعف بعد القوة ، واستلم الحكم حكام صاروا ألعوبة بيد قوادر الجيش من الأتراك والأجانب الذين استعان بهم المعتصم ليحدّ من نفوذ القوادر العرب ، وقد شجّعته على هذا الأمانة التركية ، وقد دقّ بذلك الإسفين الأول في نفس دولة آبائه وأجداده وأصبح قوادر الجيش من الأتراك يخلعون خلفاء الدولة إذا لم يستطيعوا إرضاء نزواتهم وشهواتهم وسيطرتهم المتلذّبة بالتقلّب والمزاجية وسوء الطويّة .

وقد أنهك الدولة قيام الثورات المتعاقبة التي قام بها الشيعة في عدة أطراف من أجزائها ، فمنذ قيام هذه الدولة والشيعة تحاربها وتسمى للقضاء عليها لأن الشيعة اعتبروا العباسيين مفتشين لحق العلويين في الحكم .

وقد عامل العباسيون العلويين بقسوة بالغة تجاوزت قسوة الأمويين وبخاصة من قبل الحكام الأوائل مثل أبي جعفر المنصور ، والرشيد ، والمتوكل فقال شاعر شعبي :

يا لَيْتَ جَوْرَ بني مروان دام لنا يا لَيْتَ عدَلَ بني العباسِ في النار

وكنا قد ذكرنا قيام ثورتين بقيادة علويين شقيقين هما: محمد بن عبد الله (النفس الزكية) وإبراهيم بن عبد الله، ضد أبي جعفر المنصور في عام ١٤٥هـ، وقد قضى أبو جعفر على الثورتين بلا شفقة ولا رحمة. وفي عام ١٦٩هـ أثناء حكم المهدي خرج الحسين بن علي بن الحسن المثلث في المدينة، والتقى جيشه جيش المهدي في مكان يدعى (قنّ)، واستشهد الحسين، ولكن فرّ من الموقعة رجلان من آل البيت استطاعا تأسيس دولتين إحداهما في المغرب، ودعيت دولة الأدارسة بقيادة مؤسسها إدريس بن عبد الله الحسن بن عليّ أخي محمد النفس الزكية، واستمرت من ١٧٢هـ أثناء حكم الرشيد القوي.

أما الدولة الثانية فكانت بقيادة مؤسسها عبد الرحمن بن عبد الله وهو أخو إدريس، وقامت في المشرق، في بلاد الديلم، لكنها لم تستمر طويلاً لأن هارون الرشيد استطاع إقناع يحيى بالتخلي عن دولته والعودة إلى بغداد ليعيش تحت رقبته.

وفي عام ٢٠٧هـ خرج باليمن من آل البيت عبد الرحمن بن عبد الله لكنه لم يستقل باليمن لأن المأمون سبّر إليه جيشاً وعرض عليه الصلح فأجاب وتخلّى عن ثورته.

ونتيجة لسياسة المأمون المتسامحة قامت ثورات متعددة في أطراف الدولة الشرقية وكانت ثورات عرقية تدعو للانفصال عن جسم الدولة، ولم يكن للعلويين فيها شأن.

وقد أسست دول في المشرق بقيادة قواد أو ولاة تابعين للدولة العباسية، أو متمردين ذوي نزعات دينية وثنية فقامت الدولة الطاهرية في خراسان بإبان حكم المأمون، ثم قامت الدولة الصفارية بزعامه يعقوب بن الليث الصفّار (صانع النحاس) في منتصف القرن الثالث الهجري في سجستان وقضى عليها السامانيون وأسسوا دولة لهم عام ٢٨٧هـ.

وقامت الدولة الزيدية في طبرستان عام ٢٥٠هـ، وهي دولة شيعية، ثم ظهرت إلى الوجود الدولة الفاطمية عام ٢٨٦هـ، وهي دولة الإسماعيليين الذين استطاعوا نشر مبادئهم بطريقة سرية عبقرية منظمة، نشروها في أفريقيا بين البربر وأقاموا دولتهم في المغرب والجزائر وتونس وليبيا وأعلنوا قيام الخلافة الفاطمية، وبنوا مدينة المهديّة في تونس عاصمة لهم، ثم زحفوا على مصر واحتلوها عام ٣٥٨هـ، ونقلوا حكمهم إليها، وشيدوا مدينة القاهرة عام ٣٥٩هـ وجعلوها عاصمة لحكمهم، ثم توسعوا شمالاً فاحتلوا بلاد الشام والحجاز

واليمن وحصروا العباسيين في رقعة ضيقة من العراق وخراسان، وأصبحت الدولة الفاطمية تمتد من أفريقيا إلى أعالي الفرات.

وعانت الدولة العباسية من ثورات الزنج عام ٢٥٢هـ، والقرامطة عام ٢٧٨هـ، وقيام إمارات الحمدانيين في الموصل وميفارقين، وديار بكر في مطلع القرن الرابع الهجري، وتأسيس إمارة حلب من قبل سيف الدولة الحمداني عام ٣٣٣هـ.

وفي عام ٣٣٤هـ في ١١ جمادى الأولى استلم (بنو بويه) الشيعة الحكم في بغداد، بعد طلب من قواد بغداد والخليفة العباسي المكتفي الذي عين كبير الأخوة أحمد وزيراً مطلقاً يتحكم في كل شيء وحتى في مصير الخلفاء، وأطلق عليه لقب (معز الدولة) وعلى أخيه الحسن لقب (ركن الدولة) وعلى (علي) لقب (عماد الدولة) وأصبح البويهيون حكاماً للعراق وفارس والريّ والجبل.

وهكذا صار الحكام في المغرب والمشرق والعراق وبلاد الشام (شيعة)، وأصبح الشعب الذي يحكمه هؤلاء الحكام بغالبيته من الشيعة، والناس على دين ملوكهم.

وانتشر التشيع كموج زاحر بعد انحسار وجزر استمر أكثر من ٢٥٠ عاماً بعد مقتل الإمام علي عليه السلام.

في هذا الجو الشيعي المحض بدأ العلويون يتكاثرون ويتشرون بتأثير دعاة مدرّبين منظمين يستندون إلى دعم حكام علويين لهم اليد العليا في مقاطعاتهم وأقاليمهم. يقول مؤلف علوي في وصف العلويين في هذا القرن:

«ولقد زها لهم العصر، ولاحت لهم أعلام النصر سنة ٣٤٠هـ، وكان الغالب على الملوك كلمة التوحيد (العلويون هم أهل التوحيد وبهذا يعرفون)، وكان أبو الحسن رايق بن الخضر الغساني ممن ملك طبرية وطرابلس وما يلي تلك الجهات، والتواحي، ملكها بعده ولده محمد بن رايق في زمن الأمير سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان العدوي سنة ٣٤٧هـ صاحب حلب.

وفي ذلك الوقت كان بدر بن عمار والياً على طرابلس من قبل محمد المذكور، وكان الحسين بن إسحق التنوخي يومئذ صاحب اللاذقية سنة ٣٥٢هـ، وكان أبو العثائر الحمداني العدوي التغلبي «من بني حمدان الخصيبي»<sup>(٧٦)</sup>.

وماذا في بغداد؟ في سنة ٣٥١هـ معز الدولة البويهى يكتب على المساجد لعن معاوية ، وفي ٣٥٢هـ أمر في العاشر من (محرم) بإغلاق الدكاكين ، وإبطال البيع والشراء في الأسواق ، وأمر الناس أن يظهروا النياحة ، ويلبسوا قبايا عملوها بالمسوح ، وأن تخرج النساء منشورات الشعور مسودات الوجوه ، وقد شققن ثيابهن ، يدرن في البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين عليه السلام ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنية قدرة على المنع لكثرة الشيعة ولأن السلطان معهم .

وفي ثامن عشر ذي الحجة أمر معز الدولة بإظهار الزينة في البلد ، وأشعلت النيران بمجلس الشرطة ، وأظهر الفرح ، وفتحت الأسواق بالليل كما يفعل ليالي الأعياد ، فعل ذلك احتفالاً بعيد (الغدير) يعني غدير خم الموضع الذي بروى أن رسول الله ﷺ قال فيه : «من كنت مولاه فعلي مولاه» اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه وضربت الدبادب والبوقات ، وكان يوماً مشهوداً .<sup>(٧٧)</sup>

#### الدعوة بعد وفاة الخصيبى:

مات الخصيبى عام ٣٤٦هـ والدعوة في أوجها ، والتلاميذ الدعاة يجولون الأمصار والمدن لكسب الأتباع ، وبالرغم من أن الدعوة سرية فقد برز قواد وكتاب وشعراء يعلنون عن علويتهم مثل : معز الدولة البويهى وأخويه .

وبتأثير الثقل العلوي للبويهيين صار في بغداد مركز للدعوة يتزعمه الشيخ : علي الجسري ، وظل المركز الرئيس في حلب ، ويشرف عليه الشيخ محمد بن علي الجلي .

١ - الشيخ علي بن هيسى الجسري : أبو الحسن ، عراقي ، عالم ، فقيه ، راوية ، محدث ، مؤلف ؛ ألف عدة كتب ورسائل وكان عمله الإشراف على جسور بغداد لذلك لقب بالجسري .

حجّ عشرين مرة .<sup>(٧٨)</sup>

٢ - محمد بن علي الجلي : أبو الحسن ، ولد عام ٣٣٠هـ ، عالم ، فقيه ، حجّ قبل أن يبلغ الحلم ، مرتين ، وحجّ مرة ثالثة وهو في الثالثة والعشرين ، مؤلف قدير ، شاعر ولم يصل من شعره إلا القليل ، اختاره الخصيبى ليكون خليفة له في رئاسة الدعوة ، بثّ الدعوة وأشرف على شؤون العلويين ، مات سيف الدولة الحمداني أثناء رئاسته للدعوة ، توفي عام ٣٩٩هـ .<sup>(٧٩)</sup>

### خلفه في رئاسة الدعوة سرور بن القاسم الطبراني الملقب بالميمون.

ولد في طبريا بفلسطين ولذلك نسب إليها، وكانت ولادته عام ٣٥٨هـ ٩٦٩م. ثم انتقل إلى حلب فتفقه بفقهاء العلويين أصحاب الخصيبي والجنبلاني، وصنف كتباً في المذهب، ثم رحل إلى مدينة اللاذقية، والتفّ حوله من فيها منهم، وأصبح شيخاً للطريقة ورئيساً إلى أن توفي، وقبره اليوم في مسجد الشعراني على شاطئ البحر. (٨٠)

وكان عالماً، لساناً، فيلسوفاً، متورعاً، متزهداً في الدنيا، دأبه العلم والمعارف، وهو شاعر، حافظ للقرآن الكريم، ألف عشرين كتاباً، غزير الإنتاج، ومجادل مفحم للخصوم، ظهر في زمانه رجل اسمه إسماعيل بن خلّاد، ولقبه أبو ذهية، كان يؤمن بمذهب التفويض، وقد ناظره الطبراني وتفوق عليه، وألف كتاباً يشرح فيه رده على أبي ذهية.

اشتهر الطبراني بلقب الشاب الثقة، توفي عام ٤٢٧هـ ١٠٣٦م. ولنا أن نسأل: لم انتقل مركز الدعوة من حلب إلى اللاذقية؟ هل لموت سيف الدولة عام ٣٥٦هـ وتلاشي دولته بعد موته علاقة بذلك؟ وهل لاستيلاء الفاطميين على بلاد الشام علاقة بذلك أيضاً؟ أم أن رجال الدعوة رأوا أن وجود مركز الدعوة في اللاذقية وجبالها المكتظة بالعلويين فقط أقوى وأكثر اطمئناناً ومحافظة على الدعوة ورجالاتها وشيوخها في محيط كله من العلويين؟ ولربما كان السبب كثرة الغارات التي شنها الروم على حلب بعد موت سيف الدولة وقتل وسبي من فيها.

لا شك أنه حدث ارتداد باتجاه المذهب الإسماعيلي بتأثير الفاطميين ودعاتهم، وقدرتهم على جذب الأتباع بالمناصب والأموال، وشتى الإغراءات.

علماء وأدباء وكتّاب وشعراء وحكّام علويّون

من القرن الرابع الهجري:

من الملفات للنظر والمثير للاهتمام وجود عدد كبير من الفئة المثقفة بين صفوف العلويين في هذا القرن وبخاصة في الطبقة القيادية، ويشير الانتباه وجود فئة من القراء التي تحفظ القرآن الكريم وتعلّمه، وقامت بالحج إلى بيت الله الحرام مرّات ومرّات، ثم وجود نخبة من الحكّام، قوية الشكيمة بارعة في مجال الحرب، مدبرة في شؤون السلم، قوية الجسم شجاعة النفس، ملتزمة بالأمور الدينية، بل نستطيع القول: إنها حافظة للدين والدنيا.



لفت انتباهي من القرآء: أبو الحسن عليّ الطوسي الكبير الذي قرأ القرآن الكريم بالقراءات السبع، وحج إلى بيت الله الحرام، وصنّف كتاباً في علم النجوم والفلك، ومات بالنجف الأشرف.

ثم المورخ أبو الحسن العسليّ، قرأ القرآن الكريم وكان فقيهاً وتوفّي وهو يصلي، ثم أبو الجارود المحدث الذي كان فقيهاً ومن ثقافة المحدثين. وأبو إسماعيل بن القاسم الفقيه الذي أسلم على يديه عدة أشخاص. وأبو القاسم بن عليّ القوساني الذي كان عالماً حافظاً للقرآن الكريم، حجّ إلى بيت الله الحرام، وإلى القدس الشريف. ويونس البديعيّ من دمشق، شرح القرآن الكريم، وحجّ مصطحباً معه ثمانية أشخاص أنفق عليهم من ماله. وأبو حمزة الكتّاني من دمشق، كان شجاعاً، محباً للمسيحيين واليهود، حافظاً للقرآن الكريم بقراءاته السبع، نحوياً، حجّ ومات في حمص. وإينال المتطيّب، كان ذميّاً قرأ رسول الله ﷺ في المنام يعلمه القرآن فأصبح وقد حفظه فأسلم هو وذريته في حماة وأسلم على يده خلق كثير. وأبو الطيّب المنشد، كان حسن الصوت ينشد معجزات رسول الله ﷺ فأسلم على يده خلق كثير من اليهود والمسيحيين لحسن صوته؛ حجّ معه عشرة رجال على نفقته الخاصة.<sup>(٨١)</sup>

ومما لفت نظري أيضاً موقف اليهود من الدّعوة فقد حاربوها بكلّ قواهم، وإذا أسلم يهوديّ بواسطة علويّ فإنهم كانوا يعمدون إلى المكر للقضاء على علويّ معروف بقراءة القرآن الكريم وتمسك بالإسلام الحنيف.

وكانوا يعمدون إلى السمّ للتخلّص من العلويين أو إلى وضع الزّئبق في الأذن.

فهذا أبو محمد النّهاوندي، الشّريف، العراقي، المطلع على كلّ العلوم «وقد قرأ التّوراة واستخرج رموزها وأظهرها، واستخرج اسم النّبيّ محمد (ص)، وخبر ما يذكّر منها أو حرّف، فاجتمع عليه ملا من اليهود، وأظهروا صحبته، واجتمع يوماً معهم في أحد الأعياد، فمكروا به، وزيّنوا له النوم عندهم، وعندما نام وضعوا في أذنه زئبقاً فلم يعد يسمع. وكان ذلك بهمدان، فعلم ذلك صاحب المدينة فأخذهم جميعاً، وكانوا اثنين وعشرين رجلاً، فعاقبهم بأنواع العذاب فأقرّوا بذنبيهم، فصلبهم من يومهم، كلّ واحد على باب داره؛ وأرسل رئيس الأطباء وكان متشيّعاً، فحضر وعالج النّهاوندي، وانتزع الزّئبق من أذنه فشفي ولكنه عجز عن القراءة والكتابة.<sup>(٨٢)</sup>

وهذا أبو الحسن محمد الكوفي من العراق يجمع كل آية نزلت في حق اليهود فلماً سمعوا بعمله مكروا به ودعوه ليطعم معهم ، فاطعموه وسقوه شرباً فمات عندهم ، فعلم بهم المستضيء بأمر الله فأحضرهم ، وأقرأوا بفعلتهم فقتلهم ، وكانوا ثلاثة وعشرين رجلاً .<sup>(٨٢)</sup>

لكن علويّاً من الشام يجادله أحد اليهود في رسول الله ﷺ بأنه ليس نبيّ صدق ، فقتله العلوي .<sup>(٨٣)</sup>

ولا أستطيع سرد أسماء الحافظين للقرآن الكريم والحاجّين لبيت الله العزّام لكثرتهم ، ولكني أذكر لك أن أبا الحسن العسكري العراقي حفظ القرآن الكريم ، وحج أربعين حجة ، وكان ممن شاهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام وعمر خمساً وتسعين سنة .

أما الشعراء والأدباء فعددهم كثير وقد اقتصرنا على ذكر عدد منهم :

#### أ. الشعراء :

- السريّ بن أحمد الكندي المعروف بالسريّ الرقّاء : من شعراء القرن الرابع الهجري . قال فيه الثعالبي مؤلف كتاب (يتيمة الدهر) : السري ، وما أدراك ما السري ، صاحب الشعر ، الجامع بين نظم عقود الدرّ ، والنث في عقد السحر ولله درّه ! . . ما أعذب بحرّه ! . . وأصنى قطره ! . . وأعجب أمره ! . . وكان في أول أمره يرفو (بخيط) ويطرز الثياب ، ثم نبغ بالشعر وقصد سيف الدولة في حلب ومدحه ، ومنذ ذلك طار صيته في كل مكان وسار شعره في الأفاق . ومن شعره الذي يكتب على جبهة الدهر ، ويعلّق في كعبة الفكر الذي كتب منه الثعالبي محاسن وملحاً ، وبدائع وطرفاً كأنها أطواق الحمام وصدور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف الغزلان ، ونهود العذارى الحسان ، وغمزات الحديق الملاح .

#### من شعره في مدح سيف الدولة :

لله سيف ! تمنى السيف شيمته	ودولة حسدتها فخرها الدول
وعاشق خيلاء الخيل مبتذل	نفساً تُصان المعالي حين تُبتذل
أشم تبدي الحصون الشم طاعته	خوفاً ويسلم من فيها ويرتحل
تشوقه ورماح الخط مشرعة	نجل الجراح بها لا الأعين النجل

كانه وهجير الرّوع يلفحه  
فالمصّافات حشاياه وإن قلقت  
وقال يذكر أيام الصبا ومواطن الهوى :

أسلاسل البرق الذي لحظ الشرى  
أذكرتنا النشوات في ظل الصبا  
أيام أستر صبوتي من كاشح  
عمداً وأسرق لذتي من تمازل<sup>(٨١)</sup>

- أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بالخباز البلدي : من شعراء القرن الرابع الهجري ، من بلدة يقال لها (بلد) قرب الموصل ، وأبو بكر من حسنتها ، ومن عجيب شأنه أنه كان أمياً ، وشعره كله ملح وتحف ، وغرر وطرف ، ولا تخلو له مقطوعة من معنى حسن ، أو مثل سائر وكان حافظاً للقرآن الكريم مقتبساً منه في شعره كقوله :

كان يميني حين حاولت بسطها  
يعين ابن عمران وقد حاول العصا  
وقائلة هل تملك الصبر بعدهم ؟  
ويقول :

سار الحبيب وخلف القلب  
قد قلت إذ سار السفين بهم  
لو أن لي عزاً أصول به  
وكان يتشيع ويتمثل في شعره بما يدل على ملهه كقوله :

وحماهم نهتني  
شبهتهم وقد بكين  
بنساء آل محمد  
وكقوله :

جحدت ولاء مولانا علي  
متى ما قلت إن السيف أمضى  
وقدّمت الدّعي على الوصي  
من اللحظات في قلب الشجي

لقد فعلت جفونك في البرايا

وكقوله:

أنا إن رمتُ سُلُوءاً

كنتُ في الإثم كمن

لك صولاتُ على قلبي

مثل صولاتِ عليٍّ

وكقوله:

أناف في قبضة الغرام رهينٌ

وكان الهوى فتىً علويٌّ

وكانني (يزيد) بين يديه

وكقوله:

انظر إليّ بعين الصفح عن زللي

هذا فؤادي لم يملكه غيركمُ

ب. الأدباء والكتاب:

كفعل يزيد في آل النبيّ

عنك يا قرة عيني

شارك في قتل الحسين

بقدر كالرديني

يوم بدر وحنين

بين سيفين أرهما ورديني

ظنّ أنّي وليت قتل الحسين

فهو يختار أوجع القتلتين

لا تتركني من ذنبي على وجلٍ

إلا الوصيّ أمير المؤمنين عليّ<sup>(٨٥)</sup>

أبو محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفيّاض : كاتب سيف الدولة ونديمه ، معروف  
ببعد المدى في مضمار الأدب وحلبة الكتابة ، أخذ بطرفي النظم والنثر ، وكان سيف الدولة  
لا يؤثر عليه في السقارة إلى الحضرة أحداً لحسن عبارته وقوة بيانه ونفاذه في استغراق  
الأغراض ، وتحصيل المراد ، ومن ملح شعره قوله ، ولم أسمع في معناه أحسن منه :

ولا تبغ طيبَ موجودٍ بمفقودٍ

قال السرور له : قم غير مطرود

نزّوج ابن سحاب بنت عقود<sup>(٨٦)</sup>

قم فاسقني بين خفق الناي والعود

كأساً إذا أبصرت في القوم محتشماً

نحن الشهود وخفق العود خاطبنا

- أبو نزار أستاذ سيف الدولة :

حجّ معه تسعة رجال على نفقته ، ومن شعره :

نفسى الفداء لمن عصيتُ عواذلى      فى حبّه لم أخش من رقبائه  
الشمس تطلع فى أسرةٍ وجـهه      والبدر يطلع من خلال قبائه<sup>(٨٧)</sup>

- النحوي اللغوي المعروف عثمان بن جني :

هو القطب فى لسان العرب ، وإليه انتهت الرئاسة فى الأدب ، وصحب أبا الطيّب المعتبي  
دهراً طويلاً وشرح شعره ، ونبه على معانيه وإعراجه ، وكان الشعر أقلّ خلاله لعظم قدره ،  
وارتفاع حاله .<sup>(٨٨)</sup>

لابن جني كتاب (الخصائص) وهو مرجع قيم فى النحو والصرف .

- يزيد بن شعبة الحرّانيّ : أديب ، مؤلف ، كان كثير الأسفار . دعا إلى العلويين فى جبال  
اليمن ، وصار له أتباع ، وانتقل إلى بلاد الشام وتوفى فى مدينة حماة .

- حمزة بن عليّ بن شعبة الحرّانيّ :

العالم الفيلسوف ، وهذه الأسرة معروفة لدى العلويين بعلمها الغزير ، وصدق إيمانها  
بالدين الإسلامى الحنيف ، وكثرة تأليفها فى الفقه وشرح القرآن الكريم ، وقال الشيخ حسين  
ميهوب حروفش فى هذه الأسرة : لم يسبق بنى شعبة ولا يجاريهم أحد بمضمار العلم ، منها  
خصوصاً حمزة بن عليّ بن شعبة ، وله كتاب مطبوع اسمه (أنوار العقول فى فضائل آل  
الرسول).<sup>(٨٩)</sup>

ج - الحكام والرؤساء الشجعان :

- سيف الدولة الحمدانيّ : أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن حمدان . قال الثعالبيّ فى  
(يتيمة الدهر) :

كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء أوجههم للمصباحة ، وألستهم للفصاحة ، وأيديهم  
للسّماحة ، وعقولهم للرّجاجة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلاذتهم ، وكان  
-رضي الله عنه وأرضاه- وجعل الجنة مأواه - غرة الزمان ، وعماد الإسلام ، ومن به سداد

الثغور، وسداد الأمور، وكانت وقائعه في عُصاة العرب تكف بأسها، وتفل أنبيائها، وتذل صعايبها، وتكفي الرعية سوء آدابها، وغزواته تدرك من طاغية الروم النار، وتحسم شرهم العنار، وتحسن في الإسلام الآثار.

وحضرته مقصد الوفود، ومطلع الجود، وقبلة الآمال، ومحط الرّحال، وموسم الأدباء، وحلبة الشعراء، ويقال إنه لم يجتمع قطّ بباب أحد من الملوك، بعد الخلفاء، ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر.<sup>(٩٠)</sup>

وكان الفصل الأكبر لحكام الدولة الحمدانية في انتشار التشيع بشكل عام، والدعوة العلوية بشكل خاص، لكن لم يجبروا أحداً على اعتناق أيّ المذهبين بالقوة، ولم يعلن سيف الدولة عن علويته مجاهرة، ولم يفرض على سكّان إمارته التشيع، وكان قاضي القضاة عنده سنياً حنفياً بالرغم من أن إمارة حلب كان أكثرها شيعةً، وكان أكثر من نصف سكان مدينة حلب من الشيعة والعلويين.

ومن المعلوم أن الحكام لا يظهرون معتقداتهم إذا كانت تخالف معتقدات رعاياهم، بل يتظاهرون - من الناحية الدينية - باعتناق عقائد هؤلاء الرعايا ليستقرّ حكمهم ويستمر، وهكذا كان حال إمارة حلب التي كان يحكمها الحمدانيون الشيعة الذين ينعنون بأن تشيعهم كان خفياً، وأرجح أنهم كانوا متساهلين في أمور مذهبهم كي يؤلفوا بين أبناء إمارتهم لمواجهة الروم الأقوياء الراغبين في الاستيلاء على الأراضي العربية التي لم يبق من يدافع عنها في مواجهة الروم غير سيف الدولة الحمداني لضعف الدولة العباسية. قال المتنبّي يمدح سيف الدولة لمدافعته عن الأرض العربية وتخلي الآخرين عن الدفاع والمواجهة.

ليس إلّا يا عليّ همّامٌ	سيفه دون عرضه مسلولٌ
كيف لا تأمن العراق ومصر	وسراياك دونها وأخيولٌ
لوتحرّقت عن طريق الأعادي	ربط السدرُ خيلهم والتخيّل
ودرى من أعزه الدّفع عنه	فيهما أنه الحقيّر البذليل
أنت طول الحياة للروم غاز	فمتى الوعد أن يكون القبول؟ (٩٠م)

وليس بمستغرب كره المستشرقين لسيف الدولة لأنهم ينطلقون في كرهه والحدق عليه من منطلق التعصّب المقيت لأنه كان طوال حكمه من ٣٣٣ إلى ٣٥٦ هـ، يغزو الروم ويصدّهم عن الثغور العربية، بل إنه أتعّب هذه الدولة البيزنطية وسقاها كؤوس المرّترعة كما يقول

الدكتور مصطفى الشكعة في كتابه (سيف الدولة الحمداني)، ويصفه بأنه كان بطلاً مظفراً، وقائداً موهوباً، متصفاً بالأخلاق العربية، متسماً بالجرأة والشجاعة.

ولم يقف الأمر بسيف الدولة عند حدّ صدّ الجيوش المعتدية الغازية وحسب، بل إنه نقل المعارك إلى أرض الروم وأخذ يخرج للغزو مرتين أو أكثر كل عام.<sup>(١١)</sup>

وعُدّت غزواته للروم فوجدت أربعين غزوة انتصر في أكثرها، وكان ينفض ثيابه من الغبار العالق عليها من جهاد الروم ويجمعها في وعاء وطلب أن تُضرب (لبنة) توضع تحت رأسه في قبره لتكون شاهداً له عند الله سبحانه وتعالى في مجاهدة الروم، ودفاعه عن العروبة والإسلام. ولَمّا مات عام ٣٥٦ هـ ٩٦٧ م غُسل تسع مرّات أُولاهها بالماء ثم بزيّت النيلوفر، ثم بالصندل، وبعد ذلك بالضريرة ثم بالعنبر، ثم بالكافور، ثم بماء الورد، وغسل بعد ذلك بالماء المقطّر ونشّف بعد غسله بديقي ثمنه خمسون ديناراً أخذهُ الغاسل وهو قاضي الكوفة إلى جانب أجرته ثم دهن بالزعفران والكافور، ووضع على خديّه ورقبته مائة مثقال من الغالية وفي عينيه وأذنيه ثلاثون مثقالاً من الكافور، وبلغ ثمن كفنه ألف دينار، ثم وضع في تابوته، ورش عليه الكافور.<sup>(١٢)</sup>

- معز الدولة البويهّي: حاكم الدولة العباسية الفعليّ، وفي مدّة حكمه تكاثرت العلويون في شمالي شبه جزيرة العرب والبلاد الشرقية.

- عضد الدولة البويهّي: الذي انتظم الملك وأتسق لبني بويه أثناء حكمه وصار الحاكم العباسيّ ينشد إبان حكمه:

عجبت لمن له الدنيا كمثلني ومنها لبس شيء في يديه  
لقد أبقى له البويهيون الدعاء على المنابر في أيام الجمع والأعياد وأخذوا لأنفسهم  
المناصب والسلطة الرسمية والأموال، وأطلق عضد الدولة على نفسه لقب (معين المؤمنين)  
بدلاً من (أمير المؤمنين) لحديث الإمام عليّ عليه السلام: «لا يقولها بعدي إلا كلّ مأفون  
في عقله، مفتون في دينه»، ولولا هذا لَتَلَقَّبَ بأمرة المؤمنين وصار خليفة.<sup>(١٣)</sup>

- أبو العشائر الحمداني وكان والياً على أنطاكية أيام سيف الدولة.

- أبو الحسن بن كليب وكان نقيباً بقلعة على شاطئ الفرات.

- أبو الحسن رايق بن الخضر الفسائيّ والي طبرية وطرابلس ، وولده محمد بن رايق .

- بدر بن عمّار الوالي على طبرية ثم طرابلس .

- الحسن بن إسحق التوخي والي اللاذقية .

- تغلب بن داود العدويّ .

- صاحب بن عبّاد ؛ إسماعيل بن عبّاد ، الوزير ، يقول فيه الثعالبي : هو صدر المشرق ، وناريخ المجد ، وغرّة الزمان ، وينبوع العدل والإحسان ومن لا حرج في مدحه بكلّ ما يمدح به مخلوق ، ولولاه ما قامت للفضل في دهرنا سوق ، وكانت أيامه للعلوية والعلماء والأدباء والشعراء . (٩٤)

من توقعاته : من نظر لدينه نظرنا لدنياء ، فإن أثرت العدل والتوحيد بسطنا لك الفضل والتمهيد ، وإن أقمت على الجور فليس لك شرك من جبر .

- خضر بن مزيد : من العراق . كان أعرابياً شجاعاً ، حفظ القرآن وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، وحجّ ، وبعد حجّه جمع عشرة من المقاتلين الشجعان وغزا بهم الروم .

مرّة كمن له مائة فارس من أبطال الروم فواقعهم هو وفرسانه وقتلوا (٩٥) فارساً منهم ، وأسروا الباقيين وكان فيهم ابن إمبراطور الروم فأرسل والده في فدائه ، فأحضر خضر بن مزيد ابن الإمبراطور أمام رسول والده المكثّف بفدائه فقال الابن لخضر بن مزيد : لقد أحببت أن أكون في حفظ من أنت في حفظه . فقال مزيد لرسول الإمبراطور : أما سمعت ما قاله ولد الإمبراطور من تلقاء نفسه ؟ وأنا بعد اليوم لا أكرهه على ما لا يريد ، ولا أرجعه إلى الكفار ، وقد أسلم الولد على يديه ، فحجّ به ، وحفظ سورة الكهف ، وسورة يوسف ، فزوجه خضر ابنته . (٩٥)

- زيد الضرّاب : كان ضرّاب الذهب ببغداد ، قرأ القرآن الكريم .

- أبو الفتح مؤمّل العجّان : من حماة ، كان فقيهاً عالمياً ، حجّ باثني عشر رجلاً على نفقته ، وكان عجاناً في مخبز لحاكم المدينة ، فأثر على هذا الحاكم وصار علويّاً ، ولما مات دفن في حماة بباب يعرف بباب العميان عند (التوبة) عند قبر عمر بن الفرات ، وهي قبة عتيقة . (٩٥م)



## المراجع

- ٧٦- خير الصنيعة ج ١ ص ١٣٢- ١٣٣ .
- ٧٧- الدولة العباسية ص ٣٨٢ .
- ٧٨- خير الصنيعة ج ١ ص ١٥٩ .
- ٧٩- خير الصنيعة ج ١ ص ١٥٨ .
- ٨٠- الأعلام ج ٢ ص ٢٥٤ .
- ٨١- خير الصنيعة ج ١ ص ١٥١ وما بعدها .
- ٨٢ و ٨٢ مكرر- خير الصنيعة ج ١ ص ١٦٥- ١٦٨ .
- ٨٣- خير الصنيعة ج ١ ص ١٦١ .
- ٨٤- يتيمة الدهرج ٢ ص ١١٧- ١٦٤- ١٦٠ .
- ٨٥- يتيمة الدهرج ٢ ص ٢٠٨ وما بعدها .
- ٨٦- يتيمة الدهرج ١ ص ١٠١ .
- ٨٧- يتيمة الدهرج ١ ص ١٠٤ .
- ٨٨- يتيمة الدهرج ١ ص ١٠٨ .
- ٨٩- خير الصنيعة ج ١ ص ١٦٤ .
- ٩٠- يتيمة الدهرج ١ ص ١٥ .
- ٩٠ مكرر- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ص ٤٥٦ .
- ٩١- سيف الدولة الحمداني ص ٤ .
- ٩٢- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٢٣٤ .
- ٩٣- خير الصنيعة ج ١ ص ١٣٤ .
- ٩٤- يتيمة الدهرج ٣ ص ١٨٨ .
- ٩٥- خير الصنيعة ج ١ ص ١٦٠ .

## الفصل التاسع

### العلويون في القرن الخامس الهجري

تميز القرن الخامس الهجري بالأحداث التالية:

١. انشقاق الفاطميين الإسماعيليين وظهور المذهب الدرزي (مذهب الموحدين) عام ٤٠٨ هـ، وانتشار مذهب الدروز الموحدين في وادي التيم وحوران وفي منطقة إدلب، وكان انتشارهم في لبنان بين العلويين الشيعة والإسماعيليين.

٢. قيام الدولة النجاشية في اليمن ٤١٢ هـ.

٣. قيام الدولة المرداسية في حلب ٤١٤ هـ.

٤. انتهاء حكم البويهيين في العراق ٤٤٨ هـ.

٥. قيام أحد أتباع البويهيين المدعو بأبي الحارث أرسلان (البساسيري) بالدعوة للفاطميين في العراق، واستطاع الاستيلاء على بغداد عام ٤٥٠ هـ، وأقام الأذان بحمي على خير العمل حتى عام ٤٥١ هـ، وقيام فتن طائفية بين الشيعة والسنة في بغداد.

٦. استيلاء السلاجقة على الحكم في العراق بدلاً من البويهيين عام ٤٤٨ هـ والتلاعب بمصير الدولة العباسية.

٧. انتهاء الدولة العقيلية في الموصل عام ٤٨٩ هـ.

٨. خروج أمور الحكم من يد العرب إلى فئات غير عربية، وابتعاد العنصر العربي عن القيادة والسلطة وتمزق الشعب العربي إلى مذاهب وطوائف متناحرة متقاتلة مما أدى إلى ضعف الوطن العربي فسقط قسم منه تحت أقدام جحافل الغزاة الإفرنج.

٩. الحروب الصليبية ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م.

١٠. وفاة الشيخ الشاب الثقة أبي سعيد سرور بن القاسم الطبراني الملقب بالميمون عام ٤٢٧ هـ، بعد عمر قضاه في نشر الدعوة العلوية والرد على خصومها وبخاصة إسماعيل بن خلاد الملقب بأبي ذهبية وجماعته الذين منهم ابن كراز المتركّل، وأبو العكارش وابن بشار،

والهندي، والضراب، والحميصي، وقد اكتسب بمناظرته لابن خلاد مكانة كبيرة في نفوس مؤيديه وأتباعه، وأثر على قسم من مؤيدي أبي ذهية فانفضوا عنه، وقد مدحه الشاعر العلوي الخباز الصوري (من مدينة صور) بقوله:

لولاك يا شيخ الديانة والحجى      من كان أردى الوغد إسماعيلًا؟  
من كان كذبه وبدد شمله      من كان صير عرضه مبدولًا؟  
لم ينص أبو سعيد على من يخلفه في قيادة الدعوة ولكنه اعتمد على الحكام العلويين في الإشراف على شؤونهم وحمايتهم من تسلط حكام المناطق المجاورة لمناطقهم.  
وقد لمع في سماء هذا القرن حكام وأسر معروفة في تاريخ العلويين متوزعة في عدة مناطق في بلاد الشام ومصر، وسأقدم ترجمة حياة هؤلاء الحكام. ومنهم:

- السيد عيسى الأديب البانياسي: أبو محمد عيسى بن محمد بن عبد الله الناسخ البغدادي ويعود نسبه إلى الخزرج، وكان أميراً حاكماً قلعة بانياس الشام (تقع في الجولان السورية) وتوفي فيها عام ٤٢٠هـ، وإلى جانب كونه حاكماً دنيوياً كان عالماً شاعراً. وهناك عدة عائلات تنسب إليه اليوم منتشرة في جبال العلويين في قرى وبلدات كثيرة منها؛ القرداحة حمّين، والملاجة، ومجدلون البستان، وحير الأحمر في محافظة حماة.<sup>(٩٦)</sup>

- ثم الأمير محمد الملقب بمصمت الدولة: محمد أبو الفتح، أبوه الأمير معز الدولة علي بن عيسى كوبج، عاش في القاهرة في مصر، وقد نعته المؤلف أبو صبح الديلمي بأنه كان أميراً شريفاً حسيباً نسياً عابداً زاهداً، متورعاً شاعراً. قال عنه الشيخ حسين ميهوب حرفوش أنه تولى الحكم أربعين سنة. (٩٦م)

- ثم الأمير ناصح الدولة أبو الفتح: حبيش بن محمد بن جعفر بن محرز، تحدث عنه صاحب كتاب (خير الصنعة) فقال: كان ملكاً شديد البأس وركناً عظيماً من أركان البيت المحرزي، وكان عنده فضل عظيم، وأدب، فكان ذا سياسة وهيبة عظيمة، وعدل وافر، وغزواته كثيرة، وكان بغاية السماحة والكرم، والرفق بالريعية، والإحسان إليها. حسن السيرة، حاذقاً، متيقظاً، غزير العقل، شديد الرأي، صبوراً، حليماً، يسمع ما يكره ويفضي عنه واته السعادة، واتسع ملكه، ولم ير أحد من الملوك الذين اشتهرت أخبارهم من الشيعة بالحادقة مثله. توفي ٤٩٩هـ.<sup>(٩٧)</sup>

ثم محمد بن إبراهيم النعماني (أبو عبد الله) وكان حاكماً بأنطاكية.

وفي هذا القرن نبغ الشاعر العلوي (المنتجب) المستطار الشهرة حتى يومنا هذا. وهو محمد بن الحسن المنتجب الدين العاني الخديجي المصري. ولد في عانة في العراق ويظهر من لقبه المصري، أن أسرته كانت تسكن مصر، ثم انتقلت إلى العراق، واستقرت في عانة.

ومعلوم أن هذه المدينة كانت تكتظ بسكانها العلويين، وقد اتصل المنتجب بآل فضل الحلبيين الأخيار الأبرار فمدحهم وأثنى عليهم، والتقاهم وصارت بينه وبينهم مودة عظيمة ومن مدائحه فيهم:

وبيداء مرّت ليس فيها لسالك	يمرّ بها إلا ضبابٌ وعُظْبُ
إذا ما اشتكين إليهم فيها من الظمّ	تعاوت بها من شدة الجوع أذؤبُ
تعتفّتها والليل قد صيغ الرّيا	بوجناء تطفو في الظلام وترسبُ
إلى بحر جود ما وراء لطالب	يحاول إدراك المغانم مطلبُ
عليّ بن فضل ذي المعالي ومن به	إلى الله في مدحي له أنقربُ
جواد أعار المزن جوداً، وماسجدُ	يعم بني الآمال إن ضنّ صيبُ
أخوهمّة علوية أرحبة	إلى آل (عمرو) بالنباهة يضربُ
وآل عمرو قبيلة بني فضل.	

يمتاز المنتجب بتمسكه الشديد بعلوّته والدفاع عنها، ولا يبالي أن يصرّح بمخالفة خصومها.

وبهذه المخالفة اتخذ شهرة عظيمة عريضة، وطار صيته بين العلويين بقوة شاعريته، وغزارة علمه. وقد وصفه مؤلف خير الصنيعة بأنه شاعرٌ مبدعٌ لا يجاريه في رقة الألفاظ ومثانة الأسلوب شاعر. شعره بغاية الانسجام، والنسيب والغزل المطرب العجيب لقوله (سلكن من الألفاظ ما كان دانيا) وقد بلغ من الشهرة وبعد الصيت منزلة سامقة أصبح بها يُشرف على شعراء عصره ومن وليهم حتى هذا العصر، بل فضله بعضهم على شعراء شعبه، وقد أقيمت له مقالات الزعامة الشعرية بلا استثناء. <sup>(٩٨)</sup>

لا يعرف تاريخ مولده بالتحديد، وهناك خلاف على تاريخ وفاته يقيناً. فبينما يذكر الزركلي في الأعلام (ج ١٠) أنه توفي ٤٠٠هـ أو ٣١٣هـ، يذكر مؤلف كتاب خير الصنيعة أنه توفي ٥٣٤هـ، وصاحب الدار أعلم بما فيها.

شرح ديوانه الشيخ إبراهيم عبد اللطيف عام ١٣٢٦هـ، وقدم له بأنه أجل مدّخرات العارفين أهل الفقه والدين ذكر فيه محض التوحيد بنظم كالدرّ النضيد، وتركيب فصيح مجيد، عَرِيَ عن التشويش والتعقيب، جمع بين جزالة الألفاظ وفخامة المعاني، ومثانة القوافي، وسهولة المباني. من شعره:

ما الغيث لَمَّا جرى بالسَّيلِ واديه	كصَيَّبَ الدَّمعُ إذ فاضت مَاقِيه
ولا تلهَّبَ ذاك البرق منه حَكْسِي	لهيَّبَ قلب مشوق فيه ما فيهِ
بنتم فلا اخضرَّ ذاك الروضُ بعدُكمُ	ولا زهت في نواحيهِ أقاحيه
ماض من العيش لو يُفدى بذلت له	روحي ورخصتُ في ما كنتُ أغليه
لَمَّا تَيَقَّنْتُ أن الوصلَ منقطعُـعُ	وأنسي لم أطق ردَّاً لماضيهِ
ما زلت أثر عقد الدرِّ من أسفٍ	حتى رجمن يواقيناً لآليهِ

وله في حرب الجمل:

فصاح فيهم أمير النحل من غضب	أنا عليّ فلم تحملهم الركبُ
فظلَّ جمعهم المشحون في بددٍ	وسيفه لرقاب القوم يحتطبُ

نستشف في شعر المنتجب الجريء قوة العلويين في هذا القرن بالرغم مما تعرضوا له من المضايقة في بداية هذا القرن وفي نهايته، فقد تعرضوا لشيء من الأذى والكبح أيام سيطرة الدولة المرداسية في بلاد الشام، ومقر دولتهم كان حلب على أنقاض الحمدانيين، وكان حاكم هذه الدولة صالح بن مرداس يخطب حيناً للخلافة الفاطمية وحيناً للخلافة العباسية.

فإذا وإلى الفاطميين كان يرفع الضغط عن العلويين والإسماعيليين والشيعية عموماً، وإذا خطب للخليفة العباسي في بغداد ضايق الشيعة جميعاً.

وبانتهاء الدولة المرداسية عام ٤٨٢هـ حلَّ خطر من نوع آخر تعرّض له العلويون والعالم العربي والأمة الإسلامية كافة وهو الغزو الفرنجي لبلاد الشام ومصر. وخلال فترة حكم الدولة المرداسية امتدَّ حكم الفاطميين إلى بلاد الشام، واستولوا على دمشق وجبال لبنان والحجاز، وسيطروا عام ٤٠٥هـ على بغداد لفترة وجيزة. وقد رحّب العلويون بالفاطميين وانضموا إليهم وساعدوهم في حروبهم وشارك قادة منهم في هذه الفتوحات المستمرة التي قام بها الفاطميون.

وانتشرت الدعوة الإسماعيلية في بعض مناطق العلويين مثل مصياف والقدموس وقلعة الخوابي، لكن الفاطميين لم يقابلوا هذا الصنيع بمثله، بل على العكس قاموا بإقصاء العلويين عن مرافق الدولة وقيادة كاثب الجيش، وحاربوا الدعوة العلوية لما بين الدعوتين من خلاف، وكانت أهدافهم إعلاء المذهب الفاطمي وسيادته على كل المذاهب والفرق، وطمس كل مذهب يخالف مذهبهم.

لكن يلمع في سماء العصر الفاطمي بريق ضوء علويّ يتمثل بالأمير ناصر الدولة الذي نشأ في مصر وتولّى قيادة جيش الخليفة المستنصر بالله، وكان يعتنق الدعوة العلوية، ورأى فيه العلويون سنداً وحامياً، غير أن القواد الأتراك في جيش الخليفة الفاطميّ أثمروا به وقتلوه غيلة عام ٤٦٥ هـ.<sup>(٩٩)</sup>

وقد سكن العلويون والإسماعيليون والدروز جنباً إلى جنب في بعض المناطق مثل وادي التيم في جبل لبنان وفي الضنية وكسروان والمتن وبلاد الغرب، ومرح عيون والعاقورة. وقد كانت هذه الأماكن تفصّ بالعلويين والإسماعيليين، وأصبحت المناطق اللبنانية الجبلية مستقراً لكل فرق الشيعة (من شيعة إمامية وعلويين وإسماعيليين) ودروز. أما في طرابلس وعكا فكانت الغلبة للشيعة الإمامية، وكذلك الأمر في جبال الساحل السوري من طرطوس وحتى الأناضول كانت الغلبة للشيعة العلويين مع بعض التجمعات الإسماعيلية في الأماكن التي ذكرناها سابقاً وخلت هذه الجبال من الشيعة الإمامية. لكن هذه الشيعة كان انتشارها كبيراً في طرابلس ويعلبك وصيدا وصور وجبل عامل ومرجعيون وشيعة العراق كان جلّها من الإمامية.

في منتصف القرن الخامس فقد العلويون ناصرأ قوياً كانوا يستعينون به في وجه الخصوم، ويخافهم أولئك الخصوم للجوئهم إلى هذا الناصر ونعني به الحكم البويهي في العراق. لقد انتهى حكم الأسرة البويهية في العراق عام ٤٤٨ هـ بتأثير الأتراك السلاجقة الذين كانوا يعتنقون المذهب السني، وقد استندعاهم الخليفة العباسي في بغداد ليطرد آل بويه من الحكم، ولكن بعد دخولهم بغداد استولوا على السلطة مثل البويهيين وجعلوا الخليفة والخلافة ألعوبة يلعبون بها ويشبعون رغباتهم في الحكم والتحكم. وقد أصيب الشيعة عموماً بتكسة كبرى بانقضاء الدولة البويهية وقيام الحكم السلجوقي في بغداد، وحاولوا القيام بثورة تنهي الوجود السلجوقي وساعدهم عامة أهل بغداد من السنة لما فعل بهم السلاجقة، وتزعّم ثورة بغداد أحد أتباع البويهيين المدعو بأبي الحارث أرسلان (البساسيري) وليكسب دعم الفاطميين

خطب لهم على منابر بغداد وأذن بحيّ على خير العمل واستولى على بغداد وما حولها عام ٤٥٠هـ، في الثامن من ذي القعدة وهرب الخليفة العباسي إلى الموصل واستجار بحاكم الدولة العقيلية وتابع البساسيري سيطرته على باقي العراق فاحتل البصرة وواسط ترتفع فوق رأس جيشه الألوية البيضاء رمز الفاطميين. لكن هذه الثورة لم تستمر طويلاً فقد استطاع السلاجقة القضاء على قائدها البساسيري عام ٤٥١هـ في ذي القعدة وعقب كل حركة مثل هذه كان البطش يحلّ بالشيعّة عموماً ويتوارى أفرادهم المعروفون عن العيان حتى يخفّ الطلب عنهم، ويقوم فريق من العلويين بالهرب نحو التجمعات الكثيفة في عانة أو منطقة سنجار قرب حماه، أو الاتجاه نحو جبال اللاذقية أو جبال لبنان ليحموا أنفسهم ويقوها من القتل والفناء. وقبل أن ينتهي القرن الخامس بأحد عشر عاماً وبالتحديد في عام ٤٨٩هـ حلّت النكبة الكبرى ببلاد الشام بخاصّة، وذلك من جرّاء قدوم الفرنجة الصليبيين من أوربة ليستردوا بيت المقدس من المسلمين كما كانوا يزعمون. قدم الصليبيون في فترة ضعف الشعب العربي الإسلامي من جرّاء الصراع بين الدولتين الفاطمية والعباسية وقيام إمارات وممالك في المنطقة الواحدة يسيطر عليها حكام أعاجم جلّ أمانتهم السلب والنهب والفتك بالشعب العربي الممزق القوى، المهيبض الجناح، هذا الشعب الذي تعرّض لمذابح جماعيّة رهيبة حصّدت النفوس ودمّرت المدن والقرى، وحولت الأراضي الخصبة إلى أرضٍ بورٍ عقيم. ولم يتورّع الحكام عن قتل بعضهم بعضاً ولو كانوا أخوة أو أبناء عم.

في غمرة الصراع السنيّ الشيعيّ والتعصّب المقيت، وفي فترة الذهول الذي لا وصف له والذي سيطر على النفوس جاءت جحافل الجراد المفسد المدمّر من الغرب الأوربي لتعيث فساداً في بلاد الشام ولتدمّر الحضارة وتحيل الأراضي إلى ياب، ولتفتك بالنفوس المستضعفة المقهورة بواسطة حكام أجانب لا يعرفون الله ولا الحقيقة، ولا حرمة الوطن، ولا حتى المحافظة عليه!..

قلعت جحافل الصليبيين وشعارها الحق، وإرادتها القتل والتدمير، وتأسيس الإمارات والممالك، وهدفها نهب ثروات الشرق واستعباد العرب من المسلمين وغيرهم، وقد كان للسلاجقة دور كبير في إذكاء التعصّب إن كان بين المسلمين أنفسهم أو بينهم وبين المسيحيين ولا سيّما بعد أن انتصروا على الدولة البيزنطية بقيادة الإمبراطور رومانوس في معركة (ملاذكرد) عام ٤٦٤هـ، ١٠٧٢م.

بعد هذه المعركة استغاث أباطرة الدولة البيزنطية بمسيحيي أوريه بالرغم من العداء الموجود بين الكنيستين البيزنطية الأرثوذكسية والكنيسة الغربية اللاتينية الكاثوليكية، فاحتبل البابا أريان الثاني الفرصة ليسيّط على الكنيسة الأرثوذكسية التي انفصلت عام ١٠٥٤م عن الكنيسة الكاثوليكية.

ولهذه الغاية أصدر نداءً تاريخياً يدعو فيه مسيحيي أوريه لاسترداد بيت المقدس ومحاربة «الكفار» المسلمين مفتصيه! . . . ولعدة أسباب سارع هؤلاء المسيحيون الغربيون لتلبية نداء البابا، وانطلقت الحملة الصليبية الأولى من فرنسا في شهر آذار عام ١٠٩٦م، ووصلت إلى القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية أواسط تموز ١٠٩٦م/ ٤٨٩هـ، وفي ٢١ تشرين الأول ١٠٩٦ اصطدمت بالقوات السلجوقية قرب المدينة التاريخية (نيقيا) فسحقها القوات السلجوقية، وقتلت منها خمسة وعشرين ألفاً وأسرت الكثير منها، وفرّ حوالي ٣ آلاف رجل إلى القسطنطينية، وهكذا أخفقت الحملة الأولى. ولكن الحملة الثانية وصلت نيقيا في ٦ أيار ١٠٩٧م وحاصرتها وكان السلطان السلجوقي (قلج أرسلان) يحارب أحد خصومه من أقربائه فهادنه وعاد إلى عاصمة ملكه (نيقيا) فوجدها محاصرة فاشتبك مع الصليبيين ودارت معركة شديدة استمرت يوماً واحداً فلم يحقق فيها السلجوقيون النصر، وانسحبوا إلى الجبال وتركوا المدينة لمصيرها فسقطت بأيدي الصليبيين في ١٩ حزيران ١٠٩٧م. وسقوط نيقيا تحقق النصر الأول للغزاة الفرنجة، وأمنت الدولة البيزنطية من غارات السلاجقة عليها، ويقال إن سقوط نيقيا كان بالاتفاق مع قيادة الحامية السلجوقية وبتعليمات من السلطان السلجوقي (قلج أرسلان).<sup>(١٠٠)</sup>

وتابع الفرنجة زحفهم نحو الجنوب الشرقي خلال المقاطعات الداخلية من آسيا الصغرى وهزموا السلجوقيين مرة ثانية في (ضورلبوم) فانفتح أمامهم طريق سورية، ثم احتلوا (قونية) وهرقلة) واتجهوا نحو كيليكية حيث يسكن الأرمن وحاصروا (طرسوس) ففتح لهم سكانها المسيحيون الأبواب، واستولى الأسطول الصليبي على مرفأ الإسكندرونة، وتم الاستيلاء على (كوماننا) الأرمنية وبمعاونة حاكم أرمني استولى الصليبيون على بعض القلاع الهامة قبل أن يصلوا (الرها) التي فتح أبوابها أمامهم أميرها الأرمني (طوروس) في ٦ شباط ١٠٩٨م، فكافأ الصليبيون بعد ذلك بأن ثقبوا جسمه بألاف السهام، وأقاموا في الرها أول إمارة صليبية، وحين فوجئ الأرمن بذلك، وكانوا يتوقعون تكوين دولة أرمنية حسب وعد الصليبيين لهم



ليتحروا من حكم الكفار المسلمين!!)، تمرّدوا على الصليبيين واستغاثوا بالسلاجقة فأعدم الصليبيون قسماً منهم وسجنوا قسماً آخر وصادروا أموالهم ووزّعوها على الفرسان الإفرنج<sup>(١٠١)</sup>. وفي ٣١ تشرين الأول وصلت قواتهم إلى أنطاكية التي تبعد ٢٠ كم عن البحر وتقع على الضفة الشرقية من نهر العاصي، وكان يحكمها في تلك الفترة (ياغي سيان) المعين من قبل السلطان السلجوقي، وكان سكان المدينة خليطاً من المسلمين والمسيحيين. وكان المسلمون العلويون يستوطنون تلك المدينة منذ انتشارهم أيام الدولة الحمدانية ولهم فيها مكانة كبيرة، ولذلك دافعوا عن مدينتهم دفاعاً مستميتاً متعاونين مع بقية سكانها، وصمدت المدينة. وكانت حصينة. أمام المتوحشين صموداً مذهلاً، وحاول حاكم دمشق السلجوقي (دقاق) نجدة أنطاكية فأرسل قوات كبيرة هزمها الصليبيون أواخر كانون الأول ١٠٩٧ م.

وأرسل حاكم حلب السلجوقي (رضوان) جيشاً هزم بدوره في شباط ١٠٩٨ (رضوان ودقاق أخوان ولكنهما كانا متعادين فرضوان يعتنق المذهب الإسماعيلي ودقاق يعتنق المذهب السني).

وتفاوض الصليبيون مع حكام مصر الفاطميين على تقاسم سورية وفلسطين شريطة أخذ القدس من السلجوقيين وتأسيس مملكة فرنجية فيها، ولكن الفاطميين رفضوا الشروط الصليبية<sup>(١٠٢)</sup>.

وبعد حصار دام سبعة أشهر سقطت أنطاكية بيد الصليبيين حينما أقدموا على رشوة أمر سلجوقي اسمه (فيروز) وكان مكلفاً بحراسة ثلاثة أبراج في الجانب الغربي من أسوار أنطاكية. وفي ليلة ٢-٣ حزيران ١٠٩٨ م فتح لهم هذه الأسوار. والمدينة نائمة. ودخل الصليبيون، وبلا هوول ما فعلوا القتل والذبح، وهتك الأعراض، والسلب والنهب.

#### ونقل من كتاب (الصليبيون في الشرق):

«فقد نهب الصليبيون المدينة كلياً وتاماً، وليس بمقدورنا أن نقول لكم: كم من الغنائم أخذت إجمالاً في أنطاكية فإذا تصورت ما يقصّي ما يسمح لكم خيالكم، فاحسبوا أكثر من ذلك!»<sup>(١٠٣)</sup>

وأقام الصليبيون حفلات ومآدب تهتكية، وقتلوا الآلاف من سكان المدينة، وانتشروا بسبيل الدماء التي سفكوها ولم يفرّقوا بين مسلم ومسيحي، وامتلات الساحات كما يشهد

ماهد عيان بجثث القتلى بحيث إن أحداً لم يكن بوسعه أن يوجد هناك بسبب الرائحة الكريهة قوية ، ولم يكن بوسع أحد أن يمرّ في الشوارع إلا بالسَّير على الجثث وينعت مدوّن الأخبار لأرمني (متى الرهاوي) المذابح التي اقترفها الصليبيون : بالمجزرة الرهيبة .

وفي أنطاكية أسسوا مملكتهم الثانية ، ثم تابعوا سيرهم نحو القدس ، وانقسموا فريقين : الفريق الأول وسار بمحاذاة الساحل يعاونه الأسطول الصليبي ، والثاني سار شرقي جبال العلويين ولم يدافع الحكام السلجوقيون - حكام المنطقة - عن المواقع التي مرّ بها للصليبيون ، ولهذا لم يلقوا أية مقاومة إلا في جبلة وطرطوس مقر العلويين منذ القديم . وفي جبال لبنان رحّب بهم الموارد وساعدوهم وصاروا أدلاء لهم ، وأثناء زحفهم نحاشوا المدن الكبيرة مثل طرابلس وبيروت وصيدا وصور وعكا وحيفا .

وفي فلسطين استولوا على بيت لحم حيث ولد السيد المسيح ﷺ وفي ٧ حزيران ١٠٩٩م وصلوا إلى مشارف القدس وحاصروها ، وكان حاكمها الفاطمي قد حصّنها وطرده الفاطميون السلجوقيين من القدس قبل وصول الصليبيين إليها بمدة قليلة ، وعبأها بالمواد الغذائية والمياه ووسائل الدفاع . وبعد معارك حامية مضنية سقطت القدس في ١٥ تموز ١٠٩٩م بعد أن تكبّد الصليبيون خسائر كبيرة .

وقد دفع سكان القدس ضريبة هذه الخسائر إذ اندفع مخلصو قبر السيد المسيح ١١٩٩م يقودهم تعصّبهم الأعمى - كالوحوش الضارية في أنحاء المدينة ويا لبشاعة وهمجية ما أقدموا عليه .

ولنتقل أيضاً من كتاب (الصليبيون في الشرق) الوصف الذي لا يتصوّره إنسان متحضّر من فعل أجداد أصحاب الحضارة في هذا العصر . يقول مدوّن أخبار إيطالي نورماني «عندما دخل جماعتنا المدينة ساقوا وقتلوا المسلمين حتى هيكّل سليمان بالذات ، وقد تجمع المسلمون فيه وخاضوا معركة ضدّنا في منتهى القساوة طوال اليوم كله ، ولذا سال الدم في الهيكل كله ، وأخيراً تغلب رجالنا على الوثنيين !!! واعتقلوا عدداً من الرجال والنساء في الهيكل وقتلوا منهم قدر ما أرادوا ، وأبقوا منهم على قيد الحياة قدر ما أرادوا . وفي المسجد الأقصى ذبح الصليبيون ما لا يقلّ عن عشرة آلاف شخص . ويقول أحد الشهود العيان «أمّا أيّ قدر من الدماء سفك في ذلك اليوم فمن المشكوك فيه أن يكون من الممكن التصديق» .

والمجازر وعمليات النهب والسلب تخلّلتها الصّلوات المحمومة أمام قبر السيد المسيح ، ومن الصّلوات كان الفرسان ينتقلون في الحال إلى الأعمال الدموية «كانوا يقتلون الجميع من رجال ونساء وأطفال وشيوخ ، وأصحاء ومقعدين ، ولم يكن ثمة مكان كان بوسع المسلمين أن يتحاشوا فيه القتل» وكانوا يسحقون رؤوس الرضع على الحجارة .  
ثم تفرّق الصليبيون على بيوت المدينة ، ونهبوا كلّ ما وجدوه فيها .

وفضلاً عن المسلمين سقط يهود القدس ضحيةً لجنون الصليبيين ووحشيتهم ، فقد اجتمعوا في كنيس كبير ، وفيه أبادهم الصليبيون عن بكرة أبيهم ، فقد أحرق الصليبيون الكنيس بمن فيه .<sup>(١٠٤)</sup>

ويصف مصدر صليبي آخر المجزرة بقوله : «إنه وصل إلى مسجد المدينة في بحر من الدماء وصل إلى ركبته»<sup>(١٠٥)</sup>

لقد سفكت في القدس دماء سبعين ألف شخص ، وكلّ من بقي حيّاً بيع بعد ذلك بيع العبيد .

وقد بكى الشاعر العربي محمد الأبيوردي القدس وأهلها بقصيدة تعد من أعظم القصائد التي قيلت في هذا الباب تقتطف منها الأبيات التالية :

مزجنا دماءً بالدموع السواجم	فلم يبقَ منا عرضة للمراحم
فكم من دماء قد أبيحت ومن دمي	تواري حياةً حسنها بالمعاصم
بحيث السيوف البيض محمرة الطّبي	وسمر العوالي داميّات اللهازم
وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة	تظلّ لها الولدان شيب القوادم

وفي القدس أسّس الصليبيون مملكتهم الثالثة .

جرى ما جرى وخليفة بغداد نائم لم توقظه تأوهات الثكالي ونحيبين ، ولا صراخ الفرسان وهم يتجالدون ، ولا بكاء الأطفال وهم بالحجارة يرضخون .

واحسرتنا على أمة تصبح في القرن الخامس الهجري أضعف أمة تحتلّ أراضيتها ويقتل سكانها من جرّاء الفرقة والتنابد والصراع على حطام الدنيا !!

لقد تكاسل الحكّام عن البلاد لأنها لم تكن بلادهم فهم أجانب غريباء عنها ، استذلّوا سكانها وجعلوهم شياهاً للحلب واللحم والصوف ، ومزّقوهم طوائف متناحرة متقاتلة

ليتمكّنوا من السيطرة عليهم واستنزاف خيراتهم . وجاء وحوش أكثر فتكاً وتدميراً، فتركوا لهم قسماً من الغنيمة واعتصموا في بروجهم يلهون ويعربدون ويتلذذون .

قاسى الشعب العربي ما قاساه من حكامه الأجانب ومن الصليبيين الذين سيطروا على مساحات واسعة من الأراضي العربية تمتد من أرمينيا إلى البحر المتوسط عند عكا وحيفا ويافا، ومن ضمنها الساحل السوري واللبناني والفلسطيني، وكوّنوا دولة رابعة في طرابلس بعد الاستيلاء على القدس .

يقول مؤلف كتاب (الصليبيون في الشرق): «إن الصليبيين الأوائل كانوا مدنيين بانتصاراتهم إلى تلاحمهم ووحدتهم اللتين يتحدث عنهما مدوّنو الأخبار اللاتين بإسهاب أقلّ ممّا في التقسيمات العالم الإسلامي في المقام الأول، ففي الشرق لم يواجهوا كتلة متكاملة واحدة موحدة من الأعداء، بل واجهوا خليطاً متناحراً ومبرقشاً من كيانات السلجوقيين والعرب الدولية، ومن أمرائهم الكبار والصغار الذين لا لحمة بينهم . كان العالم الإسلامي منقسماً على نفسه، وكان تعزقه السياسي يرافقه التبعر الديني فإن السلجوقيين السنيين لم يجدوا لغة مشتركة مع الشيعيين المصريين، ناهيك بأن الصراع كان محتدماً بدوره في صفوف الشيعيين بين مختلف التيارات والملل، وبالنتيجة لم يلق الفاتحون الرّد اللازم في الشرق واستطاعوا، وإن بشن خسائر كبيرة، أن يوطّدوا سيطرتهم لعشرات السنين في الأراضي الغنية في سورية ولبنان وفلسطين» .<sup>(١٠٦)</sup>

بعد سيطرة الصليبيين على بلاد الشام أصبح قسم من العلويين يعيش تحت حكمهم، والقسم الآخر ليس لهم سيطرة عليه، واستقرّ في جبال العلويين المطلّة على الساحل السوري، ولكن سفوح هذه الجبال في الغرب والشرق صارت تحت الحكم الصليبي وكذلك مما تاخم السفوح الشرقية من أراضٍ تابعة لمحافظة حمص وحماة اليوم .

تراجم من القرن الرابع والخامس:

#### ١ - أبو الخير سلامة بن أحمد المعروف بالحدّاء: ٣٦٢ - ٤٥٨ هـ .

كان عالماً بارعاً زوّاراً للإخوان كثير الهجرة إليهم فلما ترك بلدأً إلا وشاهده وجالس علماء كما يظهر من رسالته التي ذكر فيها ملاقاته للثقات في العراق ومصر والشام وطبرية وصيدا وأنطاكية وطرابلس وصور وحلب وحرّان وحصن القدموس وجماعة الطوبان بحماة، والغرياء .

أشهر تأليفه (الرسالة) التي تعدّ من كتب السيرة لأنه ذكر فيها من لقيهم من العلماء المعاصرين له ولقي من الخصوم أبا ذهية ويقول في ذلك : «ولقيت أبا ذهية خزاء الله ، ونصرني عليه» . تعتبر رسالته سجلاً تاريخياً دقيقاً عدّد فيها أسماء الشخصيات العلوية البارزة كما أبرز مدى انتشار العلويين ومكانتهم في زمانه . «المغمورون القدامى في جبال اللاذقية ص ١٢٣» .

## ٢- أبو عبد الله محمد بن محمد المهلهليّ صاحب الرسالة البغدادية :

كان عالماً علامة بارعاً له مؤلفات شتّى منها الرسالة البغدادية يرّد فيها على أبي ذهية . . من علماء المئة الرابعة . . «خير الصنيعة ص ٢٨٠» .

## ٣- محمود الفراء الشيزري من علماء المئة الخامسة .

ينسب إلى شيزر ، بليدة على شاطئ نهر العاصي تبعد عن حماة (٣٥) كم غرباً شمالاً فيها قلعة قديمة ، مرّ بها الشاعر امرؤ القيس في رحلته إلى القسطنطينية . نشأ بها كثير من العلماء ، وكانت مقراً لأسرة بني منقذ المعروفة . ومحمود الفراء نشأ بها وكان شاعراً ذكياً مدح ناصح الدولة وجماعة الطوبان الذين منهم الجديلي المشهور ، وكان وجيهاً عند ناصح الدولة ، مدحه بقصيدة يهتبه فيها بعيد الغدير مطلعها :

عيد أتى يزهو على الأعياد      بمسيرة مقرونة بسداد  
وافاكم عيد الغدير بسعدده      عيد له شرف على الأعياد  
«المغمورون القدامى في جبال اللاذقية ص ١٦٤» .

## ٤- أبو منصور بن سبيع بن جبّة الفارسيّ (القرن الخامس) .

ذكره الجديلي وأثنى عليه إذ كان معاصراً له ، وكان شاعراً واسع الخيال طويل النفس الشعريّ . مجدّد الإمام عليّاً عليه السلام وصوّر بطولته ومواقفه المشرفة في الإسلام في يوم بدر وحنين وخيبر متوسلاً به إلى الله طالباً الغفران . من شعره :

يا سائراً يبغي إلى حلب وقد      أضحى يربح لما يحنّ سقاء  
واعلم هُديت بأن حبّ محمد      ووصيه وأولئك الزهراء  
ينجيك والعبد بن «جبّ» من لظى      إذ فاق فيما قاله الشعراء

والقدماء المغمورون ص ١٥٥ .

شخصيات من هذا القرن والقرن الرابع:

- ١ - الحسين بن محمد بن عليّ الجليّ ٣٥٥ هـ توفي أول القرن الخامس .
- ٢ - حمزة بن عليّ بن شعبة الحرّانيّ ٣٥٣ - ٤١٤ هـ .
- ٣ - حيدرة القطيعيّ الشاعر اللغوي وفاته ٤٠٠ هـ .
- ٤ - أبو الحسن عليّ المعروف بابن بطيطة الحلبيّ الشاعر . ولد ونشأ بحلب لاقاه الحدّاء .
- ٥ - أبو الحسن عليّ بن عيسى الجسريّ (الكلبي الكنانيّ التتوخي) من علماء المئة الرابعة .
- ٦ - محمد بن شعبة الحرّانيّ ولد ٣٦٨ هـ .
- ٧ - الأمير محمد الملقّب بعصمت الدولة ٣٩١ - ٤٥٠ هـ .
- ٨ - أبو الحسن عليّ الحسن بن عليّ بن هياج الشاعر الصوريّ اللغوي ولد ٣٨٣ هـ .
- ٩ - أبو الحسن عليّ الأنصاريّ الجوهريّ . (المئة الرابعة) .

## المراجع

- ٩٦ - خير الصنيعة ج ١ ص ٢٥٣ .
- ٩٦ مكرر - خير الصنيعة ج ١ ص ٢٦٦ .
- ٩٧ - خير الصنيعة ج ١ ص ٢٨٥ .
- ٩٨ - خير الصنيعة ج ١ ص ٣٠٤ .
- ٩٩ - النبأ اليقين عن العلويين ص ١٥٠ .
- ١٠٠ - الصليبيون في الشرق ص ٧٥ .
- ١٠١ - الصليبيون في الشرق ص ٨٤ .
- ١٠٢ - الصليبيون في الشرق ص ٨٩ .
- ١٠٣ - الصليبيون في الشرق ص ٩٢ .
- ١٠٤ - الصليبيون في الشرق ص ١٢٣ .
- ١٠٥ - تاريخ مصر الإسلامية ص ٧٤ .
- ١٠٦ - الصليبيون في الشرق ص ١٣٠ .

## الفصل العاشر

### العلويون في القرن السادس الهجري

يتميز هذا القرن بأنه زمن الجهاد ضدّ الصليبيين الغزاة من جميع فئات الشعب في بلاد الشام ما عدا الموارنة، فقد بدأ الكفاح أولاً ضدّهم سكان الأرياف لأنهم تعرّضوا لسيطرتهم وأذاهم قبل سكان المدن.

وقد قامت انتفاضات فلاحية في عدة أماكن من بلاد الشام ضدّ الصليبيين قبل أن يبدأ الجهاد الرسمي للحكام ضدّهم.

فقد ثار الفلاحون في فلسطين بعد ريع قرن من احتلال القدس، وهاجموا مدينة السامرة عام ١١٢٣م، واستولوا عليها لفترة قصيرة، وفي عام ١١٢٥م، قامت انتفاضات فلاحية واسعة في مناطق بيروت وصيدا، ومرات كثيرة رفض السكان دفع الضرائب للصليبيين ممّا يؤدي إلى استقدام جيوش صليبية إلى المناطق الراقضة والمتمردة وكان المتمردون يعمدون إلى قتل شخصيات صليبية ذات تأثير، ففي عام ١١٣١ قام السكان في منطقة طرابلس بانتفاضة وقتلوا من يدعى (بونتي الطرابلسي)، وفي سنة ١٢٦٦ يثور سكان المنطقة نفسها وقاموا ليلاً بإبادة الفرسان الإفرنج. وكان سكان الأرياف يتعرّضون للحجّاج الإفرنج ويفتكون بهم، ممّا أدى إلى تخصيص قوة عسكرية تحرسهم وتوصلهم إلى القدس.

والأعمال الانتقامية من جانب السكان دفعت الصليبيين إلى بناء عدة قلاع ضخمة في بلاد الشام يلوذون بها ويجمعون فيها قوة عسكرية كبيرة للدفاع عن أنفسهم أو للهجوم على من يعيش بجوارهم من سكان البلاد الأصليين ولم يكن السكان المسلمون هم وحدهم الذين يقومون بهذه الأعمال الانتقامية بل شاركهم فيها السكان المسيحيون / ما عدا الموارنة / وتحفل كتابات المؤرخين الصليبيين بالمرارة من أعمال المسيحيين العرب الذين كانوا ينصبونهم العداء، ويصفهم هؤلاء المؤرخون بأنهم لا يثقون باللاتين بل «إنهم غالباً ما يطلبون العون ضدّ المسيحيين من أعداء ديننا ولا يستحون من أن يبدؤوا الما فيه ضرر المسيحية القوى والأموال التي يجب إنفاقها لمجد الربّ ضدّ الوثنيين»<sup>(١٠٧)</sup> هذا ما يدوّنه مؤلف كتاب (تاريخ القدس) الصليبي.



وكان المسيحيون يفضون بأسرار الصليبيين العسكرية إلى المسلمين إذا عرفوها ، وكانوا يشاركون في حماية المسلمين وإخفائهم من الصليبيين .

ومن أراد السزيا . من الاطلاع على أعمال المقاومة التي أبدتها السكان فعليه بكتاب (الاعتبار) لاسامة بن مقذ ففيه الكثير من هذه الأخبار . وخاصة مشاركة الداء في المقاومة . ومن إقدام النساء أن جماعة من الإفرنج الحجّاج حجّوا وعادوا إلى رفيّة (جنوب غرب حماة) وكانت ذلك الوقت لهم ، وخرجوا منها يريدون أقامية . فتأهوا في الليل وجاؤوا إليه ، (تيزير) وهي إذ ذاك بغير سور قد دخلوا المدينة وهم في نحو ٧٠٠-٨٠٠ رجال ونساء وصبيان وكان عسكر شيزر قد خرج مع عمي عز الدين أبي العساكر سلطان وفخر الدين أبي كامل شافع رحمهما الله لملعيا عروسين قد تزوجاهما من بني الصوفي الحلبيين أختن (أسرة الصوفي) في علوية منها محمود الصوفي عالم معروف) والوالدي رحمه الله في الحصن فخرج رجل من المدينة في شغل له في الليل ، فرأى إفرنجياً فعاد وأخذ سيفه وقتله ، ووقع الصياح في البلد ، وخرج الناس فقتلوههم ، وغنموا ما كان معهم من النساء والصبيان والفضة والبهائم .

وفي شيزر امرأة من نساء أصحابنا يقال لها نضرة بنت بوزرماط ، خرجت مع الناس أخذت إفرنجياً أدخلته بيتها ، وخرجت أخذت آخر أدخلته بيتها ، وعادت خرجت أخذت آخر ، فاجتمع عندها ثلاثة من الإفرنج فأخذت ما كان معهم وما صلح لها من سلبهم وخرجت دعت قوماً من جيرانها قتلوههم<sup>(١٠٨)</sup> .

وشاهد أسامة بن مقذ عجوزاً تشترك في القتال عند الصليبيين رقت امرأة من جماعة زوجها لأنها علمت أنه يشترك مع الإفرنج في قتال المسلمين .

وارتفعت صرخات الشعب المقهور تطالب الحكام المتأخرين بالاتحاد وقتال الصليبيين بدلاً من إقناء بعضهم بعضاً .

وجاء العون من الموصل بعدما أسس آل زنكي دولتهم فيها عام ١١٣٣/٥٢١م ، وقام الأتابك عماد الدين زنكي السلجوقي (أتابك كلمة تركية تتكون من لفظتين أنا وبك ، أنا ومعناها أب أو مرثي وبك ومعناها الأمير : مرثي الأمير) بمهمة توحيد العرب والمسلمين في بلاد الشام وجزء من العراق ليقاوم الصليبيين وقد استطاع الاستيلاء على عدة مناطق يحتلها الصليبيون واستولى على حصن (بارين : بعين في محافظة حماة) عام ٥٣٤هـ ، وبالعالم

نفسه استولى على ممرّة النعمان وكفر طاب وحرّرها من حكم الفرنجة الغزاة، وفي عام ٥٣٩هـ أخذ مدينة الرّها وأزال الدولة الصليبية الأولى فهلّل له المسلمون وكبروا للصّرخ الذي حققه على الصليبيين وارتفعت ثقة الشعب بنفسه وعادت له معنوياته العظيمة التي توارت، لعشرات السنين نتيجة استهتار الصليبيين بهذا الشّه ، الذي فقد كل ناصر ومعبر، والذي ارتكب بحقه الصليبيون أفظع الجرائم، فقد قاموا عام ٥١٨هـ بحصار حلب وقطعوا الأشجار ونشوا قبور الموتى، وكانوا يعمدون إلى من لم تنقطع أوصاله منهم فيربطونه في حبال، ويسحبونه أمام المسلمين فائلين لهم. سنة ٥١٨هـ، وأخيراً هذه الغزاة...»<sup>١١</sup>

وبعد وفاة عماد الدين عام ٥٤١هـ تابع مسيرة الكفاح ولده نور الدين محمود، واستطاع ضمّ دمشق إلى ملكه عام ٥٤٩هـ، وبهذه الخطوة حقّق وحدة بلاد الشام شكّلت لديه قوة كبيرة استطاع بها تحرير حارم عام ٥٥١هـ، ثم حرّر عراز ونزاعه (حلّ أنها إسماعيلية) وراوندان ودلوك وأفامية وقضاء تدت ولته من دجلة إلى نهر الدامري في لبنان، وطمح بصره ليستولي على مصر وهيأت له الأقدار ذلك فقد اختلف وزير العاضد الفاطمي : شاور وضرغام واشتد الصّراع بينهما فطلب شاور من نور الدين محمود مساعدته بإرسال جيش إلى مصر للقضاء على خصمه ضرغام ففعل، ولما رأى ضرغام ما فعله خصمه استنجد بالعدو الصليبي وبملك القدس عمّوري، ولكن طلائع جيش نور الدين كانت قد وصلت إلى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه (أسد الجبل) وقضت على ضرغام وأنصاره، وثبتت (شاوراً) في الوزارة عام ٥٥٩هـ، وبعد أن نجح شاور في تحقيق أطماعه ولم يقدّم لشيركوه المبلغ المالي الذي وعده بتقديمه للتخلص من خصمه، بل طلب إليه الاسحاب بجيشه من مصر، ولما رأى الاسحاب استغاث شاور بعمّوري الصليبي فأسرع بجمع جيشه لمساعدته مخافة أن يملك نور الدين مصر فتصبح قوى الصليبيين وأملاكهم في بلاد الشام محصورة بجيش نور الدين من الشمال والجنوب، ولم يلتق الحسان في معركة فاصلة غير أن شيركوه وعمّوري اتفقا على الاسحاب معاً من مصر بوقت واحد.

أقنع شيركوه نور الدين بضرورة الاستبلا على مصر لأنها ضعيفة ولن تستطيع الوقوف في وجه الصليبيين فجّهز بجيش كبير قصد به مصر، وكان نور الدين يرغب بالقضاء على الخلافة الفاطمية وبشر المذهب السني، واستنجد شاور من جديد بالصليبيين فأسرع عمّوري لتجده، والتقى الجيشان في عدة معارك لم يكن النصر الحاسم فيها حليف أي فريق، واضطراً

إلى التفاوض ، وخلصا إلى الخروج بجيشهما من مصر بأن واحد . وفي عام ٥٦٣هـ / ١١٦٨م خرج عموري إلى مصر ليحتلها فاستنجد الخليفة الفاطمي العاضد بدون إرادة شاور بنور الدين فأنفذ إليه شيركوه بجيش لجب وما أن وصل إلى مصر حتى انسحب عموري بجيشه أوائل ٥٦٤هـ / ١١٦٩م ، وهكذا استطاع شيركوه أن يستقر في مصر ويقضي على شاور فكلّفه العاضد بالوزارة ، ولم يهنا بها سوى شهرين ، توفي بعدهما ، فكلّف العاضد ابن أخ شيركوه (يوسف الأيوبي : صلاح الدين يوسف الأيوبي) بالوزارة خلفاً لعمه .

#### القضاء على الخلافة الفاطمية:

جاء صلاح الدين مع جيش نور الدين منذ الحملة الأولى فكان يعرف أحوال مصر جيداً ويدرك مقدار ضعف الدولة الفاطمية ، ولذلك سعى إلى تثبيت أقدامه في مصر فقضى على فتنة في الجيش الفاطمي كانت تسعى للقضاء عليه وإخراجه من مصر ، ثم هزم الصليبيين الذين هاجموا مصر للمرة الرابعة ، وبعد أن تم له ذلك فكّر جدياً بالقضاء على الخلافة الفاطمية فقام بإبعاد القواد الفاطميين عن القاهرة واستولى على أراضيهم وأملاكهم ومنحها لقواده ليضمن ولائهم وإخلاصهم ثم قام بإنشاء مدارس لتدريس المذهب السني مثلما فعل السلاجقة والهدف هو محاربة المذاهب الشيعية ، فكانت أول مدرسة أنشأها لهذا الهدف في مصر هي المدرسة الناصرية ومركزها الفسطاط قامت بتدريس المذهب الشافعي (كان صلاح الدين شافعي المذهب أشعري الاعتقاد) ثم أنشأ مدرسة أخرى لتدريس المذهب المالكي ، وأقدم على خطوة أخرى أكثر جرأة فعين ابن درياس الشافعي قاضياً للقضاء ، وجعل القضاء في مصر شافعية .

وفي يوم الجمعة الأول من المحرم عام ٥٦٧هـ / ١١٧٢ ، قطع الخطبة للخليفة الفاطمي العاضد ودعا للخليفة العباسي المستنضي ، وما إن سمع العاضد بذلك حتى اشتدّ به مرضه وأدى إلى وفاته في العاشر من المحرم (يوم عاشوراء ٥٦٧هـ) . وهكذا انتهت الدولة الفاطمية التي جعلت من مصر أثناء قيامها فيها إمبراطورية مستقلة واسعة مترامية الأطراف ذات حضارة مجيدة مزدهرة .<sup>(١١٠)</sup>

وجعل نور الدين يوم عاشوراء عيداً يحتفل فيه بالفرح والسرور وإظهار الزينات مثلما كان يفعل الأمويون . يقول الدكتور جمال الدين الشيال : «إن نور الدين كان يؤدّ أن يبادر صلاح الدين بالقضاء على الدولة الفاطمية وقطع الخطبة لآخر خلفائها العاضد والخطبة للخليفة العباسي وكان مدفوعاً إلى هذا بسنيته وكرهه للشيعه» .<sup>(١١١)</sup>

ويقول: «قضى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية بالرغم من أن العاضد أكرمه وقدم له كل الدعم في حربه ضد الصليبيين حتى لقد قال صلاح الدين نفسه فيما رواه ابن واصل: ما رأيت أكرم من العاضد أرسل إليّ مدة مقام الفرنج على دميّاط ألف ألف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها».<sup>(١١٣)</sup>

ويروي أبو الفداء في تاريخه، الجزء الثالث: «إن صلاح الدين أحضر داعي الدعاة الفاطميّ وعمارة بن عليّ اليماني الشاعر الفقيه والقاضي العويرس، وعبد الصمد الكاتب المعروف، وغيرهم من خواصّ الفاطميين، فأمر بصلبهم عن آخرهم وكان عددهم اثني عشر رجلاً وذلك عام ٥٦٩هـ».<sup>(١١٣)</sup>

لم يكف صلاح الدين بذلك بل حارب المذاهب الشيعية في مصر وبلاد الشام ليقتلها من الوجود، وقد قضى على الدولة الزنكية في بلاد الشام عام ٥٧٠هـ بعد موت نور الدين. وقد بدأ أولاً بالاستيلاء على دمشق ثم على حمص وحماة ولما وصل إلى حلب قاومه سكانها مقاومة شديدة تحت قيادة الصالح إسماعيل بن نور الدين الذي استعان بالإسماعيليين لصدّ صلاح الدين عنها ثم استجد بأمر طرابلس الصليبي ريموند فأنجده بجيش كبير فانسحب صلاح الدين عنها ثم عاد إليها عام ٥٧١هـ، فحاصرها وصالحه حاكمها عماد الدين، وبعد أن بقي فيها فترة التفت إلى محاربة الإسماعيليين فحاصر إغزاز وبزاعة فوثب عليه إسماعيلي وضربه بسكين في رأسه وجرحه ولكن لم يستطع القضاء عليه. ثم قام بحصار مصياف مركز الدعوة الإسماعيلية في بلاد الشام، ومقرّ سنان راشد الدين زعيم الإسماعيليين آنذاك وداعي الدعاة في بلاد الشام (برتبة وزير)، وقد توسط خال صلاح الدين حاكم (حماة) المدعو شهاب الدين الحارمي، وكان صديقاً لسنان راشد الدين، بين الجانبين، وأقنعهما بالصلح والاتفاق والاتحاد يداً واحدة لمحاربة الصليبيين الأعداء فتم له ذلك عام ٥٧٢هـ.

لا شك أن العلويين والشيعية عموماً فقدوا سنداً قوياً بانقراض الدولة الفاطمية، وقد تعرّضوا للأذى والاضطهاد على أيدي الزنكيين السلاجقة الذين أرغموهم على الزواج من المدن والسفوح الجبلية والالتجاء إلى المعازل الجبلية ليحافظوا على حياتهم.

وقد قام السلاجقة (التركمان) والأيوبيون الأكراد بإسكان التركمان والأكراد بين العلويين في القرى الآهلة بهم ليمنعوهم من التكتل ومن مقاومة الحكام وليرصدوا تحركاتهم وأعمالهم.

كان صلاح الدين في بداية حكمه عنيفاً في معاملة الشيعة وقاسياً في عقابه لهم ولكن لما تمّ له توحيد مصر والشام واليمن والموصل وأصبح قادراً على مجابهة الصليبيين رأى أنه من الخير توحيد قلوب كافة الفئات الإسلامية للقضاء على الصليبيين وطردهم من البلاد العربية ولذلك اتفق مع مختلف فئات الشيعة على محاربة العدو المشترك ، واستعان بفدائيي الإسماعيليين قتلوا له المركيز صاحب صور وكان شديداً على المسلمين (٥٨٨هـ) وقتلوا له برنس طرابلس (ريمون) وكان كثير التعرّض لقوافل المسلمين التي تسير بطريق الساحل ويقال إن التعاون بين صلاح الدين والشيعة قوّت على بقايا أسرة زنكي القضاء على الدولة الأيوبية ويقال أيضاً: «إن الأمير يوسف ابن عمّ صلاح الدين تآق للسكن في بلاد الإسماعيليين فاستوطن بلادهم ، ويقال إن أسرة الأمراء الإسماعيليين تمتّ بنسها إلى ذاك الأمير»<sup>(١١)</sup> بل نرى بعد ذلك أحد أفراد الأسرة الأيوبية يتحوّل إلى المذهب العلوي ويعتقه ونعني به ملك حماة (أبو الفداء عماد الدين بن إسماعيل) ، وسنشرح أمره بالتفصيل . . .

استطاع صلاح الدين هزيمة الصليبيين يوم السبت الخامس عشر من ربيع الأول عام ٥٨٣هـ في معركة حطين المظفرة ، وقتل من الصليبيين ثلاثين ألفاً وأسّر مثلهم .

وفي العشرين من رجب ٥٨٣هـ حاصر بيت المقدس وبعد أسبوع من الحصار طلب الصليبيون الأمان مقابل فدية يدفعونها ، وفتحت المدينة أبوابها في ٢٧ رجب وتحرّرت بعد احتلال دام تسعين عاماً ، ثم بدأ بتحرير المدن والمناطق حولها . وفي جمادى الأولى ٥٨٤هـ حرّر طرطوس وجسلة واللاذقية وقلعة صهيون وقلعة برزية في جمادى الثانية وقلعة درّيساك في شهر رجب وهي قلعة حصينة قريبة من أنطاكية ، واستولى على قلعة بفراس وهي قريبة من أنطاكية أيضاً .

وفي أرمنة تالية حرّر صفد وكوكب والشقيف ويافا وعكا وحيفا والناصرية وبيت لحم وصيدا وبانياس والدامور قرب بيروت ، وفي عام ٥٨٨هـ عقد هدنة مع ملوك الصليبيين ، وبعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء ٢٧ صفر عام ٥٨٩هـ توفي في دمشق ودفن فيها .

يقول الشيخ عبد الرحمن الخيّر في رده على الطويل : «إن العلويين هم الذين ساهموا أكبر مساهمة في الدفاع عن الثغور الإسلامية ، فدولة بني حمدان منذ عهد سيف الدولة كانت تحمي الحدود الشمالية والأمراء العلويون في سورية وجنودهم من العشائر العربية

الصريحة الأنساب ساهموا جميعاً أكبر مساهمة في قتال الحملات الصليبية الواحدة تلو الأخرى قبل صلاح الدين وعلى عهده وبعده، وصلاح الدين بقضائه على قيادات العلويين في مصر. كما في سورية أضعف المسلمين من جهة، وإن كان سار بهم إلى النصر في بعض مواقعه من جهة أخرى». (١١٤ مكرر)

وفي النصف الثاني من القرن السادس الهجري ظهرت بوادر حركات جدلية بين العلويين، وانتهز بعض ضعاف النفوس انصراف العلويين للجهاد ضد الصليبيين فصار يدعو نفسه ليصبح رئيساً أو زعيماً أو عالماً أو فقيهاً، ونلمس ذلك في وصية كنيها الرئيس خليفة بن عبد الله بن سالم التتوخي ٥٢٠ - ٥٨٠ هـ إلى جابر بن جبلة تلميذه يقول فيها: «يا بني فد نشأ في زماننا هذا أقوام أظهروا البدع، وتخلوا عن الورع... وهؤلاء أقوام اتخذوا دينهم هزواً ولعباً يتاكلون بالدين، ويتسمون مؤمنين، وهم عن التذكرة معرضون وعماً قليل ليصبحن نادمين. وينصحه بأن يتجنب معاشرتهم ومذاكرتهم ويتوقى صحبتهم وطريقهم لئلا يقع في الفتنة ويرجع إلى المحنة، ثم يوصيه بقوله: فأول ما أوصىك الإيمان بالله ورسوله الكريم محمد ﷺ ويطلب إليه أن يطلب العلم ويتفقه بالدين لقول الرسول ﷺ: «فضل العلم أحب إلي من فضل العباداة». فالعلم خليل لا يضجرك، وأنيس لا يهجررك فإذا جعلته دثارك وشعارك ليلك ونهارك وجدت رآبه حَفَظَكَ». (١١٥)

ولعل هذه الحركات الجدلية كانت مقدمة لما سيحدث بين العلويين من اختلاف وظهور أصحاب المقالة الثامنة في بداية القرن السابع الهجري.

ولم يعدم القرن شخصيات عظيمة في القيادة والعلم والتأليف بل يعتبر هذا القرن قرن المؤلفين والعلماء فقد نبغ فيه جمال الدين بن محمود بن طرخان الدعان الحلبي العالم العلامة ممدوح الشاعر المنتجب، والشيخ علي بن بدران المهاجري الخديجي وكان رئيساً مدرسته المنتجب وأثنى عليه لكرمه وجوده.

والسيد منصور المفلحي الذي كان أريحياً تقياً، ماجداً لوزعياً، وعالماً له تأليف شتى. وأبو رشيد الصّابري العالم النبيل ولعله كان يسكن في شيزر.

والسيد أحمد السعدي العالم الذي كان له شرف الردّ على المخالفين المعاندين سراج الدين وزمهرته، وكان يسكن العراق وينظم الشعر.

وفي هذا القرن نبغ الشيخ أحمد قرفيص . وهو العماد أبو الحسين أحمد بن جابر بن جبلة بن أبي العريض البانياسي ، وهو العالم الفيلسوف صاحب المنطق والعلوم العقلية وقد اعتبر من أجَل علماء الشيعة العلويين وفلاسفتهم ، تكلم عن سبب حركة العالم وسكونه فقال :

«فالحركة إمّا طبيعية كحركة الحجر إلى أسفل طلباً للمركز ، والنار إلى فوق طلباً للأثير ، وإمّا قسرية كحركة الحجر إلى فوق ، أو كحركة كل ما ليس فيه شيء يضادّ عنصره .  
والحركة الاختيارية ليست إلا لما فيه نفس ، فالنفس هي المحركة ، وهذه النفس معلولة النفس الكلية ، التي هي باب الرحمة وينبوع الحكمة .

والنفس الكلية تتحرك بجرمها السماوي إلى علّتها الذي هو العقل حركة تشوّق إلى تلك العلّة الفاضلة ، والنعمة الشاملة فهو يتحرك لطلب تلك العلّة الفاضلة ولا يسكن دونها ، كحركة العاشق إلى معشوقه ، وكل متحرك إذا بلغ غايته سكن كالمتحرك حركة طبيعية أو قسرية» .<sup>(١١٦)</sup>

ضريح الشيخ أحمد قرفيص في برج قرفيص وهي قرية تقع على رأس نبع السن بمسافة قريبة شرقاً ، ويستطيع المشاهد أن يميّز الضريح الموجود قرب المسجد الذي يؤلف مع الضريح بناءً بعشر قباب متلاصقة (بناها المقدم أحمد بن مخلوف الكلبي) .

وهذا عالم اسمه عليّ بن محمد انزجاج يموت كمدأ لأنه فقد كتاباً عزيزاً على نفسه ، اختطفه طائر كبير الحجم ، وكان يجفف في حرارة الشمس من بلل أصابه ، فاخطفه الطائر ورمى به في شارع المدينة في سنجار ، فالتقطه قوم لم يعرفوا الفوائد الموجودة فيه فطرحوه في النار فلما سمع صاحبه بما فعلوه بكتابه مات من الغد كمدأ وغناً .

وتقتضي المعرفة أن أقدم لك الشيخ أحمد الهرماسي الشاعر وأن أقدم لك قسماً من (حرزه : تميمته) الذي نظمه شعراً وتوسّل فيه بسور من القرآن الكريم بأسماء الأئمة عليهم السلام لردّ الأذى والشفاء من الأمراض والأسقام ، يقول :

تبدّيتُ باسم الله في أوّل السطر	وأسماءه حصنٌ منيعٌ من الضرِّ
وصلّيتُ بالثاني على خير خلقه	محمد المبعوث بالفتح والنصر
تعوّذتُ بالرحمن سرّاً وجهرةً	من الشكِّ والشيطان ما دمت في عمري

باسمك يا ذا العرش أفتح الدعا  
فسبحانك اللهم أنت إلهنا  
إلهي بحق أم الكتاب التي لها  
بالأنعام ، بالأعراف يا رب جبرنا  
بسورة ياسين المعظم قـدـره  
بسورة خير الأنبياء محمد  
وبالمصطفى المبعوث من آل هاشم  
بحق علي المرتضى وبفاطمهم  
أجبتا بما ندعوك أنت إلهنا  
وعجل لنا بالنصر بالقائم الذي  
ومن ألم الحمي ومن كيد بردها  
ومن رمد العينين والبأس كله  
وانفع به الإسلام يا رب كلهم  
وإن كان مسحوراً بملح وخردل  
وشمع ومسمار ونعل وحفظ  
وإن كان سخاراً فيطّل سحره  
وإن علّق الحرز العظيم على امرئ  
وإن كان هذا الحرز في مهد مريض

تراجع من القرنين الخامس والسادس:

١ - جمال الدين بن محمود بن طرطان الحلبي الدهان :

كان عالماً علامة سامي الهمة ، مدحه الشاعر المنتجب وأثنى عليه بقصيدة مطلعها :  
لعاذلي قلبٌ ولـي قلبٌ      مقسم بين الوري نهبٌ  
(خير الصنعة ٢٩٣)

وأنثال بالأقسام ما مد في عمري  
بديع السموات المدبر للأمر  
من الفضل ما لا تحتصيه ولا ندري  
بالأنفال يا رب سهل بهم أمري  
وما هي إلا كالعروسة بالخدر  
عليه سلام الله بالسر والجهر  
محمد خير المرسلين النبي الطهر  
وبالحسينين السيدين هما ذخري  
بكشفك بلوى من كآبة ومن ضر  
ذخيرته مولاي في آخر العمر  
ومن ألم الأرياح والضر والسكر  
ومن شر ما نخشاه من ألم الشر  
فإنك تقضي ما تشاء من الأمر  
ونيل وكبريت ويدفن في القبر  
وأذية يا صاح تُرمى على الجمر  
بتوراة موسى بالصحائف بالزبر  
يخش على الحكام في أول الأمر  
فيحفظه ربي من العين والضر



٢- الرئيس خليفة بن عبد الله بن سالم التوخي ٥٢٠ - ٥٨٠هـ:

ولي آل محمد ﷺ كان عالماً بارعاً فاضلاً له تأليف منها وصية لولده جابر بن جبلة ولعله أبو الشيخ أحمد قريص، وهي وصية غراء نص عليها حاتم الجدلي بكتابه (التجريد) والظاهر ان زمانه كان فيه بدع وتخبيط واختلاف آراء حيث يقول: «يا بني قد نشأ في زماننا هذا أقوامٌ أظهروا البدع وتخلّوا عن الورع».

(خير الصنيعة ص ٢٩٤).

٣- منصور المفلحي صاحب الرسالة المنصورية:

كان أريحياً تقيّاً، ماجداً لو ذعياً تمادح والمنتجب وأثنى عليه المنتجب، ذكره حاتم الجدلي في التجريد وذكر أنه تصدّى لسراج الدين صاحب البدعة وألف رسالة في الرد على بدعته.

(خير الصنيعة ص ٣٠٨).

٤- الشيخ يوسف بن سلمان المعروف بابن صفيفات (القرن السادس):

الصفيفات مزرعة في جرد صافيتا تبعد عن الدريكيش ٢٠ كم شرقاً فشمالاً عمر سبعين عاماً ذكره الصوري والأجروود ومدحاه، له ديوان شعر كبير فهو شاعر مجيد يجمع في شعره بين الرقة والانسجام. من شعره:

وميز القرآن نلسقَ كَلِمًا      أنزل في وحي النبي المصطفى  
من سورة الحمد إلى أن ينتهي      يجلي به الله عن القلب الضمى  
(المغمورون القلامي ص ١٦٦).

شخصيات من القرنين الخامس والسادس:

١- علي بن الفضل وإخوانه وسكناهم حلب.

٢- عفيف الجمال وذووه وسكناهم حلب.

٣- الفهري بن سرب جناح المالكي الشاعر اللغوي. من نظمه:

لا يبصر الحق إلا قلب عارفه      والعارفون لأهل الحق أنصار  
إن الكواكب في الأفلاك دائرة      ومثلها للورى في الناس أقمار

٤- الشيخ نصر الدوارة التوخي الشاعر من وادي الأحمر

## المراجع

- ١٠٧ - الصليبيون في الشرق ص ١٣٨ .
- ١٠٨ - من كتاب الاعتبار منشورات وزارة الثقافة - دمشق ص ٢٢٥ .
- ١٠٩ - شعر الجهاد في الحروب الصليبية ص ٤١ .
- نقلًا عن كتاب الروضتين ج ١ ص ٣٠ .
- ١١٠ - تاريخ مصر الإسلامية ص ٢٨ .
- ١١١ - تاريخ مصر الإسلامية ص ٢٦ .
- ١١٢ - تاريخ مصر الإسلامية ص ٢٦ .
- ١١٣ - الفلك الدّوار ص ٢١٥ عن تاريخ أبي الفداء .
- ١١٤ - الفلك الدّوار ص ٢٢٠ .
- ١١٤ مكرر - تاريخ العلويين نقد وتфриظ ص ٤٠ .
- ١١٥ - خير الصنعة ج ١ ص ٢٩٤ .
- ١١٦ - خير الصنعة ج ١ ص ٣١٨ .
- ١١٧ - خير الصنعة ج ١ ص ٣٢٣ وما بعدها .

## الفصل الحادي عشر

### العلويون في القرن السابع الهجري

أهم أحداث هذا القرن:

- ١ - انقسام في العلويين في بداية القرن .
  - ٢ - الأمير حسن المكزون السنجاري يحارب الشعوبية المتسلطة .
  - ٣ - انقراض الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك البحرية عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م .
  - ٤ - نهاية الخلافة العباسية ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م .
  - ٥ - هجوم التتار على بلاد الشام ومصر ومعركة عين جالوت عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م .
- لا بد من العودة قليلاً إلى الوراء وإلى عام ٥٨٩هـ عام وفاة صلاح الدين الأيوبي إذ بعد وفاته اقتسم أولاده وأخوته وأولاد أخوته ملك إمبراطوريته الواسعة فتفتش الخلاف فيما بينهم وحاربوا بعضهم بعضاً، وتحزب المحكومون لحاكمهم فضعت الأمة من جديد. واشتدّ ساعد الصليبيين فاستردوا بعض المدن والقرى التي حرّرت من قبل صلاح الدين، بل وهاجموا مصر وبلاد الشام، وعاد التحزب الطائفي - وما أبغضه - من جديد، وتعرض العلويون في هذه الفترة لخطر من أحدهما من الصليبيين الذين أرادوا التوغّل في بلادهم من جهة الساحل، والخطر الثاني من الإسماعيليين المتحالفين مع الأكراد وبخاصة في جهات اللاذقية وأنطاكية وريف حماة. يقول الشيخ محمود الصالح في كتابه (النبا اليقين عن العلويين) عن تلك الفترة من الحكم الأيوبي:

«كان موقف العلويين آنذاك بالغ الخطورة والرّبة، فهم بين نارين ملتهبتين! عسف الولاة، وعاديات القرامطة الإسماعيليين، وأنكأ من هذا كله عجزهم عن درء أي الخطرين قبل وضع الحرب الصليبية الإسلامية أوزارها لأن الواجبين الديني والوطني كانا يقضيان عليهم بالتعاون ولو مع مبغضيههم لاستنقاذ البلاد من أيدي الغزاة الطّامعين وإقصاء الدخيل الأجنبي عنها، فسوا مصالحهم الخاصة وتناسوا سوء جيرانهم وسوء معاملتهم في سبيل

المصلحة العامة وأبلوا في تلك الحروب الضروس بلاءً حسناً، تلك الحروب التي كادت تأتي عليهم لوجودهم جغرافياً في أتونها الملهب فقاتلوا قتال المستميت ذوداً عن مقدسات دينهم ومقدرات بلادهم ودفاعاً عن نفوسهم». (١١٨)

قبل أن نتابع سرد وقائع القتال مع الإسماعيليين لا بدّ من وقفة مآنيه لنرح حدث عارض في مسيرة العلويين بدأ في بداية هذا القرن، فقد ظهر في عام ٦٠٣ هـ كتاب يقال له: النامة لمن يدعى سراج الدين وقد أراد هذا أن يكون أتباعاً عن طريق الشعوذة والتدحيل، وادّعاء أفكار ومقالات تسيء إلى العلويين وكأنه يعيد أفكار إسحق الأحمر.

وقد حضر إلى مدينة حماة وصار له بعض الأتباع، وفي حمص استمال المدعو سنان قزحل (قزحل قرية صغيرة غربي مدينة حمص، وكانت تضم نسبة كبيرة من العلويين، واليوم جلّ سكانها من التركمان، مشهور بزراعة الحمص).

وسنان قزحل لم يكن علوياً وإنما استماله سراج الدين وجعله علوياً على طريقته، ورسمه نائباً له.

وكانت لسان مكانة في مدينة حمص، وله دكاكين ومحلات تحوي بضائع شتى، ويتعامل مع كبار التجار، ويقدمون عليه من عانة والبصرة والموصل، وينزلون في ضيافته. وبهذه الوسيلة استطاع ضمّ بعضهم إليه فكان من أتباعه: حسين الجبيلي، وشداد، وتبعهم في حمص قوم، وكذلك في عانة، وبغداد، وجوبوها في حلب وحماة بالرفض والطرّد، وفي حمص ناظر (حاتم الجديلي) سنان قزحل عام ٦١٥ هـ، وأفحمه ودحض حججه فانفضّ عن سنان قسم كبير من تلامذته وأتباعه، وفي حماة طرد سراج الدين من قبل أربائه، وبصّدّى له عليّ بن بعراط الحموي فولّى إلى حلب فأخرج منها بعد صريه وتهديده بالذبح، فذهب إلى عانة فرنع فيها قليلاً ثم ضويق وحوصر، ونُبذ، وهُدّد فاتجه إلى بغداد وطرح أفكاره فرفضه علويّوها، وتصدّى له العلامة جمال الدين الدهان والعلامة موفق الدين الأنوسي فتحول إلى واسط ثم إلى قرية بقرها، فيها قوم من الإسماعيلية، فرحبوا به أول الأمر وأطعموه وكسوه ثم أخرجوه مضروباً خافياً عارياً، فمات كمدماً وغيظاً في البراري فأكلت جثته الوحوش وحوش الفلاة.

تصدى لمقالة الثامنة ولاتباعها حاتم الجديلي، وصفي الدين الفارقي، والأمير حسن المكزون السنجاري وعثمان بن الشماع، والسمرقندي، وسمنديار التصولي الموصلي، ومسور المنجلي، وشمس الدين عبد الجبار. ويموت سراج الدين وسان تلاشت أفكارهما فقد اتبعا.

من عرض قصة سراج الدين وسان أرى أن العلويين كانوا يقطنون المدن الكبيرة وكانوا يعيشون بحرية مطلقة ولهم محلات تجارية، وكان فيهم علماء يجتمعون للمناظرة والمجادلة، وأرى أنه كان لهم وجود كبير في حماة وحمص بالأخص الأخص مثلاً هو الحال اليوم. وقد اطلعت على أنهم كانوا في حماة يسكنون في حي يدعى باب العميان، وناحي يتردد اسمه كثيراً في أخبار العلويين في حماة.

وكان ريفا حماة وحمص مشحونين بالعلويين كشأنهما اليوم. ولقد روى لي السيد خالد الزهراوي حفيد الشهيد المعظم عبد الحميد الزهراوي أخباراً عن مئة أسرة حمصية معروفة بعلويتها إلى زمن قريب ومن هذه الأسر آل الدروي وآل رسلان وآل ملوك، وآل القاسمي، وآل حبوس.

أما آل السباعي فقد كانوا من العلويين الأوائل في حلب ثم تحولوا إلى مذهب السنة، وأحد أجدادهم مدفون في قرية (عرقايا) القريبة من مدينة حمص وضريحه (مزار) يزار وهو صاحب كرامات عند العلويين وسنشرح أمره بالتفصيل بعد إيراد أخبار المكزون السنجاري.

رأى شار الشيخ في بلاد الشام قديم ويتحدث مؤلف كتاب (تاريخ حمص ص ١٧٨ القسم الثاني، عن ذلك فيقول: «حمص عنت لسلطة الفاطميين قبل ٤٠٦ هـ إذ انتشر المذهب الشيعي فيها بتأثير الحمدانيين ولم يصعب على سكانها دخول الفاطميين بلدهم وهم علويو المذهب، وسرت فيهم الروح الشيعية من أواسط القرن الرابع الهجري حتى إنهم أخذوا يؤذنون آذانهم منذ سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٧ م إذ أضافوا إليه بعد (حي على الفلاح حي على خير العمل، محمد وعلي خير البشر)، كما أنهم أضافوا إليه (بعد محمد رسول الله أشهد أن علياً بالحق ولي الله) نقلاً عن المقرئ ج ٤، ص ٤٦.

وفي التقاليد التي سمعناها كائناً عن كابر أن الفاطميين كانوا يصلون في جامع (علي) وهو الجامع ذو المأذنة الشاهقة التي عصفت الأيام بأعلاها فقطعت وعرفت بعدئذ بالمأذنة

المقطومة . ويقال إن الذي قطع هذه المأذنة إنما هو السلطان سليم الفاتح الذي كان يكره العلويين وأراد أن يحو كل أثر للفاطميين في البلاد ولذلك هدم عدة أبنية من آثارهم أو من أملاك مريديهم في حمص وحماة .

وينقل عن ياقوت الحموي ٥٧٤ - ٦٢٦ هـ المبغض للإمام علي عليه السلام قوله في معجم البلدان : « ومن عجب ما تأملته من أمر حمص فساد هوائها وترتها للذين يفسدان العقل حتى يضرب بحماقتهم المثل (ياقوت من مدينة حماة المجاورة لحمص ، وكان سكانها يتعصبون ضد أهل حمص) ويتابع : إن أشد الناس على علي رضي الله عنه بصفتين مع معاوية كان أهل حمص وأكثرهم تحريضاً عليه ، وجداً في حربه ، فلما انقضت تلك الحروب ومضى ذلك الزمان صاروا من غلاة الشيعة حتى إن في أهلها كثيراً من رأى مذهب (النصرية) وأصلهم الإمامية . (معجم البلدان ج ٣ ، ص ٣٤١) .

بقي أن تعرف أن ياقوتاً هذا توجه إلى دمشق سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م ، وناظر بعض المتعصبين لعلي عليه السلام فثار عليه الناس فنفر فطلبه الوالي فلم يظفر به .

ولنا في قصة رجال الدعوة الذين قدموا إلى حماة بناءً على طلب حاكمها للابتهاال إلى الله كي يمن عليهم بهطول المطر بعد احتباس دام أكثر من سبعة أعوام دليل على تأثير العلويين . فقد سمع ذلك الحاكم أخباراً عن فضل رجال الدين العلويين وعن كثرة ابتهالاتهم فأرسل إلى بعض شيوخهم ليقدموا عليه فاختر من بينهم الشيخ حاتم الطوباني ، وصبح الضويعه ، ومرشد حريصون ، وإبراهيم طرطوس ، ونور الدين ، وشيوخاً آخرين فتوافدوا إلى حماة وأقاموا صلاة الاستسقاء وابتهلوا فاستجاب الله إلى ابتهالاتهم وأمطرت السماء غيدافاً مدراراً بعد احتباس دام أعواماً عديدة فأكرمهم الحاكم وأجلهم وعظم من شأنهم فطارت لهم شهرة واسعة في البلاد فأطلق عليهم العلويون لقب (رجال الدعوة) ، وقد طارت شهرة الشيخ حاتم الطوباني بخاصة لأنه أسر من قبل الإفرنج الصليبيين ببيع عبدأفي قبرص ، واشتراه رجل ورد به مصر ، ولما رأى حسن عبادته واجتهاده في أمور الدين أطلق سراحه وأعتقه فعاد إلى بلاده ومربح حمص فحماة ، واستقر في قرية (محورة - بانياس الساحل) في حي من أحيائها وهو (طوبى) فنسب إليه توفي ٦٥٠ هـ .

أما حاتم الجديلي فقد توفي عام ٦٧٧ هـ ودفن في قرية (برمانه المشايخ) قرب وادي العيون ، وله ضريح يزار ويقربه شجرة معمرة لمئات السنين (وكان عالماً منزهاً) .

لم يتضرر العلويون في مطلع القرن بدعوة سراج الدين وخزعلاته ولكن ضررهم حصل من جراء اعتداء الإسماعيليين، فقد تحالف جمع من الإسماعيليين والأكراد والتركمان، وهم مجاورون للعلويين وبخاصة في ريف حماة ضد العلويين، وأجلوهم عن بعض مناطقهم وكان الإسماعيليون مقرّبين من حكام الأيوبيين لأن السلطان صلاح الدين الأيوبي أدخلهم ضمن المعاهدة التي وقعها مع الصليبيين عام ٥٨٨هـ، وكانت المعاهدة تنصّ على عدم الاعتداء عليهم وعلى أملاكهم من قبل الصليبيين.

وقد استنجد العلويون بالأمير المرسل الكلبي الكتاني التنوخي (السنجاري) من سنجار الشام ومعه الأمير الشاعر الفيلسوف المكزون السنجاري المنتهي نسباً إلى القائد المظفر المهلب بن أبي صفرة الأزدي، وكان الأمير يتخذ سنجار موطناً له، فقدم بجيش قوامه ٢٥٠٠٠ رجل محارب ولماً وصل إلى قرية أبي قيس في سهل الغاب (هي اليوم منتزه معروف) وكان ذلك عام ٦١٧هـ، اعترض طريقه الذين ذكرناهم مع حلفائهم بجيش كان أكثر عدداً وعدة، فلم يستطع أن يحقق نصراً كاستحفاً فعاد إلى سنجار ثم عاود زحفه عليهم عام ٦٢٠هـ بجيش بلغ تعداده خمسين ألفاً، وانضم إليه العلويون من عدة مناطق وخاض معركة حاسمة معهم ودحرهم فيها وأزال نفوذهم من المنطقة، وأبعد المعتدين إلى مناطق قصية عن منطقة أبي قيس، ثم قفل عائداً إلى سنجار بعد أن نظم أمور العلويين. (١١٩)

شكك بعض المفكرين العلويين المعاصرين ومنهم الشاعر حامد حسن في مسألة قدوم المكزون من سنجار العراق، وأورد أسباباً وجيهة منها؛ كيف يستطيع المكزون تشكيل جيش في العراق ثم يقدم به إلى حماة أو سهل الغاب وبين المكانين مسافة بعيدة؟ بل كيف يسمح له بمحاربة أناس يتبعون لحاكم يختلف عن حاكم بلاد سنجار؟ وبهذا يكون الأمير المرسل وحده قائد الحملة. وبعد التدقيق في أسماء الأماكن الجغرافية وجد أن منطقة ثانية باسم سنجار موجودة في سهول وسهوب المعرة وليس من المستبعد أن يكون المكزون قد حضر إلى المنطقة (أبي قيس) من سنجار المعرة ثم نظم الأمير المرسل علويي منطقة أبي قيس وما حولها بجيش استطاع به دحر خصومهم وإجلاءهم عن المنطقة وهو أقرب للصواب.

وقد ذكر لي انه يوجد في بلدة سلحب القرية من أبي قيس ضريح يزار لابن شقيق الأمير حسن المكزون.

ولد الأمير حسن بن يوسف الملقب بالمكزون عام ٥٩٠هـ في سنجار وكان والده أميراً فيها، وقد نشأ نشأة علوية مع ميل إلى التصوّف، وتثقف ثقافة عربية إسلامية، وتبحر في الفلسفة، ونبع في نظم الشعر في بداية القرن السابع، وقام بتأليف رسالة فلسفية عام ٦٢٠هـ، وألّف رسالة ثانية فيها ردّ على الملحدين وعلى المشعوذ سراج الدين.

يحتل الشاعر الفيلسوف الأمير حسن المكزون مكانة كبيرة عند العلويين، وبعض الأسر العلوية لا تزال تنسب له متصلةً بنسبه حتى اليوم ومنها أسرة الشيخ سليمان الأحمد والد الشاعر بدوي الجبل الذي شرح ديوان المكزون شرحاً وافياً وقرّبه إلى الأفهام.

وقد صدر كتاب للدكتور أسعد علي عنوانه (معرفة الله والمكزون السنجاري) تحدث فيه عن فلسفته وصوفيته وعرفانه. أما الشيخ حسين ميهوب حرفوش فقد وصفه بهذا القول: «ولنتكلم عن الرجل وغزارة علمه وفضله. له الديوان المشهور، جمع فيه رقّة الغزل، ومثانة الأسلوب والذي تفتت شعره الركبان وتحلّى به جيد الزمان، وجرى على كل لسان وبنان، وأجلّ حكماء المغرب مقام فضله وعزّ على القرائح أن ترخص بمثله.

كان عليه السلام ورعاً، زاهداً، صوفياً من الغانين في الله ويقال إنه وصل إلى مقام عند الصوفية يسمّى (مقام الحيرة) للحديث: (ربّ زدني فيك حيرة) حتى قال بعضهم: إن المكزون جوهره جاءت إلى الوجود، وذهبت فلم يعرفها إلا الأقلّون.

ولقد أجاد العلامة الشيخ سليمان الأحمد شرح الديوان حتى أصبح ورداً يعذب. ولو رمنا أن نستقصي فضل هذا العرّيف لم يسعنا ذلك لأنه صوفيّ ولسنا هناك، وله من القصائد ما طال إلى متي بيت وأكثر غيرها ممّا قلّ أو أكثر من قطع وأبيات، ومنها القصيدة (الوهمية) التي تكلم فيها عن متن المنطق كله وغيره من العلوم كالنحو والصرف والهيئة. . . ومحتويات قصائده علوم شتى؛ نحو، فصرف، فبديع، فبيان، فهية، فمنطق، فعلم الجبر والمقابلة، والجذر والفلسفة، أي الحكمة الطبيعية».<sup>(١٢٠)</sup>

من شعره:

فلي عنه من كره به في الوغى الفرّ	طليق دموع لا يفكّ له أسرّ
عن العزّ بالعيش الذي حلّوه مرّ	وكالميت حيّ دام في السذلّ راغباً



وأي حياة ينعم البال طولها  
 وشيب الفتى فيه انتهـاء شبابه  
 فرح منفقاً عصر الشبية في العلى  
 فأولُ عمر المرء مضمار سبقه  
 وأولى الورى بالمدح من عمّ فضله  
 وإن أشرّ الناس ذمّاً لنفسه  
 ومن شعره ايضاً:

كن كالزناد يقعد ناراً قدحه  
 أو كالجبال ترى العقول مرورها  
 وابغ المسير إلى العلى كالتقس في  
 استلهم البيت الثاني من الآية الكريمة «وترى الجبال وتحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ  
 السحاب».

إني أراه مؤمناً بدوران الأرض من خلال البيت الثاني ومعناه، وأراه مفكراً عالماً من  
 معنى البيتين الأول والثالث، فليت قومي يعلمون!!! .

ومن حكمه:

الحزم زين للفتى  
 والجهل للصاحي من  
 وموسر يخل أمنا  
 وشاهد بنقصه  
 وشينه النهور  
 الخمرة خمّر مسكر  
 منه سمح معسر  
 من بسواه يفخر  
 ومن شعره المصوفي:

أهل التقا لا بقيت بعدكم  
 كلاً ولا سرت بنيل المني  
 مهجة صبّ رغبت بالبقا  
 إن سرّها يوماً تمنّي اللقا  
 [الحب لله بالله]

الشيخ سليمان الأحمد شارح الديوان يعلق على البيتين بقوله : «ولم أرَ في مدة العمر على ما بلغه علمي أبلغ من معنى هذين البيتين في الإخلاص» .

عاد المكزون إلى سنجار العراق أو بقي في سنجار أبي قبيس ونظم شؤون العلويين في ريف حماة وحلب واللاذقية ، غير أن العلويين الذين يسكنون في حمص ودمشق وجبال لبنان ووادي التيم كانوا يعيشون تحت الحكم الأيوبي عيشة غير مرضية إن لم تكن معيشة قهر وظلم وعسف .

فهم مبعدون عن الحكم كأنه ليس من حقهم أن يأخذوا حقوقهم المشروعة مثلهم مثل السكان العرب أصحاب البلاد الأصلاء ، لا ، بل إن الحكام يرتابون فيهم ويتخوفون منهم ، ولذلك ضيقوا عليهم الخناق بشأن ما ندعوه اليوم أحزاب المعارضة التي تناوئ سلطة الحكام فإن أتباعها يبعدون عن الوظائف الهامة في الدولة ، لا ، بل هم يتوجسون خيفة من القبض عليهم كل لحظة يعن للحكام فيها اعتقالهم .

وهكذا كان حال العلويين فمن استطاع الصبر على القهر والبغي بقي في هذه الأماكن التي ذكرناها ومن لم يستطع هرب بنفسه وبعائلته إلى هذه الجبال الوعرة الصعبة المرتقى والمسالك ، لينشد فيها الطمأنينة والعيش الحريين إخوانه ولذلك ازداد العلويون كثرة في جبال اللاذقية وفي أنطاكية وجرود كسروان والمتن ووادي التيم وقل عددتهم في المدن الداخلية القريبة من مراكز السلطة وانتشروا في الأرياف القريبة من المدن وتجنبوا الذهاب إلى هذه المدن ، وأظهروا التقية في تعاملهم مع سكان المدن أو مع من جاورهم من مذاهب أخرى ، وكنتموا إيمانهم في صدورهم ، وقللوا من اختلاطهم بالفئات السكانية الأخرى وفرضوا على أنفسهم عزلة إجبارية ، وتركوا إقامة الصلوات في المساجد لأنهم أصبحوا عرضة للانتقام .

والحكّام كانت لهم ملذّات ، وكانت لهم ملاحيمهم فأنفقوا المال بغير حساب مثلما انتهبوه من الشعب قطعة قطعة ! . .

هذه العزلة الإجبارية ولدت عند العامة من الفئات الأخرى قناعات نسيء للعلويين فتمعرّضوا لهم بالأذى والاتهامات الباطلة ، فاستكانوا ورضخوا لما فرض عليهم ، والتفّوا حول رجال الدين الذين برز شأنهم نتيجة لاختفاء الزعامات السياسية والعسكرية والقيادية التي خافت على نفسها من العذاب والقتل .

ومن تلك الفترة ظهر رجال الدين طبقة مميزة تعاونت فيما بعد مع طبقة من حكام العلويين صار لهم سلطة فيما بعد .

### قيام دولة المماليك:

الدولة الأيوبية لم تستمر طويلاً فقد سقطت مملكة بعد أخرى وكان ذلك عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م حيث قتل آخر الملوك الأيوبيين في مصر وهو توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب فأقام قواد الجيش المماليك زوجة الملك الصالح نجم الدين المسماة شجرة الدر ملكة على مصر ، وهذه كانت تمتاز بالحزم والدهاء ، وقوة الإرادة ، وحسن القيادة فقد قادت معركة (المنصورة) ضد الصليبيين الذين كانوا يحاصرون دمياط ، وقد استطاع المصريون أسر لويس التاسع ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية السابعة ، وكان زوجها مريضاً وعندما مات أخفت أمر موته عن المحاربين وأدارت المعركة حتى وصل ابنه توران شاه من بلاد الشام .

وعندما حصل الانتصار على الصليبيين أراد توران شاه أن يقضي على قواد الجيش وحكام المدن والمقاطعات وكانوا مماليك اشتراهم الأيوبيون من بيت مال المسلمين ، واستخدموهم أتباعاً وقواداً في جيوشهم .

ولمّا شعر هؤلاء بالخطر المحدق بهم ثاروا على توران شاه وقتلوه وعيّنوا زوجة أبيه شجرة الدر ملكة على مصر عام ٦٤٨هـ ، وبذلك تكون أول امرأة تتولى الملك رسمياً في التاريخ الإسلامي ، وتعتبر أيضاً أولى سلاطين المماليك البحرية .

ويقال إن سبب تسميتهم بالمماليك البحريّة يعود إلى أن الملك الصالح نجم الدين أيوب أسس فرقة من هؤلاء المماليك وسماها البحريّة نسبة إلى نهر النيل (المصريون يطلقون على النيل اسم بحر) وذلك لأنه أسكنهم في القلعة التي بناها خصيصاً لهم في جزيرة الروضة التي تطل على النيل . وهناك تفسير آخر وهو أنهم سمّوا بحريّة لأنهم جاؤوا إلى مصر عبر البحار .

لم يجد تولّي شجرة الدر الملك صدىً مستحبّاً في بغداد ، فقد استنكره الخليفة العباسي ولم يرسل لها تقليداً بالموافقة مثلما كان متبعاً أيام الأيوبيين ، وأرسل خطاباً إلى أهل مصر قال فيه : إن كان الرجال قد غاروا عندكم فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلاً .

ولم يرضَ سكان مصر وبقية سكان العالم العربي الإسلامي آنذاك أن يكون حاكمهم امرأة، ولذلك بادر أمراء المماليك إلى تولية كبيرهم عز الدين إيبك السلطنة على مصر، فتلقَّب بالملك المعز وتزوَّج شجرة الدر التي أقدمت على خلع نفسها من السلطنة بعد أن حكمت مصر ثمانين يوماً. وقامت معارضة جديدة في وجه المماليك إذ أثيرت ضدهم مسألة أنهم عبيد اشتراهم السلاطين من بيت مال المسلمين ولا يحقَّ لهم تولي الحكم، وتغلبوا على هذه المسألة بأن أشركوا في الحكم طفلاً أيوبياً أميراً عمره ست سنوات، فلم يرضَ الملوك الأيوبيون في بلاد الشام بهذا التصرف فهجموا على بلاد مصر بجيوشهم بقيادة كبير البيت الأيوبي الملك الناصر صاحب حلب، ولكن هذه الجيوش هزمت أمام جيش المماليك، وعندما أبعد المماليك هذا الطفل الصغير عن الحكم، وحكموا مصر مستقلين.

وخدمتهم الأقدار حينما داهم المغول بلاد الشام، وهزموا الملوك الأيوبيين فيها.

وعندما تقدَّم المغول باتجاه مصر لاحتلالها خرج جيش المماليك لملاقاتهم بقيادة السلطان (قطز) فالتقى الجيشان في موضع يدعى (عين جالوت) عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م وكاد المغول ينتصرون لكن قطز تقدَّم الصفوف وهو يصيح: وإسلاماه!! . بالله انصر عبدك قطز على التار. فاندفع جيشه وراءه وهزم جيوش التار التي لم تهزم من قبل، هذه الجيوش التي أنهت الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ بعد حكم دام ٥٢٤ سنة.

بعد هزيمة المغول في عين جالوت انسحبوا من بلاد الشام عائدين إلى مراكزهم في إيران، وهنا يسَّر الأمور لقطز فضمَّ بلاد الشام حتى حلب إلى مصر فتوحد القطران من جديد وقد أعاد قطز بعض ملوك الأيوبيين إلى حكم بعض المدن مثل حمص وحماة ولكنهم كانوا تابعين لحكم مصر.

لم يهنأ قطز بانتصاره إذ قتل قبل أن يدخل القاهرة وهو عائد من بلاد الشام فقد وثب عليه (ركن الدين بيبرس) البندقداري وقتله وتولَّى الملك ولقب نفسه بالملك القاهر ثم بالملك الظاهر بيبرس، وهو صاحب السيرة المعروفة (سيرة الملك الظاهر بيبرس) الملحمة الشعبية التي تعز بنضال بيبرس ضد الإفرنج الصليبيين والجواسيس في الداخل والقيام بتوحيد البلاد العربية وإقامة العدل والقضاء على الظلم.

## العلويون والمماليك:

فأدى العلويون بأنفسهم في سبيل القضاء على ما تبقى من الوجود الصليبي في بلاد الشام فساهموا في إزالة مملكة أنطاكية وطرابلس الصليبيتين يقودهم قواد عديدون، اشتهر منهم المقدم سعد دبل الذي كان أحد مقدمي (الفداوية) المعروفين الذين يفادون بأنفسهم في سبيل المصلحة الإسلامية والدين والوطنية. يقول مؤلف (خير الصنيعة): «وكان هناك مقدّمون يتولون مقاطعات وقلاعاً وحصوناً يدبرون شؤنهم بتصرفهم وقوة إرادتهم، ويدفعون خراجاً للملك المصري وتنتد ويحضرون عند الحاجة بين يدي السلطان المصري عند غزوة أو فتح حصن يباشرون الحرب بأنفسهم واتفاقهم وهم شيع إحاطة على المصلحة الإسلامية من سنين وإسماعيلين وعلوين على رأي واحد وخضوعهم للسلطان المصري الذي كان يجمع الكلمة الإسلامية هنالك (يفهم من هذا الكلام أن العلوين وغيرهم كانوا يتمتعون بالحكم الذاتي تحت إشراف حكام وقواد منهم) ومن أفذاذ الرجال العلوين المقدم سعد دبل وأمثاله كالشيخ بدر الغفير والمقدم منصور العقابي ومعروف بن جمر وغيرهم من عليّة القوم»<sup>(١٢١)</sup>.

هذه هي المرة الأولى التي نسمع فيها بذكر المقدمين العلوين فهل لذلك علاقة باستلامهم قيادة كتائب في الجيش المملوكي ومحاربة الصليبيين؟ أم أن الكلمة كانت موجودة قبلاً ولم تظهر في أدبياتهم لأنهم لم يكونوا قادة في جيوش سابقة؟ أم أن هذه التسمية (الرتبة أو المنصب) قد أوجدها المماليك في بداية حكمهم؟

ومن الطريف وجود تنازع بين العلوين والإسماعيليين حول الشيخ بدر الغفير، والمقدم سعد دبل، فقد ادّعاها الإسماعيليون لأنفسهم حسبما جاء في الفلك الدوّار<sup>(١٢٢)</sup> عندما استلم الظاهر بيبرس الحكم أراد أن يقضي على الإسماعيليين فقام بتجريد حملات عسكرية لفتح قلاعهم وحصونهم غير أنه لم يتمكن من فتحها، وعندما ازداد ضغط الصليبيين واعتادوهم على المدن الداخلية، ثم عاد تهديد المغول من الشرق، رفع بيبرس الحصار عن الإسماعيليين واتفق معهم على محاربة العدو المشترك، ووقع الاتفاق عميدهم موسى بن الحسن القصّار عام ٦٦٠ هـ، وقد وضع الإسماعيليون تحت قيادته جيشاً يقوده فدائيوهم.

كان يبرس من القواد المحنكين والساسة الدهاة البارزين ، وعندما شعر بالخطر المحدق بالأمة المتمثل بالمغول والصليبيين معاً رأى أن يوحد الأمة ويكبت التعصب القائم بين الشيعة والسنة ويقضي على الظلم الاجتماعي ويجعل أبناء الأمة بدأً واحدة على الأعداء الطامعين بالأرض العربية . وهذا ما حصل إذ بهذه الوحدة الشعبية الوطنية استطاع أن يردّ عاديّات المغول ومحاربة الصليبيين وإجلاءهم عن الأراضي العربية فحرّر صفد عام ٦٦٣هـ ، ويافا وشقيف أرنون عام ٦٦٦هـ ، وكان نصره الكبير حين قضى على مملكة أنطاكية فعمّ الفرح جميع الأراضي العربية الإسلامية لاستعادة أنطاكية وإجلاء الصليبيين عنها ثم انتصر على المغول انتصاراً كاسحاً وحاسماً عام ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م ، ودخل قيصريّة عاصمة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى بعد هذا الانتصار الرائع عاد إلى دمشق فتوفي فيها عام ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م ودفن قرب الجامع الأموي .

تولّى الحكم بعده ابنه بركة خان فعزل بعد سنتين لأنه كان ميّالاً للهو والشراب ، وعيّن أخوه (سلامش) بدلاً منه وكان صغير السن فعين له وصيّ هو قلاوون الألفي (حين شرائه بلغ ثمنه ألف دينار) فقام بعزل هذا الصبي وصار السلطان الجديد للمماليك وتلقّب بالملك المنصور ١٢٧٩م وانقسم المماليك فتمرّد عليه نائب الشام سنجر الأشقر ، واتّصل بالمغول فجهّز قلاوون حملة إلى دمشق ، فراسله سنجر وتصالحاً بسبب قدوم المغول إلى بلاد الشام . انقسم الإسماعيليون أيضاً في تأييدهم لقلاوون ، فأيدّه قسم منهم ، وقسم ثانٍ لم يعترف به ، فقام قلاوون بتجهيز حملة على شيزر قلعة الإسماعيليين للقضاء عليهم .

وبما أن العلويين يجاورون الإسماعيليين فلربّما تضرّروا من هذا الغزو المستمر منذ ٦٨٠هـ إلى ٦٨٦هـ ، ولربّما تغيّرت النظرة إليهم من قبل قلاوون وأولاده الذين حكموا مدة تزيد عن القرن : ١٢٧٩ - ١٣٨٢م .

وقد اضطربت الأمور بعد موت قلاوون ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م ، فكثر الفتن والمصادرات وحوادث القتل والقبض على المخالفين حتى عمّ الخوف وانتشر الرعب في البلاد ، وكثر عزل أولاد قلاوون عن الحكم وعودتهم إليه ومثالنا على ذلك ولده محمد الذي عزل مرتين ثم عيّن ثالثة عام ٧٠٩هـ ، واستمر سلطاناً حتى وفاته عام ٧٤١هـ .

ومحمد هذا هو المعني بتاريخنا إذ حدث إبان حكمه الاعتداء الكبير على فرق الشيعة جميعها وعلى العلويين بتركيز خاص . وسنعود لتفصيل هذا الأمر .

نعود إلى شؤون العلويين الخاصة فنعلم أن (جبله) قد تعرضت للخراب سنة ٦١٤هـ على يد المسلمين خوفاً من الإفرنج الصليبيين . . . ونجد مؤرخاً علوياً يورخ وفاة الملك الظاهر محمود بن غازي بن الملك الناصر بن أيوب في ١٧ جمادى الآخرة سنة ٦١٣هـ. هذا الملك دافع عن بلاد العلويين ضد الفرنجة الصليبيين الذين هجموا على بلاد العلويين سنة ٦٠٠هـ في بداية القرن السابع فاحتلوا صافيتا والمرقب والساحل، واحتلوا مواقع هامة، وقتلوا كثيراً من العلويين مما دفع الشيخ حسن كفرون لتنظيم مريثة أرسلها إلى علوي مصر يخبرهم فيها عن المذابح التي تعرض لها العلويون على يد الفرنجة، وكذلك أخبر السلطان الأيوبي الحاكم.

والشيخ حسن كفرون (٦٤٦ - ٦٨٤هـ) كان حاكماً لقلعة السيّدة قرب قرية الكفرون القريبة من مشى الحلو، وقلعة الحصن.

وفي النصف الثاني من القرن السابع حدث انشقاق بين العلويين وفي هذه المرة كان مسرحه الجبل، وكان رئيس المنشقين المدعو ربيعة بن نصر العصيدة من قرية (أسفين) وشايه ناشئ قمرس، وداود القيقانيّ وجعفر السويديّ وغيرهم. وقد تصدّى للمنشقين الشيخ يوسف بن العجوز الرّداد الحلبي السباعي النشأبي (٦٢٢ - ٦٨٤هـ) ويبدو من كنيته أنه حلبي الأصل، ولد ونشأ فقيراً ثم ترك حلب ورحل إلى قرية الزمام ومنها إلى قرية (الخصوة) وعاشر أهل المناصف وأهل الجبال والسواحل، وعرف أهلها ومناهجهم، فوجد أكثر أهل الجبل قد شذّوا عن قول الحق وقول الصدق، ومالوا إلى الأسباب الفاسدة والركض وراء متاع الدنيا وحب الرئاسة، وقد اجتمع الرّداد وربيعة في قرية (أسفين) وتجادلا، وقد تفوّق عليه الرّداد لأنه كان مثقفاً ثقافة واسعة، وكان فيلسوفاً خبيراً صاحب فلسفة وعلوم شتى، تكلم عن الهيئة والنقطة والدائرة والسطح وعلم الحساب. (١٢٣)

ويلوح لي أن المناظرة الأولى بينهما حدثت عام ٦٦٤هـ، وقد انحاز إلى صف الرّداد الرئيس سالم شقيق ربيعة، والإمام جامع المريح، والمعلم أبو محمد جبرين، والمعلم عسكر النقيب، والمؤدّب علي بن منصور المعروف بالصوري وحدثت بينهما مناظرة ثانية في قرية أسفين عام ٦٦٥هـ، فاز فيها الشيخ يوسف الرّداد فسمي بالمجتمعين إلى حاكم القرية المدعو زين الدين قراجا المهزوم ربيعة العصيدة ففرّقوا وقد انتصر للرّداد ايضاً عالم من علماء العلويين هو المعلم محمود الكلازي ويوصف المعلم محمود بأنه من عظماء

العلويين وممن يشاكل الأمير حسن المكزون بالعلم ، وقد سافر إلى العراق وشاهد علماء بغداد وعانة والكوفة ، وعاد وأرسل لربيعة ومن يتابعه يطلب إليهم الاجتماع به للمناظرة وقال لهم : بيني وبينكم علماء بغداد وعانة والكوفة فقابلوه بالسَّفة مثلما قابلوا الرداد بالعصيان .

لكن هذا العصيان لم يؤثر على مجموع العلويين ، فخرج قلة قليلة عن الطريق لا تعيق الركب ، واستحق الشيخ يوسف لقب الرداد عن جدارة لأنه رد من خرج عن جادة الطريق إلى الجادة ثانية .

كما بينت سابقاً فإن المماليك بعد وفاة الظاهر بيبرس واستلام قلاوون الحكم ومن تلاه من أولاده قد تغيرت قلوبهم نحو العلويين فأظهروا لهم العداوة وفرضوا عليهم الضرائب الباهظة ، وضيقوا عليهم الخناق ، وبدأ السعاة والنمامون والمخالفون بتشويه صورة العلويين أمام ولاية المماليك في مناطق العلويين وبخاصة ولاية طرابلس واللاذقية وحماة والقصة التالية توضح ذلك :

عام ١٢٨٩م حرر الملك قلاوون طرابلس من الاحتلال الصليبي وعيّن عليها نائباً دعي بالموصلي ، وقد اتخذ موقفاً من العلويين بتأثير بعض المحرضين والحاسدين والشائنين ، وقد زنتوا لهذا النائب أن العلويين لا يقرؤون القرآن الكريم ولا يصومون ولا يصلون باتجاه الكعبة الشريفة ، ولا يعرفون الوضوء ، ولا يقومون بواجباتهم الدينية ، ولا يصلون على الموتى لأنهم يجهلون صلاة الميت ، فأرسل يدعو رجال الدين العلوي لملاقاته لامتحانهم في المسائل الدينية فاختار العلويون العلماء العلامة الشيخ مسلم البيضا (مسلم بن عبد الله بن رسلان الحلبي) و(البيضا قرية قريبة من صافيتا) اسمها اليوم بيضة الشيخ مسلم . كان الشيخ مسلم يتصف بعلو الهمة والشجاعة والإقدام والعلم الغزير ومحاجة الخصوم ، ومجادلة المعاندين . «ولمّا وصل الشيخ إلى طرابلس ومثل بين يدي هذا الحاكم الجبار المدعي بنفسه العلو والافتخار ، أوقع الله الرعب في قلب الحاكم فخافه وعظمه ، وبعد مناظرة طويلة في العلم جرت بينهما ، قال له الموصلي : أنتم لا تصلون على الميت ، فردّ عليه الشيخ مسلم : إننا نصلي عليه ونحسن الصلاة ونتقنها ، فقال القاضي الذي كان حاضراً المناظرة : أنا الميت ، وأنت المصلي لتبلو صحة ما أنت قائله . ثم اضطجع وغطي بملاء ، فتوضأ الشيخ ثم أقام عليه صلاة الميت بتمامها .



فقال الموصلي للقاضي المتماوت: قد بلغت الصلاة حدّها، فقم، وانظر، هل فيها ما يعيبها؟ فلم يجبه القاضي، فكشفوا عنه فشاهدوه ميتاً، لا روح فيه. فقال الموصلي للشيخ مسلم: ما هذا؟! فقال الشيخ: هذه صلاة الميت، وأنا لا أصلي على رجل حي. فأوجس الموصلي في نفسه خيفة منه وقال: دينكم بمعنى مذهبكم الحق، وأنتم الأعلون مقاماً. ثم رده معظماً مكرماً، وأتحفه تحفاً، فتعقّف عنها، وخفّض عن العلويين أشياء من الخراج». (١٢٤)

بعض العلويين يرى في الحادثة نوعاً من المغالاة لجذب الناشئة.

وفي الربع الأخير من القرن السابع الهجري جرت لقاءات عدّة بين علماء العلويين وعلماء الإسماعيليين في صافيتا وعانة لتوحيد الفتيين واعتناق مذهب واحد ولكنهم لم يصلوا إلى رأي واحد، ولم يتفقوا على مذهب ما فانفضت اجتماعاتهم، وظلّوا على حال والاختلاف العقائدي حتى هذه الأيام. (١٢٥)

خل هذا القرن بعلماء وشعراء عديدين اخترت التعريف ببعضهم للأهمية والشهرة:

١- أبو الدرّ الحموي بن أبي الحسن العطار: حموي الأصل، انتقل منها إلى بعين أو (بارين)، وتوفي فيها، ضريحه يزار كان عالماً وشاعراً. ومن شعره الحكمي:

هجرتني الناس واستأنسست وحدي ببيتني في مطالعة الكتاب

٢- الشيخ جامع المريّج: كان إماماً عالماً، توفي ٦٦٤هـ من ذريته آل الوقاف وقرابتهم.

٣- المعلم جبرين أبو محمد: من أنصار الردّ الحلبّي توفي ٦٦٩هـ ودفن في قرية (مريمين).

٤- علي بن ممدود السوفاني السنجاري: شاعر ولغوي، ديوانه كبير، وقصائده طويلة.

٥- الشيخ موسى الربطي الشاعر: ضريحه في أبي قبيس وعنده يقام (رابع نيسان).

٦- الشيخ إبراهيم شاما الفقيه: العالم العلامة، الثقة في الفقه، كان خشوعاً خضوعاً، جواداً كريماً، ضريحه بقرية شاما ويزار حتى من الأخوة المسيحيين.

٧- الشيخ أحمد الجزري: أحمد بن داود الجزري الرقي الأيوبي، أصله من مدينة الرقة السورية ثم رحل إلى حلب وأصبح إماماً لعلوي حلب، عالم شاعر، ديوانه كبير، ضريحه في قرية (حدادة) في محافظة حمص، وأهل (عكاكير) يقولون إن ضريحه قرب قريتهم.

- ٨ - جمال الدين بن يوسف بن سعيد بن معدن الكركي العاني الفقيه، عالم، علامة، صاحب مؤلفات شعرية ونثرية، مسكنه عانة.
- ٩ - الشيخ حمدان جوفين الأنصاري الخزرجي الشاعر الطليق، البشوش، الجواد، الصدوق، الدحار لأهل الفساد، رحالة مدح علماء وعظماء وشعراء عصره، من نسله الجواهرة في حلب، توفي ٦٨٥هـ.
- ١٠ - الشيخ سعيد بشتانا: يعود بنسبه إلى الناسخ البغدادي الخزرجي. توفي ٦٩٠هـ من نسله وذريته بيت الشيخ حسين أحمد في (حمين) وقرابته.
- ١١ - الشيخ سليمان الفيتيقي: الشاعر، له ملحمة شعرية عن تيمورلنك قبل وصوله إلى بلاد الشام.
- ١٢ - الشيخ علي الصوري: الشاعر الشهير، المؤدب: ٦٣٨ - ٧١٤هـ من أنصار الرداء، شاعر لكن بالعامية. (يصف نفسه بأنه منحوس في زراعة الشكاير) زرع (شكارة) في قرية (بيتسه) القريبة من حمص، فرعتها خيول التركمان، وما بقي منها شبّ فيه حريق، وزرع أخرى في (خربة شعبان) فأخصبت لكن ظهر فيها جيش من الفئران، وعندما حصد ما بقي منها هاجمته أفعى. روحه مريحة، ضريحه في قرية الصوري في محافظة حمص، يزار.
- ١٣ - الشيخ محمود القصير: العالم الشاعر، الدحار لأهل الغي والعمى. من ذريته البشارة.
- ١٤ - الشيخ يوسف الثعالبي: الشاعر الشهير ٦١٦ - ٦٨٧هـ، له ديوان كبير يعود بنسبه إلى الخزرج.
- ١٥ - الشيخ يوسف ريعو: من قرية (ريعو) ويعود بنسبه إلى آل جعفر بن أبي طالب. القرن السابع.
- ١٦ - الشيخ علي الصوري يمدح علوي ومشايخ نصبيين، وحلب، وكفرجالا، والمعرة، ويزارج.

(العودة إلى ديوانه).<sup>(١٢٦)</sup>

١٧- علي بن بقرط الحموي القرن السادس والسابع : ينسب إلى مدينة حماة التي عاش فيها طويلاً، ردّ على مذهب الثامنة ، ولم يدع دعوتهم تتسرّب إلى حماة كما تسرّبت إلى حمص ، ووقف على ردّ حاتم الجديلي والمكزون على الفرقة نفسها ، ويظهر أنه تأثر بهما وشاركهما في الدفاع والردّ. له مقطوعات شعرية في ذلك . (المغمورون القدامى ص ١٧٣).

## المراجع

- ١١٨ - النبأ اليقين عن العلويين ص ١٥٣ بوجود خلاف بين ط ١ و ط ٢ .
- ١١٩ - الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٢٤٣ .
- ١٢٠ - خير الصنيعة ج ١ ص ٣٨٧ وما بعدها .
- ١٢١ - خير الصنيعة ج ٢ ص ٥٤١ - ٥٤٢ .
- ١٢٢ - الفلك الدوّار ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .
- ١٢٣ - خير الصنيعة ج ٢ ص ٦٢٨ وما بعدها .
- ١٢٤ - خير الصنيعة ج ٢ ص ٥٩٦ وما بعدها .
- ١٢٥ - الفلك الدوّار ص ٢٤١ .
- ١٢٦ - التراجع من كتاب خير الصنيعة ج ١ - ج ٢ .

## الفصل الثاني عشر

### الإفتاء بالإفناء

#### العلويون في القرنين الثامن والتاسع

قبل أن ينتهي القرن السابع الهجري بعشرة أعوام انتهت الحروب الصليبية ، وطرده الغزاة الإفرنج من بلاد الشام ومصر إلى غير رجعة فقد سقطت آخر مدينة كان يحتلها الصليبيون بيد المماليك وهي عكا في ١٦ جمادى الثاني ٦٩٠ هـ / ١٨ أيار ١٢٩١ م ، ومن بقي من الصليبيين استقلوا سفنهم وعادوا إلى أوروبا مدحورين مهزومين ؛ وكان وجودهم في بلادنا حلماً مزعجاً ، انتهى بيقظة حالم من نومه وقد طمر رمل النسيان آثار الفرسان المدرعين قبل أن تبته في الغرب الذكريات عن أفعالهم القاسية والبطولية بزم طويل ، كما يقول المؤرخان التشيكيان فيرا وميروسلاف غروخوف . لكن صليبي القرن العشرين يريدون نهب خيرات البلاد العربية كلها ، وعلى رأسها النفط وهم لا يزالون يحلمون بفرض الذل والانحطاط علينا ، مثلما فعل أسلافهم الذين تسبوا بانحطاط اقتصادنا وثقافتنا ورحم الله جمال الدين الأفغاني الذي قال : «الروح الصليبية لم ترح كامة في صدور الغرب كمون النار في الرماد ، وروح التعصب لم تنفك حية معتلجة في قلوبهم حتى اليوم كما كانت في قلب بطرس الناسك من قبل ، وهو أبداً ناظر إلى الإسلام نظرة العداء والحقد والتعصب الديني الممقوت» . (١٢٧)

قال هذا القول في القرن التاسع عشر قبل ظهور النفط في الوطن العربي ترى لو كان حياً اليوم فما كان قوله ؟ !!!

أنهى الأشرف خليل بن قلاوون الحروب للصليبية واستلم الحكم بعده أخوه محمد فعزل مرتين ثم عين ثلاثة عام ٧٠٩ هـ ، واستمر سلطاناً حتى وفاته عام ٧٤١ هـ . وأثناء فترة حكمه الثانية الممتدة بين ٦٩٨ - ٧٠٨ هـ وجرى الاعتداء الكبير على العلويين ، وعلى فرق الشيعة جميعها . ويبدو أن القضاء على الصليبيين كان له دور كبير في التفات المماليك إلى توحيد سكان البلاد التي كانوا يحكمونها تحت راية مذهب واحد هو المذهب السنّي ، وكان يمتنعهم من تحقيق هدفهم وجود الصليبيين في المنطقة فلما تخلّصت البلاد منهم سعوا لإعلاء

المذهب السني وإجبار الفئات الشيعية على ترك معتقداتها واعتناق المذهب الرسمي للدولة ، ومن الغريب أنهم لم يلزموا المسيحيين على ترك معتقداتهم والدخول في الإسلام .

ويقال إن الظاهر بيبرس أصدر أثناء فترة حكمه تعليمات تلزم العلويين ببناء المساجد في قراهم والصلاة فيها . وقد شيدوا المساجد ولكنهم كانوا يخافون من الصلاة فيها لأنهم اعتادوا الصلاة في بيوتهم أثناء عهود الاضطهاد الطويلة مخافة الإغارة عليهم وهم في المساجد للفتك بهم . ومن الصعب على من اعتاد عادة ما أن تلزمه بتركها في يوم وليلة .

ومحمد قلاوون وجد من زين له أن يعيد تنفيذ تعليمات بيبرس والزام العلويين بالصلاة في المساجد ، فلم تكن الاستجابة كما يحب ويرغب الحاكمون في بلاد الشام ، فحرضوا هذا السلطان على العلويين فأمر بتجريد حملات عسكرية تشن غارات قاتلة على العلويين ، واختار مسرح العمليات مكان انتشار العلويين في جبال لبنان لقربها من دمشق وصفد وطرابلس .

وكان العلويون والشيعية عموماً يقطنون المنيطرة والعاقورة ونواحي البترون وعكار والضنية وكسروان ووادي التيم ومرجعيون .

وكانت الحملة الأولى عام ١٣٠٢م - ٧٠٢هـ .

وجرت الحملة الثانية عام ١٣٠٦م - ٧٠٦هـ .

أما الحملة الثالثة فتتعت عام ١٣٠٧م - ٧٠٧هـ .

وكانت نتيجة هذه الحملات القتل والإفناء والتدمير وإجلاء من بقي من العلويين والإسماعيليين والشيعية عامة عن هذه البقاع مجتمعة ، مما يسّر للدروز السيطرة على وادي التيم بكامله ، ومرجعيون والبقاع ، أما الموارنة فقد حلّوا محل العلويين والشيعية والإسماعيليين في المناطق القريبة من سكناتهم في الشمال ، ثم امتدوا زاحفين نحو الجنوب - ولم يكن لهم وجود فيه - فحلّوا في المتن وكسروان والمنيطرة والضنية التي جلا عنها العلويون وغيرهم من الشيعية ، وقد ذكر المؤرخ فيليب حتي مؤرخ الطائفة المارونية : «تناولت سياسة المماليك الجديدة إعادة توحيد الفرق الإسلامية المنشقة وضمها إلى حظيرة السنة ، وذلك لأن بعض هذه الفرق الإسلامية أعانت العدو وهادته (كذا) نسي أن الشعوب المارونية هي التي كانت اللّاعم الأول لوجود الصليبيين في الشرق ، وهي التي قاتلت إلى جانبهم

وكان منها الأدلاء والمرشدون، وحينما انتهى الوجود الصليبي هرب الآلاف من الموارنة غير العرب إلى قبرص وأسسوا فيها جالية مارونية لا تزال حتى اليوم، بينما لم يهرب العلويون أو الإسماعيليون أو الشيعة مع بقايا الصليبيين، ولو كان ما قاله حقيقة عن تعاون هذه الفئات الشيعية مع العدو الصليبي لرحلت مع فلوله وفعلت مثلما فعل الموارنة في قبرص، ولكنه التعصب وعدم الدقة، وعدم المسؤولية. وقد قتل المماليك من الإسماعيلية والنصيرية والشيعة عدداً كبيراً، ويبدو أنهم كانوا أشداء أقوياء، وأن عددهم كان كبيراً في جميع أنحاء سورية». ويقول أيضاً: «كانت الحملات العسكرية التي وجهها الملك الناصر سنة ١٣٠٢م و١٣٠٦م و١٣٠٧م ضد كسروان من أعنف الحملات التي تعرّض لها لبنان ومن أشدها فتكاً وخراباً، وكانت كسروان آنذاك تمتدّ جنوباً إلى نهر بيروت وإلى جبل الكنيسة وإلى جبل صنين وكانت تشمل أيضاً منطقة المتن الشمالي والجنوبي، وكان سكّانها قليلاً من الموارنة واليعاقبة، والدروز، والشيعة، والنصيرية، وقد اشترك في هذه الحملات العسكرية جنود من صفد وطرابلس ودمشق وكان القائد العام جمال الدين الأفوش حاكم دمشق، وقد أفتى (ابن تيمية) وكان من أعظم فقهاء عصره في سورية «بأن الدروز والنصيرية ليسوا مسلمين، وأنهم دون النصارى مرتبة، ويجب إبادتهم». واشترك ابن تيمية في هذه الحملة، وأفوش الآخر هو الذي قاد الحملة التي أبادت ودمّرت وفتكت بالنفس والزرع والضرع حقداً وجهلاً وتعريضاً من الفقيه الأكبر». (١٢٨)

(ابن تيمية هو تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية. ولد في حرّان عام ٦٦١هـ/١٢٦٣م. وانتقلت عائلته إلى دمشق هرباً من المغول وعمره ست سنوات، وتعلّم في دمشق قُبْعُ صيته في المعرفة وجلس للتدريس والفتوى. اختلف مع علماء عصره وبخاصّة علماء الشافعية فمنعوه من التدريس، وحسبه السلطان محمد بن قلاوون في قلعة دمشق فمات بها عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م، وأشهر كتبه الفتاوى).

من المؤكد أن ابن تيمية لم يكن يعرف العلويين معرفة تامة وإلا لما أقدم على تكفيرهم وإفنائهم بفتواه المعروفة، ولا بدّ أنه حسبهم من القرامطة الذين اقتتلوا الحجر الأسود من الكعبة المكرّمة، أو حسب ظني كان يعتبر فرق الشيعة جميعها من المارقين ما دامت هذه الفرق لا تعتنق المذهب السني.

وأورد أبو الفداء عماد الدين إسماعيل في تاريخه (المختصر في تاريخ البشر) حادثة إبادة العلويين على النحو التالي: «في عام ٧٠٥هـ سار جمال الدين أفراس الأخرم بمسكرو دمشق وغيره من عساكر الشام إلى جبال الظنيين، وكانوا عصاة مارقين من الدين فأحاطت العساكر الإسلامية بتلك الجبال المنيعه، وترجلوا عن خيولهم وصعدوا في تلك الجبال من كل الجهات وقتلوا وأسروا جميع من بها من النصيريين والظنيين وغيرهم من المارقين، وطهرت تلك الجبال منهم وهي جبال شاهقة بين دمشق وطرابلس». (١٢٩)

ويذكر الدكتور سمير عبد العزيز هذه الحادثة بعينها فيقول: «الظنية كان يسكنها جماعة من النصيرية وقد تعرض هؤلاء السكان في سنة ٧٠٥هـ للقتل والأسر عندما أغار عليهم الأمير جمال الدين أفراس الأخرم بمسكرو دمشق والأمير أسنومر كرجي بمسكرو طرابلس، والأمير سنقرجاه المنصوري بمسكرو صفد فخرّبوا ديارهم وقتلوا منهم جملة كثيرة». (١٣٠)

#### هل وجدت اسماً عربياً بين أسماء هؤلاء الأمراء ١١١٢

وعن الأمير أسنومر كرجي الذي كان يحكم طرابلس آنذاك يتحدث صاحب كتاب (تاريخ بيروت) فيقول عنه:

«إنه كان من العلويين وكان يؤيدهم باطنياً وكان متهماً بذلك ولكي ينفي التهمة عن نفسه أكثر من القتل في العلويين عام ٧٠٥هـ، ولكن بعد ذلك قرّب جماعة ممن بقي منهم وأقطعهم الأراضي ووظفهم في الدواوين».

«وسيف الدين أسنومر نائب طرابلس كان نسب إلى مباطنة الكسروانيين فأفحش فيهم القتل لينفي عنه التهمة اللاحقة به، وأن الكسروانيين بادوا وتشتوا، وأقطع بعضهم بالرواتب». (١٣١)

لكنه يقول: إنها جرت عام ١٣٠٥م.

ويقول العالم محمود الصالح في كتابه (النبا اليقين عن العلويين): «في سنة ١٣٠٥م أمر السلطان محمد قلاوون سلطان مصر من سلاطين المماليك البحرية رجاله بتسيير حملة عسكرية عظيمة إلى جبال كسروان في لبنان لإبادة الطوائف الشيعية هناك إذ كانوا أصحاب البلاد آنذ كما فصله العلامة (مطران الدبس) في كتابه (داني القطوف) حيث يقول: «ومن جملة من قُتل بهم العرب النصيرية الذين كانوا في شمال لبنان ولا سيما في المنيطرة والعاقورة



ونواحي البترون وعكّار والضنيّة ثم امتدوا إلى كسروان قبل سنة ١٣٠٥ م، وكانوا أشدّاء يساعدون إخوانهم في وادي التيم ومرج عيون. والذين تخلّصوا من الموت من هؤلاء رحلوا إلى الشمال إلى جهات اللاذقية وأنطاكية، واعتصموا في جبالها، وبقي قليل منهم في لبنان وعكّار وطرابلس<sup>(١٣٣)</sup>.

إذاً مذابح عام ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥ م هي التي أنهت الوجود العلوي في وادي التيم ومرج عيون والمنيطرة والعاقورة ونواحي البترون والضنيّة وكسروان، وهي التي هيأت للمواردية فيما بعد أن يستولوا على هذه المناطق ويعيشوا فيها حتى اليوم.

بعد هذه المذابح أبرز المماليك للوجود عائلة تركمانية سلّموها إمارة طرابلس لتراقب جبل لبنان وساكنيه وكل فئة عربية تفكر بالاستقلال في هذه المناطق. هذه العائلة هي آل سيفا. واستمرّ المماليك بملاحقة العلويين وإجبارهم على ترك منازلهم ومذهبهم، والزهم بإقامة الصلاة في المساجد بل طالبوا كل قرية أن تبني مسجداً وتفرز أرضاً تكون وقفاً للمسجد يرتزق منها، ففي عام ٧١٧هـ/ ١٣١٧، أصدر السلطان محمد قلاوون الذي أجلى العلويين عن لبنان وقتل بهم فيه، مرسوماً يحدد فيه حدود إمارة طرابلس وما أضيف إليها من الأعمال والقلاع والحصون لضبط شؤون الطائفة العلوية التي نعتها المرسوم بنعوت ظالمة وغير صحيحة، ثم حرّم على العلويين خلط ذبائحهم بذبائح أهل السنة، ومقابرهم بمقابر السنة أيضاً وزاد على ذلك بمنع العلويين المذكورين من الخطابة<sup>(١٣٣)</sup>.

وفي هذا العام ٧١٧هـ حصلت مذبحة ضد العلويين في جبلة من جرّاء حملة قامت بها السلطة المملوكية، فأودت بالآلاف منهم، فهل كان للمرسوم المذكور صلة بما حدث؟ هل جرت المذبحة قبل أو بعد صدور المرسوم؟ من المرجح أن المذبحة حصلت بعد صدوره إذ ربّما استنكر العلويون هذا المرسوم واستهجنوا مضمونه وبدرت منهم أقاويل وأعمال حدثت بالدولة لمعاقبتهم هذا العقاب الأليم.

حدثت المذبحة في شهر شوال وقتل فيها قائد من قوّاد العلويين اسمه عليّ ونعت بالمقدم وجاء في تاريخ لأحد العلويين ذكر المذبحة تحت عنوان: (قتل نصيرية جبلة في شوال سنة ٧١٧هـ).

وفي هذا القرن أيضاً تعرّض العلويون للقتل والذبح والتشريد في صافيتا، والكاف، والخوابي، والمرقب، وقدموس إثر حملة عسكرية قام بها من يدعى (مكّة التركي) عام

٧٨١هـ، وفي عام ٧٩١هـ جرت مذبحة غربي حلب قتل فيها الكثير من شيوخ العلويين في (رأس ماسين). وفي ١٩ رمضان ٧٨٤هـ انتهى الأتابكي برقوق حكم آل قلاوون وأقام دولة المماليك الجراكسة، وصار أول سلاطينها، وبعد سبع سنوات من حكمه أوقع بالعلويين في رأس ماسين كما قدّمنا.

وفي عام ٨٠١هـ تولى الملك بعده ولده الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج، وأثناء حكمه وصل السلطان المغولي تيمورلنك إلى بلاد الشام واستولى على حلب وحماة وحمص ودمشق وقد ارتكب في دمشق فظائع تقشعر لها الأبدان، وقد نعت هذا الطاغية بأنه شيعي، وهذا كذبٌ محض لأن الطغاة جبارون يتلذذون بسفح الدماء وارتكاب الجرائم والمعاصي والشيعية يتبرؤون من كل معتد أثيم جبار لا يسجد للواحد القهار تيمورلنك كان مستبدًا طاغية يفرق بين أبناء الشعب الواحد ويضرب بعضه ببعض ليهل له احتلال البلاد بلا مقاومة؛ وقد ضرب أولاد السلطان العثماني بايزيد ببعضهم بعضاً فقتل محمد بايزيد أخوه عيسى وموسى، وتفرد بالحكم بمساعي تيمورلنك وتديره.

وبعد رحيل الطاغية من بلاد الشام أقدم سلطان المماليك (جقمق) عام ٨٥٣هـ على الإيقاع بالعلويين. إذ في عهده انتشر الظلم والقهر والقتل وتعرّضت الرعية بكل فئاتها لظلمه وعسفه، وقاطع التجار الأجانب الموانئ الشامية.

ويصف مؤرخ علوي هذا السلطان ومعاونيه بأنهم كانوا شديدي الجور فيقول: «إن الظلم كثير على الطائفة العلوية في السواحل البحرية بمعاملة اللاذقية وجبله وهرب كثير من الناس إلى مملكة حلب».<sup>(١٣١)</sup>

وكان الطبيعة تضافرت في ظلّهما مع ظلم الحكّام فارتجفت الأرض، وصارت زلازل في ذلك العام ووقع في قلوب الناس الخوف والرعب، ودمّرت البيوت والأقبية، واقتلعت الأشجار، ثم أعقب ذلك مطر غزير وحدثت سيول، فتناقصت الغلات والمحاصيل، وعاش الناس في ضنك وقهر ويؤس حال.

واستمرّ الظلم والاضطهاد حتى عام ٨٥٥هـ فرحل الشيخ حسن الأجرود العاني (عالم علوي) إلى القاهرة، واستطاع مقابلة السلطان جقمق فأعجب به السلطان وأبطل المظالم والاضطهاد عن العلويين وأرسل معه كتاباً خاصاً إلى حاكم اللاذقية يطلب إليه رفع كل ما تقدّم بحق العلويين من تعليمات أدّت إلى عذابهم وقتلهم وتشريدتهم.

غير أن حاكم اللاذقية هذا أمسك بالعالم وسجنه وغرّمه مبلغاً كبيراً من المال فتقدّم أحد رؤساء العلويين المقدم علم الدين سلمان ودفع عنه المال المطلوب فأطلق سراحه .

وحدث قبل نهاية القرن بقليل وفي عام ٧٨٨ هـ وباء عظيم فتك بالناس فتكاً وبيلاً فحصد منهم عشرات الآلاف ، وأعقب ذلك غلاءً فاحشاً في أسعار المواد الغذائية وتحفظ لنا وثيقة مقدار الثمن الباهظ لهذه المواد :

**القمح :** بلغ شنبل الجبلاوي ٣٠٠ درهماً وشنبل البحري ١٥٠ درهماً .

**الشعير :** ٧٠ درهماً ، والذرة ٢٠٠ درهم .

**مكّوك القمح** بلغ ٤٨٠٠ درهم .

**رطل القطن** ١٦٠ درهماً ، و**رطل الزيت** ١٠٠ درهم . (١٣١ مكرر)

ويرى الشيخ العلامة عبد الرحمن الخير أن بدء جمود العلويين كان في النصف الأول من القرن الثامن للهجرة حيث تكاد أعمال المؤلفين العلويين تقتصر في كتبهم في ذلك الحين وما يليه على إعادة وتكرار ما كتبه سابقوهم من العلماء دون أن يضبطوا شيئاً يذكر لا من قبيل التوضيح ولا من قبيل حسن النبوي وسهولة المأخذ وهذا يدل على قلة الاطلاع على شتى فروع العلوم وأنواعها . (١٣٢ مكرر)

### **شخصيات وعلماء من القرن الثامن الهجري**

١- **السلطان عماد الدين الحموي :** أبو الفداء ملك حماة ، صاحب كتاب (المختصر في تاريخ البشر) وهو من ملوك بني أيوب ، وقد عزل المماليك كل ملوك بني أيوب عن الحكم وتركوه ، وقد كان في بداية أمره يبغض العلويين ولكنه تحوّل بعد ذلك إلى مذهبهم بتأثير وزيره .

وبين أيدي العلويين كتاب (تقويم الدهور) مسجل في مقدمته : كُتِبَ فلان لخزنة السلطان عماد الدين الحموي ، والكاتب أحد شيوخ العلويين ومن قوله : كتاب جدول الحساب ينبي عن معرفة السنين والشهور والأيام والأحقاب والدهور ، وهو مما كتب برسم سيدنا ومولانا وقدوتنا وحيد عصره وفريد دهره ، سيف الله المسلول ، وسماطه المبذول ، الصادق بما يقول ، الليث الهمام ، والأسد الضرغام ، الموصوف بالحروب ، ومفرّج الكرب ، أبو الفقراء

والمساكين ، سلطان البرين وخاقان البحرين ، عماد الدين والدنيا ، أبو الفتح إسماعيل سلطان مدينة حماة نصر الله به الأمة المحمدية ٦٩٥هـ .

ولد عام ٦٧٠هـ ، وتوفي ٧٣٢هـ (١٣٥) .

وأرخ علوي آخر لبناء جامع السلطان عماد الدين فقال : جامع السلطان عماد الدين أمر بعمارته بأيامه ، (ودقت) فيه النوبة السلطانية سنة ٧٢٧هـ ، وهو عماد الدين بن إسماعيل بن الملك الأفضل بن شاهن شاه بن أيوب .

٢ - الشيخ ابن شبل عيسى الواعظ الشاعر الرقدي : عالم علامة ، له كتاب الوعظ للمتعمق ويشتمل على عشرين موعظة شعراً بمعانٍ تقرب من عقول العامة .

وختمه بذكر الأئمة الأطهار ، وكان عدواً للمرأة بسبب ابتلائه بامرأة كانت تنقص عليه عيشه ، ولذلك كان يسافر كثيراً ، واشتهر بكره النساء فنزل مرة عند أحد الوجهاء ونام عنده ، وفي الليل اندست بفراشه امرأة خبيثة وهمست : إن لم تكف عن ذكر النساء بسوء بعهد تقطعه لي لأصرخن ولألحقن بك العار ، فعامدها ، وانقطع عن هجاء النساء وذكرهن بسوء . من أقواله فيهن : لا ضرأ ضر من الجهل ، ولا شرأ شر من النساء . والفارس من لم تصده النساء . وله قصيدة تاريخية يشرح فيها مجيء تيمورلنك إلى بلاد الشام ويذكر فظائمه وفتكه بالسكان ، وتدمير المدن ولا تنزعج من شعره العامي الذي يدل على اندحار العلم ، وتفشي الجهل ، واندراس النظم بالفصحى :

فقلبت يا صاح اسمع ما أقوء به	وما تم لنا في عصرنا وجري
من فتنة قد جرت للخلق ضائرة	تكاد منها قلوب الناييس تنفطرا
فحاركتي وطاش العقل بعدهم	من كثرة الهول إلا مجمل القنرا
جاءت عساكر شبه الليل مظلمة	في ليلة ما بها شمس ولا قمرا
من سمرقند أتاانا الجيش منسحباً	شبه الغيوم إذا ما زقها المطرا
من تيمورلنك الذي جلب الجيوش لنا	لملك مصر فما خلى لهم أثرا
فكم قتيل أتااه السيف جندله	والدم يجري كسبه المزن والمطرا
وخربت حلب الشهباء وزيتها	وهدموا ما بني بالكلس والحجرا

وأَسْرُوا أَهْلَهَا لَمْ يَتْرَكُوا أَحَدًا      وَأَصْبَحُوا عَنْدهُمْ بِالْقَيْدِ وَالْأَسْرِ  
وَعَلَقُوا النُّقَبَ بِالْقَلَمَةِ وَاجْتَهَدُوا      ثَمَانِمِائَةَ أَلْفٍ هَكَذَا ذَكَرَا  
سَبَّوْا الْحَرِيمَ وَالْأَطْفَالَ أَجْمَعَهَا      نَادَوْا الْأَمَانَ لَكُمْ بِالْمَحْنِ وَالشُّغْرَا  
أَمَّا حِمَاةُ وَبِلَدِ الشَّامِ أَجْمَعَهَا      أَضْحَى خِرَابًا وَمِنَ الْأَهْلِ مَنْدَثَرَا  
ثُمَّ الْمَنَاصِفُ مَعَ بَعْرِينَ يَا أَسْفَى      أَمَسَتْ دِيَارَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ دَمَرَا  
كَذَاكَ حِمَصٌ وَعَكَّارٌ لَهَا تَبَعٌ      بِبِلَدِهِمْ قَدْ أَذِيقُوا الْوَيْلَ وَالْقَهْرَا  
أَمَّا دِمَشْقُ أَلَا يَا حَيْفَ زَيْتِنِهَا      مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَلْوَانِ قَدْ صَفَرَا  
لَا تَأْمَنُ الدَّهْرُ لَمْ تَبْلُغْ لَهُ أَوْرًا      مِنَ اللَّاذِقِيَةِ سِقَاهُ كَأَسَهُ مَرَرَا  
وَالْمَنَاصِفُ وَبَعْرِينَ وَعَكَّارٌ وَاللَّاذِقِيَةُ مَوَاطِنُ سَكْنَى الْعُلُوِّينَ . تَعَرَّضْتُ لِلْقَتْلِ وَالذَّبْحِ  
وَالْتَدْمِيرِ ، ثُمَّ يَقُولُونَ لَنَا : تَيْمُورْلُوكُ شَيْعِيٌّ . خَافُوا اللَّهَ يَا نَاسَ . <sup>(١٣٦)</sup>

٣- الشيخ أحمد المخلص العبدى الشاعر: عالم علامة، ثقة عصره، يعود نسبه إلى الخزرج، ممدح من علماء عصره في عانة وبعرين وقرى الجبل.

٤- جلال الدين الصوفي الفيلسوف البغدادي ٦٩٢-٧٥٧هـ، مسقط رأسه بغداد، ونشأ بها، وبرع في الفلسفة، وكان مترجماً عن اليونانية وغيرها.

٥- الشيخ منصور الغراييلي: ٧٣٦-٧٨٩هـ، يرجح أن أصله كردي حسب قول الشيخ عبد اللطيف سعود، وهو رحالة، وله ديوان منظوم على بحر الرجز. ضريحه في قرية حدائق في حمص يزار.

من مستدرك خير الصنيعة: الشيخ منصور الغراييلي ٧٣٦-٧٨٩هـ، عربي كنانى تنوخي، كان يلقب بالمعلم وهو أستاذ الشيخ أحمد المخلص كان غارقاً في بحار العلم رضي بحكمه جميع الناس لا يفحمه أحد من المخلوقين.

أشار أحمد المخلص لكلمة كردي وعربي كرمزين لهالت والجنان كاستاذين عظيمين للطريقة الخصيبية الصوفية. ويورد الغراييلي شعراً يردّه على من أضل فيه:

ولا يغير في بعد المزار ولا      مقال واشٍ ولاح كان مهزول

٦- سيف الدين عبد المؤمن العاني : عالم علامة ، شجاع ، محنك ، جواد ، فيلسوف ، عالم بالحكمة الطبيعية . كان له شأن عظيم وسطوة ببلاده وعز ومنعة ، عاش في القرنين الثامن والتاسع .

٧- شمس الدين الحموي : الفيلسوف الكبير ، المحقق صاحب البديع والبيان والمنطق ، كان فيلسوف عصره ، وقريع دهره ، عالماً زرباً ، ثقة في التأليف ، خبيراً له مصنفات شتى في النظم والنثر .

٨- الشيخ علي الخياط البسطوري : علي بن موسى ، كنيته بانياسي وهو من قرية بسطوير القريبة من بانياس الساحل ، أمين ، عارف عفيف ، لطيف ، تقي ، ذكي ، له بفعال الجود شهرة .

وسبب تلقيه بالخياط أنه كان أجيراً يفلح للشيخ علي بن هدوان ؛ ومرة أولم الشيخ وليمة لأناس كثر فجاءه الشيخ علي وقال له : يا سيدي انكسر الشلف وهو بمقام السكة التي يحرقون بها . فقال الشيخ علي هدوان مازحاً : يا ولدي خيطه وافلح به . فأيقن الشيخ علي أن قوله جد ، فذهب وأخذ من ورق (الشنبوط ؛ وهو شجر ورقه كالخيطان ولكنه غليظ ، اخضر اللون وزهره أصفر) فخبط الشلف بذلك الورق وأخذ يحرق مدة طويلة ، فجاء إليه الشيخ هدوان ليعرف شأنه وقال له : يا ولدي ، لقد أخبرتني أن السكة انكسر شلفها ، فأين صنعتها ؟ فأجابه : يا سيدي ! أما قلت لي خيطها ؟ لقد خيطتها حسب أمرك فهي على حالها الآن .

فلما رآها الشيخ علي بن هدوان مخيطة بورق الشجر ، قال له : والله ، لا عدت تحرق لي أبداً ، وإذا لم تسامحني وتجعلني بحلٍ مما حرثت لي لأحرثن لك بمقدار ما حرثت لي يوماً بيوم ، وعد هذا الفعل من كراماته .

ومن ذرية ولده قاسم ؛ أهل بسطوير ، ومن ذرية ولده حسن ؛ الشيخ علي البيضا ابن الشيخ مرهج . ومن ذرية ولده أحمد : أهل بتعلوس .

عاش في القرنين الثامن والتاسع .<sup>(١٣٧)</sup>

ومن العلويين من يعتبر هذه القصة من الموروثات التي لعب الخيال فيها دوراً كبيراً .

## شخصيات وعلماء من القرن التاسع

١- الشيخ بدر الحويلي: من قرية الحويلي في قضاء جبلة في الجرد، كان شيخ العلماء في عصره مدحهم ومدحوه، شاعر عالم، يحتفظ آل الشيخ أحمد القلع بكتاب منسوخ بخطه يعود إلى ٨٥١هـ.

٢- الشيخ شهاب الرفدي: من قرية اسقبلا توفي ٨٩٨هـ، من شعره يذكر القرآن الكريم وعدد سورة وآياته وأحرفه ونقطه:

- فسور القرآن مائة سورة وأربع عشر سورة لمن علم.

- آياته ستة آلاف ومائتان وستة وثلاثون هم.

- كلامه سبعون ألفاً مع واحد وعشرين ألفاً يا من يحتكم.

- ومائتين ألف نقطة من غير خفضٍ ثم رفع وجزم.

وله يلمّ أهل زمانه:

فهذا زمان ليس بالعيش خيرةً      أرى الموت خيراً من حياة تكلفاً

فلا خير في هذا الزمان وأهله      ذئابٌ مما تلقى بهم قطٌ منصفاً

مشوا في بلاد الله بالجور واقتروا      وأكلوا تراث الناس بالزور والهنا<sup>(١٣٨)</sup>

ومن مشاهير أولياء وعلماء هذا القرن:

الشيخ سالم والشيخ صارم الرويس، والشيخ جبرائيل والشيخ محمد والشيخ علي الرويس، والشيخ سليمان الخريبة، وزاهر حمدان بقرحي، وقاسم بن علي الخياط، وعبد الحميد القرنبادي، وإبراهيم الدوير الصرامطة، وأحمد غزالة الحمصي من حمص.

## المراجع

- ١٢٧ - حاضر العالم الإسلامي ج ١ ص ٣٠٦ .
- ١٢٨ - تاريخ لبنان ص ٣٩٨ .
- ١٢٩ - المسلمون العلويون في لبنان ص ٣٠ .
- ١٣٠ - المسلمون العلويون في لبنان ص ٣٤ .
- ١٣١ - المسلمون العلويون في لبنان ص ٣٨ .
- ١٣٢ - النبأ اليقين عن العلويين ص ١٥٨ مع وجود بعض الاختلاف بين ط ١ وط ٢ .
- ١٣٣ - المسلمون العلويون في لبنان ص ١٤٩ .
- ١٣٤ - خير الصنيعة ج ٢ ص ٩٠٥ .
- ١٣٤ مكرر - خير الصنيعة ج ٢ ص ٩٠٨ .
- ١٣٤ مكرر - كتاب يقظة المسلمين العلويين في مطلع القرن العشرين للشيخ عبد الرحمن الخير ص ١٧ .
- ١٣٥ - خير الصنيعة ج ١ ص ٤٧٦ .
- ١٣٦ - خير الصنيعة ج ٢ ص ٦٦٠ .
- ١٣٧ - خير الصنيعة ج ٢ ص ٧٨٨ وما بعدها .
- ١٣٨ - خير الصنيعة ج ٢ ص ٨٨٠ - ٨٧٩ .



## الفصل الثالث عشر

### العلويون والعثمانيون

يوم ٢٠ جمادى الأولى عام ٨٥٧هـ الموافق ٢٩ أيار ١٤٥٣م، استولى السلطان العثماني السابع محمد الفاتح على مدينة القسطنطينية عاصمة دولة الروم البيزنطية، وقضى على هذه الدولة المسيحية واتخذ من القسطنطينية عاصمة لمملكة آل عثمان التي أسسها لهم جدّهم أرطغرل في نهاية القرن الرابع الهجري، وقد لقّب محمد هذا بالفاتح لأنه فتح القسطنطينية التي استعصى فتحها على العرب المسلمين منذ عام ٣٤هـ، وقد حاصروها إحدى عشرة مرة وعادوا خائبين بسبب تحصينها القويّ وأسوارها المنيعه، ولكن قبّض الله لمحمد الثاني فتحها، ثم تابع الفتوحات في أوروبا حتى وصل بلاد المجر، ولكن جيشه هزم فيها، وبعد موته عام ٨٨٦هـ / ١٤٨١م، انقسمت المملكة بين ولديه: بايزيد الثاني وأخيه الأمير (جم) ققاتل بايزيد (جم) وهزّمه، وفرّ (جم) إلى مصر ثم إلى رودس فاحتجزه رهبان القديس يوحنا الأورشليمي عندهم، وفي نهاية حكم بايزيد ثار أولاده عليه وطالبوا بالحكم لأنفسهم وهم ثلاثة:

(كركود وأحمد وسليم) وقد أجبر الانكشارية بايزيد على التنازل عن السلطنة لصالح ولده (سليم) فقبل، وأصبح سليم سلطاناً في ٨ صفر ٩١٨هـ ٢٥ نيسان ١٥١٢م، وكان أول عمل قام به هو قتل أخويه وأولاد إخوته ليخلص له الملك، فقتل خمسة من أولاد إخوته، ووزيره مصطفى باشا، ولما اطمأن إلى استقرار الأمور الداخلية أراد أن يحول الفتوحات من أوروبا إلى جيرانه الفرس والمماليك لينشر المذهب السني كما كان يدّعي (الواقع أنه كان يريد ضم أراضي جيرانه إليه بعد عجز العثمانيين عن الفتح في أوروبا)، ويقضي على المذهب الشيعي الذي كان ينشره الشاه إسماعيل الصفوي حاكم إيران، وكان الشاه إسماعيل قد ساعد أحمد شقيق سليم وقبل من التجأ من أولاده عنده، وكذلك أرسل وقدأ إلى مصر وطلب من حاكمها قانصوه الغوري عقد حلف بينهما لإيقاف توسّع الدولة العثمانية في بلادها فقبل الغوري طلبه وصار حليفاً له، فأدّى هذا إلى غضب سليم وقرّر محاربة الاثنين، ولكي يجد سبباً للحرب أمر بحصر عدد الشيعة المنتشرين في الولايات المتاخمة لبلاد العجم بطريقة سرية، ثم أمر بقتلهم جميعاً، فقتلوا، ويقال إن عددهم كان يبلغ أربعين ألفاً.<sup>(١٢٧)</sup>

وبعد ذلك سار بجيوشه لمحاربة الشاه إسماعيل الذي كان يترقب هذا الفعل فالتقى جيشاهما في مكان يدعى (جالديران) قرب تبريز عاصمة إيران آنذاك، وانتصر الجيش العثماني لأنه استخدم المدافع الحديثة، وهزم الشاه ففر نحو الحدود الروسية فطارده سليم، ولكن قواد الإنكشارية طلبوا منه الكفّ عن المطاردة بسبب البرد الشديد. وعندما عاد إلى القسطنطينية أمر بقتل عدد كبير من ضباط الإنكشارية وقتل قاضيههم، ثم أمر جيوشه بالتوجه نحو بلاد الشام، فاستولت على مدن ماردين وأورفة وديار بكر والموصل والرقّة واتجهت نحو حلب.

وراسله سلطان المماليك الغوري عارضاً عليه التوسط بينه وبين الشاه إسماعيل لإبرام الصلح بينهما، ولكن (سليماً) أهان السفير المملوكي وطرده فتأكد قانصوه أن (سليماً) يريد ضمّ بلاد الشام ومصر إلى ملكه فنهّد بجيشه لملاقاة الجيوش العثمانية فالتقاها قرب حلب في مكان يدعى (مرج دابق) وقد دارت الدائرة على قانصو الغوري وجيشه وكان النصر للعثمانيين يوم الأحد ٢٥ رجب ٩٢٢هـ / ٢٤ آب ١٥١٦م.

وحدث نصر العثمانيين بسبب استخدامهم المدافع والبنادق التي رفض قانصوه وجيشه استخدامها باعتبار أنها من أدوات الغدر وليست مقياساً للشجاعة. فالشجاعة بمفهومهم هي الانتصار على العدو بالسيف والرمح والفرس. وهناك عامل آخر في الانتصار هو خيانة بعض القواد المماليك وانحيازهم إلى سليم من مثل: جانبرد الغزالي وخاير بك، ولما شاهد قانصوه انحيازهما بفئة من الجيش إلى العثمانيين تفجّر غيظاً وقهراً وسقط عن ظهر جواده، وبعد انتهاء المعركة فتشوا عنه فلم يجدوا له أثراً.

تابع سليم زحفه واستولى على حماة وحمص ودمشق، ثم يممّ شطر مصر، والتقى الجيش المملوكي بقيادة طومان باي آخر سلطان للمماليك قرب القاهرة في ٢٩ ذي الحجة ٩٢٢هـ / ٢٢ ك ١٥١٧م، وهزم المماليك وقضى على دولتهم وأصبحت مصر وبلاد الشام تابعة للسلطنة العثمانية.

وبعد أن قضى سليم على المماليك التفت إلى سكان بلاد الشام ليعاقب الشيعة الذين ساهموا بالحرب إلى جانب قانصوه فأوعز إلى أحد الشيوخ السنة بأن يصدر فتوى بقتل العلويين، فأفتى ذلك الشيخ بهدر دمانهم (إنه الشيخ نوح الحنفي، كابن تيمية جديد)!!.

**ويا هول ما جرى للعلويين آنذاك!!! اقرأ وتصور:**

**والنقل من كتاب النبا اليقين. قال المؤلف:**

«فكانت موقعة مرج دابق التي انتهت بدحر المماليك وانتصار العثمانيين وإمعان سليم في نفوس العلويين ودورهم قتلاً وتخريباً.

لقد انصبّ عليهم انصباب السيل المتدافع، وانقضّ عليهم انقضاض الصواعق المحرقة، فأخذهم أخذاً ويلاً وقتك بهم فتكاً ذريعاً، ولم تهدأ نفسه الثائرة، وتستقر أعصابه المتوترة حتى ظنّ وظنّت بطانته الفاسدة أن تلك الفرقة انقرضت أو كادت فأغمد سيفه الأثيم، وهو ينظر إلى تلك الدماء تقطر منه فتأخذه العزة بالإثم، وقد أباد بتلك الفتوى الجائرة من مؤمني حلب أربعين ألفاً أو يزيدون، وانهب أموالهم، وأخرج الباقون من ديارهم».<sup>(١١٠)</sup>

**وهذا يفسر إقصار حلب والرقّة من العلويين...**

**وينقل الأستاذ أديب علي محمد سلمان وصفاً مكملًا فيقول:**

«جاءت الطامة الكبرى للعلويين بمجيء الأتراك الذين قتلوهم زرافات ووحدانا في أيام سليم حتى إنه أقسم أن يدير طاحوناً بدمائهم فقتل منهم صبراً في يوم واحد ستين ألفاً من ذوي اللحى غير النساء والأولاد، وتتابع خلفاؤه على ذلك».<sup>(١١١)</sup>

والمعروف عن سليم هذا أنه كان سفّاحاً للدماء (كان من المفروض أن يطلق عليه المؤرخون لقب أبو العباس السفّاح الثاني لكثرة ما سفك من دماء العلويين والشيعه) فهو لم يتورّع عن قتل أخويه وأولاد إخوته خنقاً وقتل من أهل بيت السلطنة سبعة عشر شخصاً وسبعة من وزرائه لأسباب واهية، وكان كل وزير مهدد بالقتل لأقل هفوة حتى صار يدعى على من يراد موته بأن يصبح وزيراً له.<sup>(١١٢)</sup>

**ولقتله أفراد أسرته دعي بلباوز) أي: القاطع، قاطع الرحم والقرابة!!!**

ومن جرّاء هذه المجازر الرهيبة المرتكبة ضد العلويين هرب من بقي منهم إلى الجبال وتركوا المدن والبقاع الداخلية وأخلبت منهم الرقة وحلب التي لم يبق فيها إلا القليل القليل.

ومن رغب في حلب البقاء اعتنق المذهب السنيّ وغير كنيته ولقبه. وعاش العلويون ظروفاً قاسية سيئة، وصار الواحد منهم يقتل على الشبهة، ففرّوا بأنفسهم إلى جبال الساحل

ولكنهم تعرّضوا للفتك بهم قبل الوصول ، وسلبوا أموالهم ، وهتكت أعراضهم ، واغتصبت نساؤهم وبناتهم ، وما أكثر من مات منهم بعد هذه المسيرة الطويلة الشاقة المحقوفة بالموت والفناء ، ومن وصل سالماً إلى الجبال ، حلّ بها وهو شبه عارٍ أو حافٍ ، يجرّ غزراً أو شاةً ، أو يحمل صرةً فيها بقية ثياب ، أو بلغة عيش .

وتلقّى الأخوة أخوتهم ، وفتحوا قلوبهم وبيوتهم وقاسموهم أراضيهم وأحراجهم ، وحين لم تكف سكنا في بطون الجبال متخذين المغاور والكهوف بيوتاً تأويهم وتحميهم من القهر والحرّ وفتك الوحوش والعثمانيين .

ولم يكف سليم بما فعله ، بل رغب بعزل العلويين المستقرّين في الجبال عن بقية سكان بلاد الشام ، فقام بترحيل مليون تركي من داخل الدولة العثمانية وأسكنهم في السهول المحيطة بجبال العلويين من جبال طوروس إلى جبال عكار ، وجعلهم حاجزاً بين جبال العلويين والأتراك وسكان سورية ، وتكاثر هذا العدد بعد ذلك وأصبح يتجاوز الملايين الثلاثة بعد قدوم الأرمن وغيرهم ، وليعزل العلويين عن طرابلس وحمص وحماة وحلب قام بإسكان التركمان والأكراد في مناطق الأرياف القريبة من هذه المدن فصاروا حاجزاً بشرياً .

ونلاحظ ذلك في ريف حمص وحماة الواقع بين الجبال وبين هاتين المدينتين ، فالتركمان يسكنون قرى مستقلة بهم أو يختلطون اليوم مع العلويين ، ونذكر من هذه القرى على سبيل المثال لا الحصر قرى : الزارة والحصن في منطقة تلكلخ ، وخربة السودا وقرحل وسنسل في محافظة حمص وعاشق عمر وعقرب وبعرين في محافظة حماة .

وننقل عن تاريخ حمص ص ٢٨٨ :

«ومن الأنباء الموروثة التي يتناقلها الحمصيون أن باب التركمان الذي دخل منه السلطان سليم إلى حمص أغلقته الحكومة بالحجارة منذئذ احتراماً للسلطان المذكور ، وبقي هذا الباب مغلقاً حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ويُعرف الآن بالباب المسدود ، ولما رأى السلطان سليم أن العنصر العربي والمذهب الشيعي قوّيان في حمص ، استقدم عدة عشائر تركية الجنس سنّة المذهب وأسكنها في الجهة الغربية من المدينة قرب قلعتها لكي يأمن بها عوادي الفتن القومية والتحزبات المذهبية على أن هذه العشائر تعرّبت بعد زمن غير طويل » .

وبعد زمن من هذه الإجراءات ونتيجة لضعف الدولة العثمانية وتراخي الحكام بقبضهم الرشاوى ، انحدر العلويون من الجبال إلى المناطق والمدن التي كانوا يسكنون بها قبل الفتك بهم .

وهناك عامل مهم أدى إلى هذا التراخي وهو عامل اقتصادي إذ أقفرت الأرض من العاملين فيها، وكان لا بد من أيد عاملة تعيش بحسب إرادة الإقطاعي المالك لعدد من القرى والمزارع، ولذلك تراخى هذا الإقطاعي وسمح للعلويين بالعمل في أراضيه نظير بيت بأويهم، ولم يكن له الحق بالمعارضة والاعتراض على أي أمر يأمربه الإقطاعي، فهو معرض للسخرة والعمل الشاق في بيت الإقطاعي، ولهذا الإقطاعي الحق في تهجير من بيته وأرضه في أي وقت يعنّ له ذلك. ولذلك نلاحظ كثرة القرى التي كانت مسكونة بعلويين لا يملكون من أراضيتها شبراً واحداً.

وقد تكاثرت نزوح العلويين إلى ريف حمص وحماة الشرقي أيام حكم إبراهيم باشا المصري نتيجة للتسامح الديني الذي أظهره.

وبعد القضاء على حكم المصريين وترحيلهم عن بلاد الشام عام ١٨٤٠م، وعودة البلاد إلى حكم العثمانيين، قاموا بوضع سد بشري جديد بين الريف الشرقي لحمص وحماة يتمثل بالبدو والجركس (هذا ما أخبرني به السيد خالد الزهراوي وهو بذلك عليم).

بعد موت السلطان سليم صار ولده سليمان الملقب بالقانوني سلطاناً، وقد قام بوضع تنظيمات إدارية لحكم إمبراطوريته الواسعة، واختار لحكم الطوائف زعماء منها.

ونرى في هذا العصر عودة ذكر المقدّمين العلويين مع تعاظم دور رجال الدين، ومع ذلك يبقى ظلم الولاة المستقرّين في المدن الكبيرة لمراقبة العلويين وحكّامهم والتدخل في أمورهم بين حين وآخر. وقد وجدت الخبر التالي في تاريخ الشيخ علي بن صارم من قرية (الدرّيب) ما مفاده: أنه في عام ١٢٩٧هـ / ١٥٦٢م تتابع الجذب والقحط والفلاء مقدار اثنتين وعشرين سنة وحدث سبي، وقتل وأحكام جائرة، وقد خصّ حماة وجهاتها الشرقية والجنوبية والغربية بالذكر (وما أصاب حماة في بلادها من المحل وشيزر وسلمية (والعلاء وجهاتها) وحبست الأمطار وبيس العشب مقدار كانون وكانون وشباط وأذار ونيسان، وشلح البذار ولم ينبت، وأخبر عن شكوى النساء وبكائهن وبيع أطفالهن<sup>(١١٣)</sup>.

الظلم التركي كان رهيباً، وكان باستطاعة أي فرد تركي أن يعرف دقّة تسديد بندقيته الجديدة بالتسديد على أجساد العلويين وإطلاق النار على أي فرد يختاره.

وكان لحصر العلويين في الجبال آثار اقتصادية فقد انصرفوا إلى زراعة الأشجار المثمرة والحراجية فتشكّلت غابات كثيفة كانوا يهربون إليها وقت الخوف وشن الغارات عليهم من

السلطة الحاكمة ، واهتموا بتربية الماشية كالأغنام والماعز والأبقار ، وسنّ لهم رجال الدين تشريعات تناسب عزلتهم فحرّموا ذبح إناث الأغنام والماعز والأبقار بسبب الحاجة إليها في التوالد والتكاثر ، ولذلك امتنعوا عن أكل لحومها طوال مدة الحكم التركي لحاجتهم الاقتصادية إليها ، وقد عاد معظمهم اليوم إلى أكل لحومها بسبب زوال المانع الاقتصادي .

وبسبب انعزالهم أيضاً حرّموا من العلم والأطلاع على المعارف والعلوم فتشوّ فيهم الجهل والخرافات والأساطير ؛ وهذا الأمر شاركهم فيه الشعب العربي كله في كل البلاد العربية التي احتلّها العثمانيون ، ولم يكونوا وحدهم فيه ؛ ففي الوقت الذي كانت فيه أوروبا تنهض من غفوتها وتأخذ بأسباب العلوم والمعارف فتحتسّن الأراضي الزراعية وتنشأ المعامل وتكتشف القارات والمحيطات والبحار وتتاجر مع سكان المعمورة ، كان السلاطين العثمانيون منغمسين في اللهو والملذات محتجبين عن رعاياهم ، تاركين تصريف الأمور للوزراء والولاة وقواد الجيش الذين كان دأبهم فرض الضرائب الباهظة على السكان ونهب أقاتهم وأرزاقهم والاعتداء على نسائهم وأولادهم حتى خيف على النساء الشريفات العفيفات الجميلات والأولاد الصغار من الاعتداء فمنعوا من الخروج إلى الأسواق .

وعندما يحلّ المساء كانت الأسواق تغلق ويأوي كل فرد إلى بيته فتقفّر الشوارع من المارة إلا من أهل الفساد الذين يسرحون ويمرحون ويرتكبون الموبقات . فكثرت المومسات (الشلكات) ، وكثر اللوطيون أيضاً ، وانتشرت عادات سيئة وقييحة في المجتمعات ، وساد التعصّب ، ومنعت الفئات المخالفة من إقامة شعائر عبادتها علناً وتعرّض المسيحيون للإذلال ، وحصر الشيعة بكافة فئاتهم في مكان معيّن يدعى حارة (الروافض) ، وأهمّل الحكام الأراضي الزراعية فلم يصلحوها ولم يهتموا بقنوات الري فتدهورت المحاصيل وقلّت المنتجات فارتفعت الأسعار وعمّ الغلاء ، واحتكر التجار وأصحاب الدكاكين المواد الغذائية فتضوّر الفقراء جوعاً ، فلا تستغرب أن باعوا أطفالهم ليعيشوا . .

وكان الشعب بين أن وأن يعتدي على علماء الدين والأعيان ويتهمهم بأنهم أصبحوا أدوات في أيدي الحكام يساعدونهم على الجور والظلم ، ونقتطف من كتاب (حوادث دمشق اليومية) المعلومات الآتية :

١- وصف الحكام : وفي عاشر ذي القعدة ١١٥٥ هـ ، دخل مصطفى باشا متولي طرابلس نهار الاثنين إلى دمشق ؛ عينته الدولة (سرداراً) على الجردة ، والمذكور كان سفاكاً للدماء ،

ظلوماً غشوماً، أهرق دماء كثيرة حينما كان بطرابلس، وكان غالب قتله (بالكلاب) و(الشكل)، يترك الرجل حتى يموت جوعاً وعطشاً فهرب غالب أهل طرابلس من ظلمه وتفرقوا في البلاد، وأرسل أعوانه في طلب الهاربين، فالذي قبضوا عليه كان من الهالكين. ص ٣٢.

**وننقل عن تاريخ حمص:** فاق ظلم الحكام على شدة الزعماء وكان الحاكم في حمص يثور لأدنى الأسباب فإذا بدرت من أحد المواطنين بادرة مهما كانت تافهة بادر وأمر برفعه على الخازوق، وإذا غضب على امرأة وضعها في كيس من خيش وغمرها بالكلس ثم يربط فم الكيس ويلقيها في نهر العاصي لتحترق وهي حية في الماء، وكان إذا سمع برجل عنده مال سرعان ما يستقدمه إليه ويجبره على تقديم كمية من المال قد تكون كل ما عنده أو أكثر ممّا لديه. ص ٣٠٩.

**٢ - شدة الغلاء:** سنة ١١٥٦ هـ، وهل هذا العام الجديد ورطل الخبز في الشام بأربع مصاري وبخسة، ورطل الأرز بشمانية مصاري ولا توجد مع أنه كان من نحو شهر كل رطل وثمانية أواق بقرش، ولكن الخزان ما أبقى للفقراء قمصان، وأوقية العسل بخسة مصاري، ورطل لحم الضأن بثلاثة مصرية، ورطل لحم الجاموس ولحم البقر بعشرين مصرية، ورطل الثوم باثنتي عشرة مصرية، وأوقية الزيت بمصريتين وقطعة. وهذا الغلاء ما سمعنا بمثله أبداً، وطال المطال والناس منتظرة للفرج من الملك المتعال. ص ٣٥ (الكلام مكتوب بالعامية لأن مؤلفه كان حلاقاً).

وفي يوم السبت الثامن والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة قامت العامة وهجمت على المحكمة وطردها القاضي، ونهبوا الأفران وسبب ذلك كثرة الغلاء والازدحام على الأفران. ص ٤١.

**٣ - غنى الحكّام:** عمل فتحي أفندي الدفترى فرحاً عظيماً بهذا الشهر أعني به (ربيع الأول) زوج ابنته لابن أخيه وكان فرحاً عظيماً ما عمل بدمشق نظيره ولا بلغ أحد أنه عمل مثله، وكان سبعة أيام خصّه بجماعة: فالיום الأول خصّه بحضرة والي الشام سليمان باشا العظيم، واليوم الثاني إلى الموالي والأمراء، واليوم الثالث إلى المشايخ والعلماء، واليوم الرابع للتجار والمستبشرين، واليوم الخامس إلى النصارى واليهود، واليوم السادس للفلاحين، واليوم السابع إلى المغانى والمومسات، وهم بنات الخطا والهوى، وقد تكرّم عليهم كرمّاً زائداً ويعطيهم الذهب والفضة بلا حساب. ص ٣٩.

٤ - فساد الأخلاق: جاء أهل الميدان بطبول وأعلام وصريخ وقصدوا جامع المصلى بالدعاء برفع الجراد وهلاكه ويقولون: يا من له المراد في كل ما أراد بالمصطفى الحبيب فرّج عن البلاد فلم يند ذلك. وكيف يفيد ذلك وأكثر النساء قد باحت، وبنات الهوى وهم الخاطئات دائرات ليلاً ونهاراً في الأزقة والأسواق ومعهم الدالاتية والفساق ولا أحد يتكلم بقيل وقال، ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر، والصالح في همّ وكرب، والفاجر الطّالّح متقلّب في لذيذ النعيم. اللهم فرّج. آمين. ص ٩٢-٩٣.

٥ - حراب القرى: سنة ١١٦١ هـ ثم دخلت سنة ١١٦١ هـ وقد خربت القرى من جور الدالاتية، ومن أعمالهم التي هي غير مرضية. ص ١٠٦.

٦ - التهجم على الأعيان: جاءت الأفندية والأعيان للسرايا لأجل السلام على الباشا فوقفت الناس والعامّة في طريقهم فلما مروا عليهم ليدخلوا السرايا قامت العامّة بالصراخ والضجيج، وصاحوا عليهم وقالوا: ارجعوا لا يارك الله فيكم، أنتم منافقون، وتعيّنون الحكّام على ظلم الفقراء والمساكين. وأكثروا من سيّهم وشتهم ورجموهم بالأحجار وصارت حالة مزعجة. ص ١٩٧.

٧ - الاعتلاء على النساء والأولاد: وتنقل من كتاب (الشرق الإسلامي في العصر الحديث) ما يأتي: «ولم يكن لحدث أو لامرأة شابة جميلة المرور أمام القهاوي التي يجتمع فيها العسكر خيفة أن يضحوا فريسة لأولئك الجهال». ص ٢٦٦ نقلاً عن حسر اللثام عن نكبات الشام ص ٣٣.

٨ - الجمود والجهل وخمود العلم: حتى القول إن قيام الدولة العثمانية كان بقطة للعالم الإسلامي لا يخلو من خطأ: إذ استمر الركود بل استحالة خموداً وازدادت الهمم هبوطاً والعقول جهلاً، وتضاءلت في نواحي الدولة بوارق النهوض الأدبي أو الفني التي كانت تنبئ بالخير في بعض نواحي مصر والشام فسكن كل شيء وركد في ظل هذه الوحدة الظاهرة التي عرفت بالدولة العثمانية. ص ٣٢.

٩ - سيادة العثمانيين شرّاً على العالم الإسلامي: كانت سيادة العثمانيين شرّاً على العالم الإسلامي فبدأ يضمحل من الناحية المعنوية حتى أصبح وقطعان الماشية قريباً من قريب يؤدي للراعي ما عساه يريد منه وإذا كانت هذه هي كلّ مهمته في الحياة فلم تعد به حاجة



للتفكير أو العلم فبدأ يطنى عليه الجهل والجمود حتى أصبحا ظلمات بعضها فوق بعض ، وما هي إلا سنون حتى بدأ النوم يداعب أجفان الراعي ، ومال به غناه إلى الترف والراحة فَوَكَّلَ لِلْإِنْكَشَارَةِ أمر الرعية وأقبل على النوم فاستولى عليه سبات عميق . ص ٣٣

١٠ - وضع النصارى في بلاد الشام : كان النصراني لا يملك أن يساوي نفسه بالمسلمين فيما يلبسون أو يركبون أو يفعلون ، ولم يكن ليحسر على المسير عن طريق المسلم حتى لقد كان يقابله في الطريق فلا يلبث أن يتياسر في طريقه أدباً واحتراماً . ص ٢٦٤

١١ - الطوائف في بلاد الشام : كان تاريخ الشام قد فرض عليها أن تكون متحفاً لكل غريب طريف من الأديان والمذاهب ، فهذه البلاد التي لا يزيد عدد سكانها على بضعة ملايين تضم كل ألوان الأديان بمذاهبها المختلفة وتنفرد بطائفة لا تحصى من المذاهب الخاصة بها : كطوائف الموارنة والدروز والسامرة ، والنصيرية . ص ٢٦٥

هذه هي الأوضاع التي كانت سائدة في الدولة العثمانية : مجتمعات متعادية ينخر فيها الفساد والجهل ، تعنى لبعضها الفناء والإبادة ، وكلما جاء جيل رضع من الجيل الذي قبله الكره والعداء والتباعد .

ونورد شاهداً للشيخ عبد الرحمن الخيّر يتحدث فيه عن فقر العلويين وجهلهم أثناء حكم العثمانيين « وفقر الأكثرية من المسلمين العلويين مثل فقر الأكثرية من أمثالهم المسلمين السنيين في الأرياف إنما هو حاصل من أسباب كثيرة أهمها تتابع الاعتداءات عليهم خلال مراحل التاريخ وخاصة في الحكم العثماني من قتل ونهب وسلب وتشريد فأصبح الراسخ لديهم بتأثير ذلك أن لا فائدة من امتلاك الأراضي وكسب الأموال وتشديد الأبنية وجمع الكتب ما دام كل ذلك عرضة للتدمير والسلب وطعمة للنيران والأوياش ، وساعد على هذه الفكرة تفشي الجهل بينهم بسبب عدم استقرارهم اجتماعياً وبسبب العزلة التي فرضها عليهم حصارهم في جبالهم التي لم يسلم لهم فيها من موارد الرزق إلا رعي المواشي .

وقرب من هذا حال أكثر سكان الأرياف في البلاد التي حكمها العثمانيون ومن الأهم وورثهم من الإقطاعيين الظالمين الذين كان همهم الاستئثار بجهد الطبقة العاملة واغتصاب ثمرات أعمالها وتركها تعيش في الفقر والحرمان والهوان كيلا تقوى فتطالب بحقوقها في الحياة العزيزة » . (١٤٣) (مكرر)

وكان للعزلة تأثير واسع على عقول العلويين وتفكيرهم ، وطرق حياتهم ، فقد استدعى أمر حصرهم في المنطقة الساحلية والجبال إلى ضرورة وضع حكّام منهم يسوسونهم ويؤمنون للدولة الضرائب والسخرة والهدوء والاستقرار في أماكن حكمهم ، وبخاصة بعد سنّ قوانين جديدة أصدرها السلطان سليمان القانوني الذي نظم شؤون الدولة والأقليات المسيحية بقوانين ارتاحت لها الدولة الأوربية وباركتها بشكل أكبر فرنسا التي صارت بموجب قانون حماية الأقليات في الدول العثمانية صاحبة الحق في حماية المسيحيين وبخاصة الموارنة والكاثوليك .

وفي هذا المجال نلاحظ عودة ذكر المقلّمين في حكم العلويين والدفاع عنهم ، مع انقسام العلويين إلى عشائر مختلفة (القرن العاشر) ولكل عشيرة رئيس أو أكثر يسانده رجال الدين من العشيرة نفسها . ونظراً للمرحلة الصعبة آنذاك يدافع الشيخ محمود الصالح مؤلف كتاب (النبا اليقين عن العلويين) عن الفكرة ولكنه يشجب ويستنكر الطريقة التي كانت تحكم بها هذه العشائر فيقول : «إن العلويين وهم عرب أقحاح وبحكم انهم من قبائل متفرقة ومن بيئات مختلفة فقد ألجأهم واقع حالهم إلى التقيد بعبادات العشائر العربية والسّير على النهج القبائلي المتّبع فألقوا مقاليد أمورهم إلى رؤساء يصرفون شؤونهم ، وينظمون إدارة أحوالهم . أمروهم عليهم وأولوهم حلّ مشاكلهم وإصلاح ذات بينهم وذلك ما لا بدّ منه في تلك الحقبة العصيبة من تاريخهم والمرحلة الشاقة من أدوار حياتهم .

لقد تولّى أمرهم كل من لا يهمه أمرهم ، قادة حملوهم على أجنحة أهوائهم عبر مراحل حياتهم وألقوهم في أناي المهالك والمتاهات ، وأعمق أودية المخاطر في وقت كانوا أحوج ما يكونون إلى الإخاء والتضامن ونبد الفوارق أخذ أولئك الرؤساء يناوئ بعضهم بعضاً ويعمل كل منهم بما يراه من مصلحته ، ويحكّم هواه في عقله ، ويسير ويسير قومه وراء نزعاته ورغائبه ويبت فيهم روح التخاصم والكراهية لإخوانهم أبناء العشائر الأخرى ضارباً بصالح الشعب ومصلحته عرض الجدار غير آبه لما تؤول إليه الجماعة ، ولا متفكّر بمصير شعب قائم بتصرف أمورهم ومسؤول أقام العدالة الإلهية والأنظمة الاجتماعية عن إدارة شؤونهم ورعاية حقوقه وتوجيهه إلى ما فيه خيره وصلاحه ، إلى أن كان من جرّاء ذلك التوجيه الفاسد أن أخذ العلويون يغزون بعضهم بعضاً ، ويسلب بعضهم أموال بعض وكثر بينهم النهب وعمّت الفتنة» .<sup>(١١)</sup>

كتب الشيخ محمود الصالح هذه الكلمات المضيئة المعبرة المستنيرة للعشائرية والتفرقة في منتصف هذا القرن ، ونحن على مشارف نهايته نذم وندين ونلعن كل من يدعو إلى التفرقة والاختلاف ، ونبارك كل فرد في هذا الوطن يحارب العشائرية والطائفية والتعصب والعصبية ، فنحن عرب نسعى لإقامة الدولة العربية الواحدة ، ولن نقوم هذه الدولة إلا بالتكاتف والتعاقد ونبذ الفرقة والتعصب ، وإشاعة الحب والتسامح والإخاء .

من جرّاء انتشار العشائرية وتطاييرها صارت هجرات داخلية ضمن مناطق العلويين وبخاصة في الجبال المطلة على اللاذقية ، فسكنت كل عشيرة بغاليبيتها في قرى وأحياء متجاورة . وقد استقينا هذا التفسير من مقال للدكتور يوسف نعيمة منشور في مجلة (دراسات تاريخية) ، يتحدث فيه عن المقدّمين ودورهم في الحياة الاجتماعية العلوية فيقول : « وكان لكل مقاطعة في اللاذقية شيخها أو (المقدم) وهو زعيم العشيرة التي تستقرّ في المقاطعة ويرتبط الفلاحون بالرابطة العشائرية ، ويفصل كلّ عشيرة عن الأخرى في الجبال وإد أو مرتفع أو نهر وفيها حاضرة كبيرة يستقرّ فيها المقدم .

وكانت متسلمية اللاذقية مشكّلة من (١٤) مقاطعة هي : القدموس ، بني علي ، المهالبة ، القرداحة ، الجهينة ، دريوس ، البهلولة ، المرقب ، الخوابي ، زميرين ، صهيون ، جبل الكراد ، البابر ، البوجاقا .<sup>(١٤٥)</sup>

ويتابع الوصف فيقول : « وفي مقاطعات اللاذقية الجبلية جرّ الإقطاعيون (زعماء العشائر) فلاحهم للصدام مع فلاحي المقاطعات المجاورة لأنّهم الأسباب أو للخلافات التي كانت تنشب بين هؤلاء الإقطاعيين ، ففي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي هاجم فلاحو مقاطعة الكلية (القرداحة) مقاطعة بني علي (عين شقاق) كما هاجم فلاحو الكلية فلاحي المهالبة والمعاصرة إلى الشرق من الكلية في أعالي جبال اللاذقية فأزهقت الأرواح ، وقطعت الأشجار ، وحرق الغلال على البيادر وفي الحقول ، وردمت الآبار ونهبت البيوت ، وذبحت المواشي أو نهبت فخلت قرى عديدة من سكّانها بعد أن أصابها الخراب والدّمار ، ومع ذلك لم يقرّ الفلاحون على الانسلاخ عن العشيرة لأن الشاة التي ترك القطيع لتلهمها الذئب ، في وقت ضعفت فيه السلطة المركزية في استانبول وعجزت عن توفير الأمن والاستقرار مما انعكس سلباً على فلاحي تلك المقاطعات . وكان ديدن الحكّام العثمانيين «إلقاء البغض وعدم الوفاق والمحبة بين الإقطاعيين لإضعافهم جميعاً» . . ولولا وجود البغض بينهم لما

كان أحد قدر على شرب ماء من عندهم . أما وضع فلاحي المقاطعات الساحلية وخاصة القرى المجاورة للاذقية فكان أسوأ من إخوانهم فلاحي المقاطعات الجبلية لوجودهم بالقرب من المدينة مقر الإقطاعيين والحكّام المتنفذين فكانوا كالعبيد مشتراة الدراهم .<sup>(١٦)</sup>

هذه الأمور والأوضاع العشائرية أدّت إلى حدوث أمر أكثر سوءاً من كل الأمور الأخرى ، فقد حدث انقسام جديد بين العلويين كان أكثر عمقاً واتساعاً من كل انقسام سبق . ففي منتصف القرن الحادي عشر الهجري أو قبله بقليل حدث خلاف بين رؤساء ورجال الدين في بعض المناطق مع نظيرهم في مناطق ثانية وتحزّب المناصرون لكل فريق ، واندلعت حرب كلامية وكتابية زادت من التباعد ، ومنعت من الاتفاق حول وجهة نظر واحدة .

ثم عادت الألفة والمحبة وكان شيئاً لم يحدث ولم يسيطر شبح الخلاف والبغضاء مدة طويلة من الزمن .

ومن خلال قراءة تراجم العلماء والسيوخ وجدنا أن العلويين خفت عنهم القيود بعد استقرار الحكم العثماني في بلاد الشام وموت السلاطين القريب زمنهم من زمن احتلال بلادنا ، فاستطاعوا التنقل بين الجبل وحلب وحماة وأنطاكية وعانة وماردين وسنجار والموصل ، وجرى اتصال بين الأسر التي فرّت إلى الجبال ، وبين أصولها أو فروعها التي بقيت في المناطق التي تعرّضت للقتل والذبح والتشريد ؛ فأعادت وصل ما انقطع ولكن على استحياء وخوف لأن بعض من بقي ترك المذهب العلوي وأصبح سنياً ، وقاطعاً صلته بذوي قرباء . حدث ذلك في منتصف القرن الثاني عشر الهجري ، وفي القرن الثالث عشر نلاحظ حركة تسرّب إلى السفوح والحقول القريبة المجاورة للجبال .

وقد جاوروا من جديد الإسماعيليين والأكراد ، وعادوا إلى سكنى مدينتي حمص وحماة وأريافهما ؛ وكان تسرّبهم وارتحالهم من منطقتي صافيتا والدير كيش إلى المناطق الشرقية لمدينتي حمص وحماة ، بل انتقل بعضهم للإقامة في دمشق في حي خاص .

وأرى أن سبب عودتهم عائد إلى تخفيف حدة التعصب بسبب ميل المسلمين جميعاً إلى التكاتف والتعاضد خوفاً من الغزو الأوربي الذي كانوا يرونه مائلاً أمام أعينهم من تدخل بشؤون الدولة العثمانية بسبب ضعفها ، وقيام الانكشاريين بعزل السلاطين الذين حاولوا النهوض بالدولة من خلال القضاء على الفساد المستشري فيها ولنا في السلطان مصطفى

الثاني خير شاهد، فقد ثار عليه الإنكشارية وعزلوه لأنه لم يعزل وزيره رامي محمد باشا الذي شرع في إبطال المفاسد ومعاينة المرتشين ومنع الظلم فأهاج ضده أرباب الغايات وكثير عدادهم، وأثاروا عليه الإنكشارية لميلهم بالطبع إلى الهياج والسلب والنهب وهتك الأعراض فطلبوا عزله من السلطان فامتنع وأرسل لقمعهم فرقة من الجنود فانضمت للثائرين، وعزلوا السلطان مصطفى في ٢ ربيع الآخر سنة ١١١٥ هـ / ١٥ آب ١٧٠٣ م.<sup>(١١٧)</sup>

منذ ذلك الوقت انحدرت هبة السلاطين وضعفت الدولة عامة فاحتلّ الفرس بغداد، وبدأت الدول الأوربية تستولي على البلاد المتاخمة للدولة العثمانية، وبدأت الشعوب الأوربية المستعمرة من العثمانيين، تتحرر من السيطرة عليها بمساندة الدول الأوربية القوية، وطمعت روسيا وبريطانيا وفرنسا بممتلكات العثمانيين، وأصبحت فرنسا تتدخل بشؤون الدولة العثمانية وذريعتها دائماً لحماية مسيحيي الشرق، وناقتها روسيا في هذا المضمار، وأجبر السلاطين على وضع تشريعات خاصة لحماية المسيحيين فصدرت تشريعات تكفل حق المواطنين بإقامة الشعائر الدينية حسب مذاهبهم وطقوسهم وفق المواد ١١ و ١٦ و ١٧ من القانون الأساسي للدولة، وهذه التشريعات خففت من قوة الضغط على العلويين ومكتتهم من التنقل والإقامة بدون مانع قانوني، بل قام بعض علمائهم على الاتصال بالشيعية في لبنان. ففي بداية القرن الثالث عشر الهجري تمت أول مراسلة بين شيخ علوي وإخوانه الشيعة في جبل عامل، وهذا الشيخ هو سلمان بن أحمد بن قرية (بيضين) من أعمال حماة؛ وكانت المراسلة شعرية وفيها حث على التلاقي وتوحيد الصفوف، واستجاب علماء جبل عامل وحضر بعضهم مع فئة مختارة لملاقة الشيخ والتباحث معه في قرية (بيضين) وفي منتصف الطريق إلى القرية المذكورة سمعوا أن الشيخ سلمان قد فارق الحياة، ولقي وجه ربه بكرّياً.<sup>(١١٨)</sup>

وفي نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر الهجريين نقرأ بعض أخبار العلويين في كتب المؤرخين من غير العلويين، إذ تذكر أخبارهم لأول مرة من خلال أحداث جرت كان العلويون أطرافاً فيها. فالأمير حيدر الشهابي الذي كان مسلماً ثم ارتدّ وأصبح مسيحياً مارونياً يذكر في تاريخه المسمى (الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان) العلويين لأول مرة في كتابه من خلال الحديث عن أمير جبل لبنان يوسف الشهابي الذي فرّ من قاعدة ملكه في جبل لبنان عام ١١٩٨ هـ / ١٧٨٣ م، والتجأ إلى صافيتا هرباً من أقربائه الذين كانوا يرغبون

بطرده من دياره . وحلّ الأمير يوسف ضيفاً على صاحب صافيتا (صقر بن محفوظ بن شمسین) وأباح له الدخول إلى دياره وأنزله قرية (سرستان) المقابلة مدينة طرطوس . ويقول المؤلف : إن صافيتا هي إحدى مساكن النصيرية ، وعلى عادة المؤرخين القدامى يظهر قلّة معرفته بالعلويين ومعتقداتهم .<sup>(١٢٩)</sup>

ويذكر قسطنطين بازيللي مؤلف كتاب (سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني) أن الأمير بشير الشهابي يلجأ إلى حكام صافيتا ١٧٩٣م / ١٢٠٨هـ ، لأن أحمد باشا الجزار يأمره بمغادرة الجبل اللبناني .<sup>(١٣٠)</sup>

ويتوالى ذكر العلويين في (الغفر الحسان) من خلال الحديث عن نابليون بونابرت الذي استولى على مصر عام ١٢١٣هـ / حزيران ١٧٩٨م ، فلقي تقاوم الدولة العثمانية نابليون فإنها طلبت إلى ولايتها في بلاد الشام جمع التبرعات والإعانات والذخائر من أجل محاربة نابليون وإخراجه من مصر . ويقوم الأمير حسن الشهابي بهذه المهمة ويذهب إلى (عكار أولاً ويحلّ ضيفاً على علي بك الأسعد ثم يذهبان مع أتباعهما إلى بلاد صافيتا في ١٢ كانون الثاني ١٧٩٩م / ١٢١٤هـ ، وأرسل الأمير حسن إلى الشيخ صقر شمسین أوامر عبد الله باشا أنه أينما حلّ أصحاب المقاطعات قبله وتقدّم له الذّخاير . وفي تلك الليلة بات في أول بلاد صافيتا وعند الصباح دخل إلى نهر الأبرش ، فالتقاء الشيخ صقر وأولاده وقدم له الذخائر وتفرّقوا في بلاد النصيرية .<sup>(١٣١)</sup>

ويتحدث عنهم أيضاً ذاكراً أن المدعو مصطفى بربر حاكم طرابلس يقوم عام ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م بغزو بلاد العلويين ويطلب المساعدة من الأمير بشير الشهابي لإعانتة في غزوهم ، وقد ادّعى بأن صقر المحفوض من بيت شمسین حاكم بلاد صافيتا قد خرج عن (الإطاعة) وعصى في أموال (الميرية) فأعانه الأمير بشير بعسكر من الشوف واجتمع إليه رجال من بلاد جبيل والضنية وأهل عكار وأصحاب وادي راويل ، وبلغ عسكرهم نحو ثلاثة آلاف ، واستعان صقر المحفوض بصديقه قائد عسكر (الدالية) في حماة الملا إسماعيل ، فتأخّر عن نجده ، لكنه أرسل كتاباً إلى مصطفى بربر للكفّ عن مهاجمة صافيتا والاتفاق مع ابن شمسین ، وكذلك أرسل له كتاباً والي حماة (يحيى العظم) يتضمن الطلب نفسه . ولكن مصطفى بربر لم يلتفت إلى ما في الكتابين ، وأرسل الحملة إلى صافيتا بقيادة جرجس بازكخية (أمين سر أو مساعد) الأمير بشير الشهابي . ويصف المؤلف فظاعة ما ارتكبه الحملة من حرق الغلال ،

وإذلال النفوس ، ودفع الأموال للمغيرين المعتدين فيقول : « وفي وصولهم إلى أطراف البلاد ابتدأوا بالحريق وكان ذلك في زمن الحصاد وأحرقوا غلال تلك البلاد ، وأذهبوا من أموال النصيرية أموالاً لا تحصى ، ونزلوا على نهر الأبرش ولما تحقق الشيخ صقر عدم إسعاف الملا إسماعيل له وأن جميع حكام تلك المقاطعات ضده وجه أحد أولاد عمه (وقع) على جرجس باز . وفي وصوله استقبله جرجس باز أحسن استقبال لأنه كان خائفاً من خيانة العساكر الذين معه ، وكان باطناً يريد الانصراف فنبه حالاً بإبطال الحريق عن تلك البلاد وأصلح أمرهم مع مصطفى آغا بربر تحت مئتين وخمسين كيساً (الكيس ٥٠٠ قرش تركي) ورجعت تلك العساكر كل أحد إلى محله » .<sup>(١٥٢)</sup>

وفي عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م ، أصبح الكنج يوسف باشا والياً على دمشق في زمن هبطت فيه الدولة العثمانية إلى الحضيض بسبب إهمال السلطان سليم الثالث حكم رعيته وتغافله عن قضاء مصالحها وعدم تأمين طريق الحج لأن الوهابيين سيطروا على الحجاز وهاجموا حوران وتعرضوا للحجاج وقتلوه ونهبوهم .

« وفي أيام هذا السلطان اخترعت بدع ومظالم في سائر الأقطار وحصلت الرعية على مزيد من الأخطار والأضرار وضعفت في أيامه أمة الإسلام وارتفع لأعدائها جليل الأعلام ، وخرجت الولاة من تحت لواء الامثال فظهرت خوارج في مملكته عنوان الزوال ، وقد تملكّت فرنساوية بالديار المصرية . . . وتلاشت في مملكته أحوال الرعية ، وعدم النظام بالكلية كما يقول مؤلف الفرر الحسان » ، وعندما أراد هذا السلطان أن يني الجيش من جديد ثار عليه الإنكشارية وخلعوه وولّوا مكانه السلطان مصطفى الرابع .

وعندما استلم الكنج يوسف ولاية دمشق حارب المفاسد وأبطل السهر بالمقاهي وحرّم التدخين خارج البيوت ، وأبطل الغناء والألعاب من جميع المقاهي والحدائق ، وأمر بعدم خلق اللحى وأخرج المردان والشبان الحليقيين عن دمشق ، ووضع شروطاً على النصاري واليهود ، منها أن يكون لبسهم الأسود والأزرق ، والخمري والأحمر رجالاً ونساءً ، ونبه ألا يلبسوا (صرماية) في أرجلهم ، ثم ألزم أناساً من المسيحيين بالدخول في الدين الإسلامي . وفي شهر ربيع الثاني ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م حزينان حضر عنده الأمير مصطفى الإسماعيلي وشكا إليه إقدام العلويين على احتلال قرى ومناطق الإسماعيليين فجهّز الكنج يوسف جيشاً كبيراً للانتقام من (الملة النصيرية) وتأديبها حسب قول مؤلف (الفرر الحسان) ، وسار على

الطريق الرسمي بين دمشق وحماة ، وعند وصول الوزير إلى مدينة حماة خاف العلويون من سطوته وخشوا صولته فتحصنوا في القلاع وأخلوا القرى والضياع فتقدمت إليهم العساكر ونهبت أموالهم وأحرقت زروعهم وأغلالهم وخرّبوا جميع تلك البلاد، وسبوا الحرّيم والأولاد، وتملكوا برج صافيتا من غير قتال، وأمر الوزير بهدمه في عاجل الحال، ثم تجمّعت النصيرية مع كبيرهم الشيخ صقر المحفوض وضربوا عسكر الوزير فلم يظفروا به ورجعوا هارين فحاصرت الدولة قلعة مصياد (مصيف) وقلعة القدموس وما هناك من حصون الإسماعيليين والعمائر الرفيعة ودام الأمر نحو شهرين فضاق على الشيخ صقر المحفوض ذلك الأمر العسير فأرسل أخاه وولديه ليتراموا على بساط الوزير ليرفع الأذى عنهم ويرضى بأخذ المال منهم وعند وصولهم إليه ووقوفهم بين يديه أمر في الحال بوضعهم في القيود والأغلال وأقام عليهم العقاب، وعذبهم أشدّ عذاب فتعهدوا له بستمائة كيس ورفع عنهم ذلك (الأنكيس)، فانهطف عليهم بالعدل والحلم!!! ورفع عنهم الجور والظلم وأمر أن ترجع أهالي تلك البلاد إلى مواطنهم وتطمئن خواطرهم، نادوا عليهم بالأمان ورفع الضيم والعدوان». (١٥٣)

الطريف أنه ذهب لتأديب العلويين بناءً على طلب من الإسماعيليين، فقام بتأديب العلويين والإسماعيليين معاً. أرايت أفضل من هذا العدل والحلم!!! لقد رفع الضيم والظلم عنهم بعد أن دفعوا له ٦٠٠ كيس!!!

ويورد المؤلف الروسي بازيلي هذه الحادثة، ولكن بسخرية من كنج يوسف الذي عيّن لقمع الوهابيين أقدم على قهر قبيلتي النصيرية والإسماعيليين اللتين تمكن من أن يفرض عليهما (الأتاوة) بعد أن ألغى استقلالهما بهمجية ودمّر حصونهما. (١٥٤)

وترد هذه الحادثة بعينها في كتاب آخر هو تاريخ (حسن آغا العبد). وحسن هذا كان ضابطاً برتبة آغا لدى والي دمشق وعيّن حاكماً على البقاع سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م، وقد ألف تاريخه بلغة عامية ركيكة فيها الكثير من الألفاظ التركية والروسية، وقد سجل الأحداث التي شارك فيها أو سمع بها، ومنها هذه الحادثة: «ثم همّ الوزير يوسف باشا في ركة (حملة عسكرية على رواحل) على النصيرية جهة طرابلس وجبل عكاّر فركب وتوجّه نحوهم لأربعة خمسة آلاف عسكري ومعه مدافع وشاهيات (نوع من المدافع سبطاناتها طويلة) وراح معه جملة من أولاد الشام (عدد من أبناء البلد) ومن جملتهم الشيخ فتح الله ففروا من قدامه



فلحقهم وأخذ أكم بلد منهم (عدة بلدان) وقتل خلق كثير من النصيرية وبعث إلى إسلامبول منهم حصّة (بعث عدداً منهم إلى العاصمة)». (١٥٥)

وترد هذه الواقعة في المصادر العلوية بتسجيل الشيخ محمد الخطيب المنتهي نسباً إلى الشيخ علي القصير فيقول: «في سنة ١٢٢٣ وفي تلك السنة أخذ النصيرية بيت شمس قلة القدموس وعقبها أتى يوسف باشا الكنج ونهب زحرق وقتل من بلاد صافيتا الكثير. والهول ثم الهول ثم الهول، (١٥٦)».

ونقل عن المؤرخ الحمصي محمد مَحلي بن عليّ تحت عنوان (الترکمان والنصيرية): «في سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م تصدّى أحد أغوات التركمان في قرية حزور لاثنين من النصيرية وهما سائران في الطريق وقرنهما معاً في نير بدل ثورين وأمر تابعه فحرث عليهما الأرض كل النهار من الصباح إلى المساء، ولمّا علم ذووهما بما جرى شقّ ذلك على العلويين وأكبروا الحادث فتألبت جموعهم في الجبال ثم تدفقوا كالسيل على بلاد التركمان فتغلبوا على (١٦) قرية وقتلوا أهاليها بدون شفقة، ومن سلم من أولئك حيّاً فقد فرّ إلى جهات حمص وحماة. (تاريخ حمص ج ٢ ص ٣٦٣)».

#### علماء وشخصيات من القرنين التاسع والعاشر

١- الشيخ حسن الأجرود العاني الشاعر من عشيرة الحمودية: كان عالماً علامة، شاعراً ذكياً، نظم قصيدة سجّل فيها ما جرى عام ٨٥٥هـ من كثرة الجور وانقطاع تجار الإفرنج عن الممالك الإسلامية من كثرة الجور من السلطان والمباشرين، والظلم على العلويين في الساحل، وأرسله الفلاحون إلى القاهرة في زمن بربر سبائي فقابله وأبطل الجور عن العلويين، ولكن نائب اللاذقية زجّه في السجن، وتخلّى عنه الفلاحون، وغرّمه النائب مبلغاً كبيراً فأداه عنه المقدم علم الدين سلمان.

شعره كثير فقد معظمه، وله قصيدة يؤرخ فيها للعلويين منذ قديم الزمان، منها:

وربع بعرين في الزّراق قد عمرت	يا حبّذا بقعة في سيّد ذكرت
له علوم كموج البحر إذ زخرت	كذا أبو الدرّ والقوم الذي فخرت
وفي حماة عماد الدين سلطان	

## ونظم رحلته إلى القاهرة وحبس نائب اللاذقية له :

واسم سلطان الأنام بعصرنا  
إلى عند (طرباي) الهمام أقبلت  
فجاوبهم طرباي سمعاً وطاعةً  
ونادى بإبطال المظالم جميعها  
ونايينا في اللاذقية ظالمٌ  
فأودعني السجن يومين وأربعاً  
تريد تلاقي عنوةً فسي عتوه

برسبای ابو نصر الهمام الغضنفر  
مراسمه بالقول في كل محضر  
لما رسم السلطان ليس يغير  
عن الساحل المنشور بالعدل ينشر  
عتي زني ظالم متجبر  
ويومين تتبعها حقيق تجبر  
ويوعدني بالقتل في ذلك مخبر

٢- الشيخ عماد الدين القاضي التوحي : كان قاضي وقته تأتي إليه الناس تستفتيه ديناً ودنياً . وكان برآ أميناً ، سيداً ، مسوداً لبيباً أدبياً ، عارفاً متورعاً ، رزيناً كامل العقل ، عالماً كريماً : سماطه ممدود ، ونيله طائل فوفده القصاد ، راضياً للخلق . توفي (١١٦٦) هـ .

٣- الشيخ أحمد الاستباري من القرن العاشر الهجري ، أحمد بن الحسن العزازي عالم ، عارف ، مؤلف ، شاعر .

٤- الشيخ درويش بن يوسف الأنطاكي : عالم علامة ، شاعر أديب ، شقيق الشيخ محمد الكلازي ، له الكتاب الموسوم بسعود الفلك برسم الملك ، نثر ونظم وفرجة ، وعلم ، يشرح الصدر بالعظمة والحكم ، يفيد بالانقطاع عن زخارف الدنيا والتجرد للمحاسن العليا ، وإيثار ما يبقى على ما يفنى ، ولذلك أجاد بما وصف ، وأفاد بما عرف كأنه يريك الأشياء بوصفه عياناً . (١١٦٠)

٥- الشيخ عبد الله البسطوري توفي ١٠٤٥ هـ : عبد الله بن بلال بن حسن بن عليّ الخياط عالم علامة ، ثقة وقته وعصره ، يرجع إليه ، له تأليف شتى نظماً ونثراً بعد موته اطلع الشيخ يوسف إبراهيم من قرية (العبيدية) على أحد كتبه فردّ عليه برسالة الخاصة عام ١٠٦٣ هـ ، فانتصف الشيخ حسين أحمد منه مناصراً للشيخ عبد الله وألف رسالة جدلية عام ١٢٧٩ هـ .

٦- الشيخ علي بن صارم : من قرية الدريب ، مؤرخ ، شاعر ، ذكر ما حدث عام ٩٧٠ هـ فأفاد عن مجيء سنين مجدية ، وغلاء ، وقحط ، مقدار ٢٢ سنة ، وسبي وقتل وحكام جبابرة

وما أصاب حماة في بلادها من المحل وشيزر وسلمية والعلا وجهاتها، وحبس الأمطار  
ويبس العشب مقدار كانون وكانون وشباط وأذار ونيسان وشلح البذار وعدم نباتها وطلوعها  
ومقدار البذار ١٧٠٠ مكوك، ويشكوى النساء وبكاها، وبياعة أطفالها وأكل المواشي وذلة  
القروم والفحول، وحساب المكوك بالرطل ستة آلاف، وعادت بلاد الشام بالردى، وتكلم  
عن حبسه في جيلة. (١١١)

٧- الشيخ محمد إسماعيل الركبي: كان من أتباع الشيخ يوسف إبراهيم وتجادل مع  
علماء الجرائنة فدعوا عليه فابتلى بداء فاستغاث بالشيخوخ الداعين عليه فحضروا إليه فشفوا  
وعاد إلى مناصرتهم.

#### القرن الحادي عشر

٨- الشيخ رضوان النيربي الحلبي: من باب النيرب في حلب له قصيدة يتغزل فيها بالخمرة  
وينات الخدور على شاكلة الصوفيين تكثر فيها الاصطلاحات المسيحية.

٩- الشيخ سلمان بن رضوان بن سليمان بن رضوان بن شاهين من قرية سريجس القبلية  
١٠١١- ١٠٨٣ هـ وهو ينتسب إلى التنوخيين من عائلة عريقة في العلم، ولم تخل ذريته من  
الكاتب والعالم، نسّأخ للكتب بخطه الجميل، وكان عالم وقته وشاعره أيضاً.

١٠- الشيخ عبد الله الدالية كان مهاباً، سيداً، كثير الصلاة والصيام والمطالعة كريماً،  
صاحب كرامات، كان يزوره النمر كثيراً ويتمرّغ بين يديه، توفي ١٠٧٠ هـ.

١١- الشيخ علي الصغير: عالم علامة، أشعاره ومؤلفاته شتى، ممّن ردّ على الشيخ  
يوسف إبراهيم. دعا إلى الألفة ونبد الانقسام والحق، مات بقرية ديرونا ١٠٩٦ هـ.

١٢- الشيخ كامل يوسف أبو تاج الكتاني، عالم عارف شاعر، مدحه علماء عصره  
ومدحهم، له قصيدة يمدح فيها المقدمين من الكلية من آل مخلوف المقدم أحمد مخلوف،  
وولده المقدم مهنا، وابن أخيه المقدم عبد الساتر وأخوه عبد الله وعمهم المقدم خازم،  
وأبو فضل الأمير سعد، وجدهم سلمان وناصر الدين مطلعها:

أحيا نسيم الوجد أبداً بمهجتي وذكرني أيام وصلي بخلتي

١٣- مشايخ وعلماء أنطاكية: الشيخ عمران والشيخ إبراهيم والشيخ أحمد البانياسي.

١٤ - مشايخ وعلماء حلب: المعلم حيدر والشيخ علي رغبونة، والشيخ رضوان، والشيخ مصطفى آل بدران والشيخ جعفر والشيخ يوسف علوان .

١٥ - من مقدمي المخالصة: عاقل بن رزق وأخوه المقدم يوسف (قرية الزللو وطبرو) وكانا من العلماء والشعراء . وقد رثى المقدم عاقل ابن أخيه إبراهيم ابن المقدم يوسف وشبان عائلتهم وقربتهم الذين توفوا في عام واحد وهم (٣٥) شاباً منها :

وشدوا شباب الحي من كل جانب	وعاد البكا والنوح والتلطيم
وراحوا الشباب جملة لما كان أول	على الخير يمضوا من الزمان القديم
ثلاثين مع خمس شباب كأنهم	تربوا ببلد الروم بالتنعيم <sup>(١٣٣)</sup>

١٦ - الشيخ إبراهيم الطوسي العاني : عالم علامة ، شاعر ، له قصيدة (العينة) تبلغ ألف بيت ، ألفها ١١٠١ هـ ، وكان رحالة ، زار علماء عصره ومقدمي العلويين في زمانه ، مدح مقدمي الكلية وأمرأهم ، له قصيدة تبلغ ٣٤٠ مخمساً يشرح فيها أحوال العلويين حتى زمانه .

١٧ - الشيخ محمد الكلزي الأنطاكي ١٠١١ هـ ، ولادته في قرية (كلازو) من معاملة أنطاكية ، عالم علامة ، بارع ، ثقة في الشعب ، له التصانيف الكثيرة ، لم يكن أحسن منها في بابها ، وله جهاد كبير وفضل عظيم على الشعب ، ولم يكن بعد أبي سعيد (الميمون الطبراني) أحد ألف تأليفه وجاهد جهاده حتى تلقب الشعب باسمه وقيل : (الكلزية) كناية عن الفرق المنسوبة إليه ، وهو إلى أنه كان موحداً ومنزهاً فقد كان رحالة ، زار اللاذقية ، وطرابلس وحلب ، راسل علماء زمانه في حلب وبغداد وديار بكر وماردين وعانة وسنجان والموصل ودعا إلى نبذ الانقسام . ويذكر أنه كان في حلب عام ١٠٥٣ هـ حينما أطلع على رسالة الشيخ يوسف إبراهيم فرد عليها وفتدها ، وانقسم العلويون بين مؤيد له ومخالف ، فمن صار معه دعي (بالكلزي) ، ومن تابع الشيخ يوسف إبراهيم والشيخ يوسف علي الماخوسي (من قرية ماخوس قريبة إلى قرية كلازو) دعي بالماخوسي ، وله فضل الكشف عن الكتب المنحولة<sup>(١٣٣)</sup> .

### القرن الثاني عشر

١٨ - الشيخ حسن النميلي : ولد في قرية الدالية ثم توطن في قرية (البيري) من أعمال حماة ، وفيها توفي أولاده التسعة بسبب الثلج والجوع ، ولد سنة ١١٢٩ هـ وتوفي ١٢٢٦ هـ عاش ٩٧ سنة .

كان عالماً علامة، شاعراً مفلحاً، له أشعار كثيرة لوجمعت لكانت ديواناً متنوع الأغراض من حكم وعظات ومراث وتغزلات، وأكثر أقواله السهل الممتنع. رثى أولاده عام ١١٩٣هـ، واشتهر بالصبر وقوة الإرادة والتجمل وعمق التفكير والتخيل. وله القدر المعلن لذوية اللفظ ومتانة المعنى وسهولة الكلام. له رسالة يرد فيها على الشيخ خضر بن داود البناوي<sup>(١١٤)</sup>.

١٩. الشيخ رمضان/الريحانة/ : عالم عارف، ورع، زاهد، سائح مشهور، هاجر للعراق والمجم.

٢٠. الشيخ سلمان/بيصين/ ١١٥٣-١٢٢٨هـ: ولد في دير الجرد من أعمال بانياس وبعد أربعين يوماً من ولادته، قرّبه أبوه بأسباب من طرف الحكومة العثمانية وسار حتى وصل إلى قرية ؟ (الحيدرية) قرب بعدين فلم يطعمه أهلها فنام في ظل حائط مع ولده فرأى في نومه طائفاً يأمره بالرحيل عنها لأن ولده سيكون له شأن عظيم في غيرها، وبعد خروجه منها دمرت صاعقة.

وحظّ الوالد رحاله في قرية بيصين، فرحب به أهلها وأسكنوه بينهم فنشأ الشيخ سلمان في (بيصين من أعمال حماة) وتعلّم فنشأ عالماً عارفاً امتاز بالعبادة والمداومة على الصلاة ليلاً ونهاراً إلى جانب المطالعة الشديدة مع ورع وخشوع وزهد ورقة كلام ولين عريكة، وتخصّص بالأحاديث النبوية الشريفة، ونظم الأشعار الرائعة في المدح وغيره. وكان كريماً عالي الهمة جسوراً، فقد جمع إلى الاقتدار بالعلم الاقتدار في الثروة فولد عنده العلوف في الحجج وتقديم البراهين والأدلة.

كانت عنده ميول لتوحيد الشيعة فراسل علماء جبل عامل وراسلوه ودعاهم إلى وحدة تجمع بين الطرفين، فألقوا وفداً منهم وساروا إلي بيصين وقبل أن يصلوها سمعوا بوفاته فعادوا إلى بلادهم.

توفي الشيخ سلمان في مدينة حماة في حارة المحالبة في مغارة إبراهيم الجعفر عام ١٢٢٨هـ، ودفن في قريته، وأصبح ضريحه مزاراً يزار.

٢١. الشيخ علي الخير/القرادحة/ : عالم عارف، كاتب، طاهر، كريم، إمام عصره وقدوة دهره، سمته الخاصة والعامة الخير، لقاء وورعه، وما ظهر له من الجود والكرم

الذي غطى به معاصريه ، وطالما جرت وقائع بين العشائر فكان يكشف رأسه وينزل تحت ضرب الرصاص بين العشيرتين فيردهما عن بعضهما<sup>(١٦٥)</sup> .

٢٢ - الشيخ مصطفى بن شعيب الحموي : الشاعر ، الكاتب ، النساخ .

٢٣ - الشيخ منصور بن السيد حسن البغدادي : هاجر من العراق وسكن حماة .

٢٤ - الشيخ يوسف بشمان الكلبي الكتاني التوخي : ولد في قرية بشمان ثم انتقل إلى قرية أحد أجداده (العامود) ثم إلى قرية البلاطة ثم إلى بشمان ودفن فيها . عاش في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين ، كان موحداً ، منزهاً ، عارفاً بالله ، وشاعراً له قصائد كثيرة في التوجيه والوعظ ، وكان ثقة الناس في عصره . رتب شعره على الحروف الهجائية .

## المراجع

- ١٣٩ - تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٧٤.
- ١٤٠ - النبأ اليقين عن العلويين ص ١١٧ .
- ١٤١ - خير الصنيعة ج ٥ ص ٢٠٦٥ .
- ١٤٢ - تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٧٨ .
- ١٤٣ - خير الصنيعة ج ٣ ص ١٠٣٧ مكرر .
- ١٤٣ مكرر - تاريخ العلويين نقد وتقريظ ص ٤٣ - ٤٤ .
- ١٤٤ - النبأ اليقين عن العلويين ص ١٧٥ .
- ١٤٥ - مجلة دراسات تاريخية ص ١٧٤ العدد ٣٥/٣٦ .
- ١٤٦ - مجلة دراسات تاريخية ص ١٦٣ العدد ٣٥/٣٦ .
- ١٤٧ - تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١٤٢ .
- ١٤٨ - خير الصنيعة ج ٣ ص ١٢٦٠ .
- ١٤٩ - الغرر الحسان ج ١ ص ١٣٨ .
- ١٥٠ - سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني ص ٧٥ .
- ١٥١ - الغرر الحسان ج ١ ص ٢٠٢ .
- ١٥٢ - الغرر الحسان ج ٢ ص ٥٠١ .
- ١٥٣ - الغرر الحسان ج ٢ ص ٥٣٤ .
- ١٥٤ - سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني ص ٩٣ .
- ١٥٥ - تاريخ حسن آغا العبد ص ١٤٤ .
- ١٥٦ - خير الصنيعة ج ٣ ص ١٢٤٨ .
- ١٥٧ - الفلك الدوار ص ٢٤٦ .
- ١٥٨ - خير الصنيعة ج ٣ ص ٩٥٢ .
- ١٥٩ - خير الصنيعة ج ٣ ص ٩٩٠ .
- ١٦٠ - خير الصنيعة ج ٣ ص ١٠١٩ .
- ١٦١ - خير الصنيعة ج ٣ ص ١٠٣٧ مكرر .
- ١٦٢ - خير الصنيعة ج ٣ ص ١١٤٣ .
- ١٦٣ - خير الصنيعة ج ٣ ص ١١٨٨ .
- ١٦٤ - خير الصنيعة ج ٣ ص ١٢٢٨ .
- ١٦٥ - خير الصنيعة ج ٣ ص ١٢٩٩ .

## الفصل الرابع عشر

### العلويون وإبراهيم باشا المصري

في بداية القرن التاسع عشر الميلادي كانت الدولة العثمانية في حالة ضعف بانغ : إذ بدأت أوصالها تتفكك ، وقامت ثورات عديدة ضدها في مستعمراتها ، واشتد الصراع بين إنكلترا وفرنسا بشأن تقسيم هذه الدولة التي أطلق عليها لقب : الرجل المريض ، وانشغل السلطان بالحرب الصربية ، وهاجم الإنكليز البوسفور ومصر عام ١٨٠٧م بعد رحيل الحملة الفرنسية عنها والتي بدأت عام ١٧٩٨م ، واستولى الوهايون على الحجاز وهددوا بلاد الشام ووصلت غزواتهم حتى حوران وثار الإنكشارية في حلب ، وحدثت اضطرابات في صيدا وصور ، ففر الأمير بشير الشهابي حاكم جبل لبنان إلى مصر ، وتمرد عبد الله باشا والي صيدا على الدولة ، ثم قتل الأمير بشير جنبلاط بناء على طلب من محمد علي والي مصر وبشير الشهابي الملتجئ إليه ، وخلت بلاد الشام من الجيش التركي لأن معظمه أرسل إلى بغداد للقضاء على الوالي المتمرد داود باشا . وتوجت هذه الاضطرابات والثورات بقتل والي دمشق من قبل سكانها عام ١٨٣١ لأنه أراد فرض الضرائب فثار دمشق وقتلت الوالي وأعوانه وتسلم الحكم مواطنون عرب قاموا بتسيير الأمور منهم : علي عرفان وأبو خليل الدقاق .

ووقعت هزات أرضية أدت إلى وقوع أضرار في حلب وغيرها ، وتمرد العلويون عام ١٨٢٥ أيضاً وأعلنوا رفضهم لدفع الضرائب وأستكروا جور الحكام وقواتهم المرسلة لإخضاعهم وإجبارهم على الدفع ولكنهم هزموا هذه القوات أول الأمر ، غير أن مقدمي العلويين انضموا إلى قوات الحكومة وهزمت المتمردين الثائرين فهربوا إلى الجبال ، وقامت قوات الحكومة بمطاردتهم وقتلهم ، وقطعت الأشجار وحرقت المزروعات ودمرت أضرحة الأولياء والقبب والمزارات ، ولم تتورع عن التعدي على جامع السلطان أدهم في جبلة .

وقد سجلت هذه الأحداث شعراً الشيخ زاهر الخدّام ، وذكرها مؤلف (خير الصنيعة) فقال : «كان الشيخ المرحوم زاهر الخدّام برآ جواداً سخياً له قصائد يعبر فيها عما جرى له في أيامه ومنها قصيدة في محبي» (الكاخي) من حماة ١٢٤١هـ / ١٨٢٥ - ١٨٢٦م إلى عند أولاد عيد واتفاقهم على البلاد ومجيئهم إلى مقدمي البلاد وتحالفهم معهم ضد الحكومة وأخذ ما



في أيديهم وحبسهم في جيلة ونقلهم إلى اللاذقية وتشفيح (ابن عدرة) ورجال من علماء السنين ، وبعدها تولوا شؤون جباية الأموال من الجبال وكانت وقتئذ متوقفة عن الدفع فطلبوا (بقوة) فوافاهم المقدمون الذين اعانواهم وقدموا لهم يداً سابقة مع الشيوخ ليتفاهموا معهم ، (فوثقوهم رهناً) وراح البريء ضحية المجرم وهلك العباد من الفساد وجور الأوغاد ، واجتمعت الرعية وحاربت الحكومة ، فتجردت (قوة) على الرعية وحرقت الساحل ، وضرب الكثير من أهالي الجبل ، وأتى القواد إلى بلاد (الجراننة) ونزلوا قرية الحمام (حمام القراحلة) وهدموا بعض قبب وقبور الأولياء ، وكان رئيس العساكر أحد رؤساء بني هارون فعمل في إدارة ومنع العساكر من التخريب في القرى ، وأرسل يطلب مقدمي وشيوخ العشائر ، ويقيدونهم ، وأخذوهم إلى اللاذقية إلى عند الوالي مصطفى .

وبعد يومين طلعت قوات أخرى لجلب بقية الرؤساء وهدم الزيارات فجاءتهم الأهالي وحاربوهم (فكسروا العسكر) وقتلوا وأخذوا ذخيرته فرجع إلى الوراق ، وكان المقدمون قد دخلوا مع الحكام للإصلاح وفرضوا ضريبة على رؤساء المقاطعات ، يتعهد بتأديتها كل رئيس محيط في محيطه ، واستثنوا من ذلك جامع السلطان وأوقافه فلم يرض المقدمون حتى جلبوا (القوة) على الوقافين . وحينما احتفروا حضرة قبة الشريعة آتاه الله بكرامة أرهقت ضباط العسكر فجعلوا عن المحل وأعطوهم الدراهم التي أخذوها منهم غنوة وساء التفاهم بين الرؤساء والمقدمين وأخذوا (يفسدون) على بعضهم بعضاً وبذلك تمكنت الحكومة منهم وجبت ما جبت ، وأطلقت المعتقلين» .<sup>(١٦٦)</sup>

ويبدو من المعلومات المدونة بخط محمد سليمان الدالية ، أن متصرف اللاذقية أثناء هذه الحوادث كان المدعو مصطفى آغا ، ويصفه بأنه كان جبّاراً ، وقد أقدم عام ١٢٤٤ هـ على الصعود إلى الجبال وحرق قرية (الدالية) وتصرف تصرفات أضرت بالمسلمين العلويين كثيراً .

وقد أيد هذه الحادثة المؤلف بازيلى وذكرها بسرعة أثناء الحديث عن وضع الدولة العثمانية بداية القرن ١٩ ، فقال : «وامتنعت قبائل النصيرية عن دفع الأتاوات» .<sup>(١٦٧)</sup>

وأثناء انشغال السلطان بالأحداث الداخلية والخارجية واتت الفرصة لمحمد علي باشا حاكم مصر ، فجّهز جيشاً قوامه (٣٠ ألفاً) بقيادة ابنه إبراهيم ليحرّر بلاد الشام من الأتراك .

وانطلق هذا الجيش عام ١٨٣١ م من القاهرة يسانده الأسطول البحري المصري فحاصر (عكا) أولاً وفتحها وهي التي استعصت على نابليون، ثم حرّر دمشق والتقى الجيش التركي في حمص بتاريخ ٨/٧/١٨٣٢ فهزمه، وتابع زحفه فحرّر حماة وحلب، والتقى ثانية الجيش العثماني في مضيق بيلان بتاريخ ٢٩/٧/١٨٣٢ فدحره، وانتصر إبراهيم انتصاراً مدوياً ثم تابع زحفه نحو (الآستانة) واستولى على أضنة، والتقى الجيش التركي ثالثة في (قونية) فكان النصر حليف إبراهيم، فطلب السلطان محمود مساعدة الدول الأوروبية فسارعت إنكلترا المخادعة الحاقدة تعرض الصلح بين الطرفين ووقفت فرنسا على الحياد أما روسيا فقدّمت مساعدات للسلطان وأزلت عشرين ألفاً من جنودها على شاطئ البوسفور ممّا أغضب إنكلترا وفرنسا فسارعتا إلى مصالحة محمد علي مع السلطان محمود على شروط منها بقاء بلاد الشام تحت حكم إبراهيم باشا لمدة ٤ سنوات، وإجلاء جيش محمد علي عن الأناضول.

رحّبت بلاد الشام بإبراهيم وجيشه لأن والده محمد علي أعلن عن مشروع قيام دولة عربية موحّدة بعد طرد الأتراك من بلاد العرب، وكان السكان يكرهون الأتراك وظلمهم وعسفهم وفساد ولائهم وجيشهم وجبروت إقطاعيهم وموظفيهم.

وقد وجد إبراهيم تأييداً قوياً من المسيحيين والفئات الدينية المستضعفة المضطهدة فقد عرف عن إبراهيم تسامحه انديني وتشجيعه للعرب والعروبة.

وأقدم على تأسيس أول مطبعة عربية في لبنان عام ١٨٣٤، وبثّ الروح القومية العربية بين السكان فاستبشر الناس به خيراً وساعدوه في حروبه ضد الأتراك، ولعماً تقرّر الصلح بينه وبين السلطان العثماني قام بتشكيل ديوان للمشورة في كل مدينة بلغ عدد سكانها أكثر من عشرين ألفاً وتراوح عدد أعضاء الديوان ما بين ١٢ و ٢١ عضواً ينتخبون من الأعيان والتجار ويمثلون جميع المذاهب والديان حتى اليهود في أماكن سكنهم فكان الديوان مؤلفاً من المسلمين والمسيحيين واليهود في دمشق وبيروت وحلب وغيرها.

وقدّمت هذه المجالس «فكرة العدالة المؤسسة على ضبط القوانين والمؤسسات حيث قضت قضاءً تاماً على نفوذ الإقطاعيين الذين تحوّلوا إلى موظفين يجمعون الضرائب ليس لصالحهم الشخصي كما كان يحصل من قبل بل لصالح الدولة فكانت هذه العملية من أشدّ الضربات التي تلقاها الإقطاعيون في المنطقة السورية».<sup>(١١٨)</sup>

لم يدم بشرّ المواطنين في سورية ولبنان طويلاً لأن إبراهيم فرض الضرائب على الأشخاص (ضريبة الفردة) ثم فرض التجنيد الإجباري على الشباب وكل من يصلح للجنديّة؛ ونقم عليه المسلمون لأنه سمح بفتح (الخمارات) لتناول الخمر وبيعها، ونقم عليه الأغنياء والسادات لأنه ساوهم بالفقراء والرعية، ونقم عليه الفقراء والأغنياء لأنه وضع عليهم الضريبة وجنّدهم في جيشه بدون تحديد لزمان الخدمة العسكرية، وقامت ثورات ضده بدأت في نابلس ثم امتدت إلى جبال العلويين وتطايير شررها إلى جبل الدروز في لبنان وفي سورية ويتحدث محمد كرد علي عن أعمال حكومة إبراهيم «بأنها نافعة وجيلية، فكان من أول أعمال إبراهيم باشا الجليّة في الديار الشامية ترتيب المجالس الملكية والعسكرية وإقامة مجلس الشورى وغيرها من النظم الحديثة وترتيب الماليّة. وجعل نظاماً لجباية الخراج ومعاملة الرعايا بالمساواة والعدل لا تفاوت في طبقاتهم ومذاهبهم ولذلك لم يلبث الأمراء والمشايخ وأرباب النفوذ أن استقلوا ظلّ الدولة المصرية وتمتّعوا رجوع العثمانيين ليعيشوا معهم كالحلمة الطفيلية تمتص دماء الضعفاء وينالهم من ذلك مصّة الوشل»<sup>(١٦٦)</sup>.

وقد تمرّد العلويون على إبراهيم باشا لأنه طرح عادات العشائر وأضعف سلطة المشايخ والمعلّمين والإقطاعيين والزعماء، ونشطت تركيا مع هؤلاء وحرّضت العلويين على التمرد فتمرّدوا فسبّر إليهم إبراهيم جيشاً كثيفاً أكرههم على الخضوع والاستكانة.

وقد أرخ ثورة العلويين مخائب مشاقّة في كتابه (مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان) وتحدّث عن هذه الثورة قائلاً: «ما فتئت الدولة المصرية تحدث في سورية تغييراً وتعمل على طرح عادات العشائر القديمة وتزيد الضرائب على الشعب شأن كل دولة في تطور نشأتها حتى نفرت القلوب وودّ معظم الشعب لجهله إعادة الدولة التركية مكانها فانتشرت هذه الروح وبلغ طينيتها مسامع الدولة العثمانية فسرّها ورأت أن تقتنم الفرصة.

وكان أعظم الشعب نفوراً (النصرية) وكان الباعث على تقوية هذه الروح في صدورهم ما يضره عليهم المشايخ في كل مجتمع وناد، ويكفي للشعب المسكين الذي اعتاد الطاعة لزعمائه سبباً لإيقار صدره على الدولة المصرية التي كانت باذلة جهدها في ترقّيته وتعزيز مقامه مع تضييف سلطة المشايخ عليه ولو استعملت في سياستها المداينة، وأبقت المشايخ وكل زعيم في مركزه إلى أن امتلكت قلوب الشعب وأمنت جانبه ونالت ثقله كما تجري عليه سياسة إنكلترا وكلّ أمة مرتقية، فلمّا تستوثق من الشعب وتؤكد من حبه لها تقلب ظهر المجن على الزعيم المستبد وتنبذه.

وكانت الدولة التركية خبيرة بأحوال الشعب أكثر من الدولة المصرية فبحثت تدسّ الدسائس إلى المشايخ وتغريهم بالمواعيد الفاحشة ، وكان هؤلاء يحضّون الشعب على شقّ عصا الطاعة طمعاً بإرجاع نفوذهم .

وأوّل من شهرّ عصيانه وامتنع عن دفع الرسوم إلى الحكومة (النصرية) فاضطّرت الهيئة الحاكمة إلى الإكثار من الجند في البلاد ، وحصد شوكة العصاة ، وأرسل شريف باشا عصابة من لبنان لإخضاع الثائرين الذين اعتصموا بجبال اللاذقية وفازوا بالغلبة على رجال الحكومة ، ولمّا علم شريف باشا بما حلّ برجاله ، جمع فرقة كاملة من الجيش المنظم ، وأرسلها إلى الشوار وأكرهم على الطاعة والسكينة .<sup>(١٧٠)</sup>

ويذكر هذه الثورة المؤرخ الروسي بازيل في حوادث ١٨٤٠ فيقول : « على امتداد الشتاء بطوله نشبت تمردات على التوالي بين النصيرية قرب أنطاكية وفي منطقة عكّار في منحدرات لبنان الشمالية ، ولدى قبائل المناولة في بعلبك وأعالي القاسمية بين صيدا وصور » . (١٧١)

ونملك وثيقة تاريخية كتبها علوي معاصر للدولة المصرية في بلاد الشام وهو المرحوم الشيخ حسن الخطيب من قرية الحصنين ، تقول الوثيقة : إنه في سنة ١٢٤٨ هـ في الدولة المصرية وكان حاكمها محمد علي وقد أخذ البلاد من الزنج والزنج والحبش والسودان واليمن وقد ذهب جماهير قويّة وأخذ قلعة الحكم بعد البلاد المذكورين وكل رؤساء العسكر قائدها إبراهيم باشا . وامتدت شرورهم بالنهايب والقتل وأخذ بلاد الشام وطرابلس وحمص واللاذقية وحمّة وحلب ، وبعدما أخذهم (طوّع) المدن والجبال وأخذ أموالهم وسلاحهم وبعد ذلك قام عليهم (عديّة) (ضريبة) كل زلمة (رجل) خمسين غرشاً ، وستين ، وأربعين ، وبعد العدية أخذ عدية الرجال : (تجنيد إجباري) كل عشرة يأخذ منهم زلمة ويأخذهم قهراً وغصباً وقد حطّ مكاشف (فحص طبي) كل زلمة ما يعجبه يرده إلى أهله ويأخذ بداله وبعد ذلك قام العدية كل واحد كما مذكور وعاد يأخذ عدية الذين أخذهم من أهلهم والذي يموت يأخذ عديته ، وكان حكمه قهر وجبر وفقير للعباد ، وعطل رسومات المؤمنين وعباد الصالحين ، وقد نفر من صدور الناس الإيمان وقوي الكفر وقام جمهور الزور والبطل ، واستهترت الناس بالمؤمنين وأولاد الوجاقات ، وشكّت بربّ الأرضين والسموات وقالت ما بقا ينوجد ربّ ولا أنبيا وبطلت البراهين ، وضعف اليقين ، وبطل الدين ، وغلق باب الرجا ، وانحجب الدعا ، وقام الغلا ، وكثر البلاء ، وسكرت الناس من ذلك الزمان ، وكثر السلب

والحرام وعاد القوي يأكل الضعيف ، ونحن نستغيث ربّ الأرضين والسموات وندعوه ونرجو الفرج والرحمة والعفو فلم نرَ باب فرج . ونحن نذكر أفعال الخارجة المذكورة ، وأن أكبر اعتماده ضعف الناس وقد نصبت مصلحات يسخرّ الناس بشحط المرخ (جرّ الأخشاب وجذوع الأشجار) وسخرّ البقر بشحط المرخ . وقد ذكروا الذي يسحبوا بها أن غلظة يركب الزلّة على عرقها بعد قطعها وتحميلها وتحسينها فلم يلحق رجلاه للأرض ويجبر البقر والناس على شحطها إلى البحر ، ومن البحر يحطّهم في المراكيب ويأخذهم إلى مصر . وعطلّ النَّاس أشغالهم صيف شتوي . وقد عمل الخارجة مصلحة عماير في المدن مثل حماة وحمص وحلب واللاذقية وطرابلس وسخرّ الناس بنقل الحجارة ونقل الآلة وصولاً وفروراً .

وقد شغل الناس غرباً وشرقاً وبقلة وشمالاً ، وبرّ ومدن وبحر ، وبعد ذلك حطّ بكل مدينة (ديوان مشورة) كل ديوان فيه نفر من العراق بالمحتلة والزور ، وكل واحد يتكلم كلمة للذي تكون يشكو عليه الناس في ذنب أو أمر من الأمور ، فيضربوا عليه ديوان مشورة (محكمة) فإن كان ذنبه خفيض يحطه بالحبس والسجن ويحرمه يشوف عياله ، وإن كان ذنبه غليظ يبعثه إلى اللومان (السّجن) ، وأما اللومان عمارة أقلاع ، وسرايات ، وأعالي وقصور يحطّ الرجال المغضوبين عليهم بعرق الحيط ويحطّ دقة خشب بأرقابهم ويظلموا الناس عليهم يناولون المعلم على كشم الشليم الخيمة ويحطّ تين فوق تين حتى يصلوا إلى المعلم في المناولة ويضل (يظلّ) ذلك حسب الذي يثبت عليه في الديوان .

فيه ٣ سنين و٣ أشهر و٣ أيام و٣ ساعات ، أو ساعة ، وفيهم من يقيم له بديوان المشورة ٧ سنين و٧ أشهر و٧ أيام وسبع ساعات .

والذي يموت منهم يسلحوه في البراري والأقفار ، وقد حارت الناس من فعله ومن جبره ومن هذه الصنائع التي عاملها للناس<sup>(١٧٢)</sup> .

ومن عجب أن من جاء إبراهيم لتحريرهم من القهر والظلم والعسف والاضطهاد والاستعباد والازدراء أوّل من ثار ضده بسبب جهلهم وتأثير الدول الأجنبية على زعمائهم .

ويصف مؤرخ أجنبي هو بيير كريتس موقف إبراهيم باشا عام ١٨٤١ بما يلي :  
«المسيحيون الأرثوذكس يحاربونه لأن حكمه ينذر بالقضاء على حقوقهم التقليدية المكتسبة فيحرمهم من الأرباح الطائلة التي يجنونها من الحروب .

والمسلمون يقاومونه لأنه يؤمن بالحرية الدينية والمساواة أمام القانون ، والدروز قائمون عليه لأن المارونيين الكاثوليك انضموا تحت لوائه أول الأمر .

وإنكترا تسلط سيف الفتنة وتمد العصاة بالمال وتشجع الفوضى بضرب الحصار على شواطئ بلاد الشام وإطلاق القنابل على إحدى نقاط البلاد الحرجة ، ولو أن إبراهيم لم يكثر بذلك كله وأراق دم جنوده من غير جدوى ، لكان عمله هو الخرق بعينه . ( ١٧٣ )

واستغلت الدولة العثمانية قيام الثورات والفتنة الداخلية ضد حكم إبراهيم فجهزت جيشاً ضخماً لمحاربه وإخراجه من بلاد الشام ولكن إبراهيم دحر هذا الجيش عام ١٨٣٩ وأصبحت أبواب الأستانة مفتوحة أمامه ، ولجأ الأسطول العثماني مع قائده إلى مصر ، وهال هذا الأمر الدول الأجنبية وخافت من قيام دولة عربية قوية تجرد الدولة العثمانية من الأراضي العربية وتحكم بطريق الهند الشريان الحيوي لبريطانيا وتقضي على النفوذ الأجنبي بكافة أشكاله في المنطقة العربية .

وتدخلت الدول الأجنبية لوقف تقدم جيش إبراهيم نحو العاصمة العثمانية وعرضت عليه مطالب رفضها والده محمد علي بتشجيع من فرنسا التي وعدته بمساعدتها لكن إنكترا عملت على تسليح الموارنة في لبنان وساندتهم بالأموال والعتاد ، وضرب أسطولها بيروت فسلم إبراهيم ساحل بلاد الشام للإنكليز ، وتحفزت المدن الداخلية للقيام بالثورة ضده فأثر ألا يريق دماء العرب فانسحب بما بقي من جيشه إلى مصر عام ١٨٤٠ .

وتبخر الحلم بإقامة دولة عربية واحدة قوية وعادت بلاد الشام إلى الوقوع تحت سيطرة القتل والتشريد والتفني والظلم ، وتدخلت الدول الأجنبية وفرض ما تريد على الرجل المريض . وعاد العلويون من جديد للعيش في أجواء القهر والاستعباد والطاعة العمياء والسخرة والعذاب .

## المراجع

- ١٦٦ - خير الصنيعة ج ٣ ص ١٢٤٨ .
- ١٦٧ - سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني ص ١٦٩ .
- ١٦٨ - أزمة الفكر ومشكلات السلطة المياسية في المشرق العربي في عصر النهضة .  
د . محمد مخزوم ص ٥٦ ط ١ بيروت ١٩٨٦ .
- ١٦٩ - المرجع السابق ص ٥٧ .
- ١٧٠ - بلاد الشام في القرن التاسع عشر ص ١٦٨ .
- ١٧١ - سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني ص ٢٢٣ .
- ١٧٢ - خير الصنيعة ج ٢ ص ٩٢٦ .
- ١٧٣ - مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سورية ص ٢٠ .

## الفصل الخامس عشر

### اليَقْظَة

لا شك أنه كان لحملة نابليون بونابرت على مصر عام ١٧٩٨ فضل في إيقاف المصريين ونهوضهم ببلادهم ومحاولة اللحاق بأوروبا ، ولا شك أيضاً أنه كان لحملة إبراهيم باشا على بلاد الشام فضل كبير في استيقاظ أهلها من غفوتهم الطويلة ولكن الذي هين لمصر في ظل حكم محمد علي وأولاده وأحفاده لم يُهَيِّأ لبلاد الشام التي عادت تزرع تحت نير الحكم العثماني بشكل أشد قسوة وظلماً . وقد قامت هذه الدولة بتنظيم جديد للمدن والمقاطعات ، وقسمت بلاد الشام إلى ولايات وقسمت الولايات إلى ألوية والألوية إلى أقضية ، والأقضية إلى نواح . وفي مركز الولاية كان الوالي العام يقيم ، يتبعه رؤساء الألوية الذين كان الواحد منهم يدعى (المنصرف) أما الناحية فيديرها مدير الناحية .

وبالنسبة لبلاد العلويين فقد كانت تابعة لولاية بيروت التي كانت تضم خمسة ألوية هي : بيروت ، وعكا ، ونابلس ، وطرابلس ، واللاذقية ، وكان لواء اللاذقية يضم ثلاثة أقضية وسبع عشرة ناحية وألفاً وأربعمئة وأربعين قرية ، وكان لواء طرابلس يضم ثلاثة أقضية وست نواح وستمئة واثنين وسبعين قرية .

وبعد خروج المصريين من بلاد الشام أصدر السلطان العثماني تنظيمات جديدة للدولة العثمانية بناءً على إلحاح الدول الأجنبية عليه .

وكان أهم هذه التنظيمات إصلاح أحوال الدولة وتأمين رعاياها على اختلاف أديانهم وقومياتهم على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم . وقد شعر العديد من رؤساء العلويين وعلمائهم المتتورين منهم بضرورة الأخذ بأسباب العلم للنهوض بالعلويين وأدركوا أنه من الضروري الانفتاح على من يحيط بهم من المخالفين لمذهبهم . وسرت روح جماعية بينهم تدعو إلى الخروج من هذه العزلة المفروضة عليهم ؛ ورأى بعضهم ضرورة القيام بشعائر الصلوات في المساجد لأن المخالفين لهم في المذهب يتهمونهم بآثامات عديدة منها تركهم الصلاة في المساجد .



وليشتوا للمخالفين أنهم من أشد المتعصّبين للإسلام ، بل هم لباب الإسلام ، منذ ظهور الإسلام وحتى زمانهم قاموا بإنشاء المساجد ، وحجّوا إلى بيت الله الحرام .

وبعضهم شيّد الجامع في قريته أو منطقته من ماله الخاصّ بدون مشاركة من أحد أو من الدولة . وبعض المساجد شيّدت بأموال الدولة التركية نفسها .

ويذكر العلويون أنّ أوّل مسجد بنفقه خاصة هو مسجد الشيخ معلّاً من قرية حمّين .

وكان الشيخ معلّاً أوّل حاجّ بين العلويين في العصر الحديث . وبعد عودته من الحجّ شيّد مسجداً في قريته وألزم الرجال والنساء بالصلاة في أوقاتها ، وأصبحت أسرته تعرف بيت الحاج .<sup>(١٧١)</sup>

قصد الحاج معلّاً سنة ١٢٥٤هـ البيت الحرام لأداء فريضة الحج المقدّسة وفي عودته مرّ بمصر واستحصل على إذن ببناء مسجد في قريته إذ كانت سورية يومئذٍ في حكم محمد علي باشا .<sup>(١٧٢ مكر)</sup>

وقام الشيخ عبد الحميد أفندي يونس ببناء جامع ، له منذنة وتقام فيه الصلوات الخمس ويخطب فيه أيام الجمع والأعياد وكذلك فعل الشيخ عمران حمد الزاوي فشيد زاوية تقام فيها الصلاة ويخطب فيها يوم الجمعة ، وكان له أربعة أولاد قرّروا أن يكون فطور المصلين عند أحدهم بالشهر مرة واحدة ، ومأدبة المصلين على أحدهم ، وجرى أحفاده بعده على هذه الخطة<sup>(١٧٥)</sup> .

ولا شكّ أنه كان لتشجيع هذا الشيخ وأولاده فضل كبير على إقبال المصلين على المسجد بسبب الطعام المقدّم لهم في زمن الفقر والغلاء وانعدام الدخل . توفي ١٢٩٠هـ .

ومن الذين شيّدوا مسجداً (آل يونس ياسين) (صافيتا) فقد أقاموا مسجداً في قريتهم ، وكانت الصلاة تقام فيه على المذهب الحنفي ، وكذلك آل شمس في الدريكيش ، وكانوا حكاماً في المنطقة ، وشيّدوا جامعاً ضخماً في الدريكيش منذ أكثر من مئتي عام ، وتقام فيه الصلاة على المذهب الحنفي أيضاً .<sup>(١٧٦)</sup>

وقبل أن تبني الحكومة التركية المساجد في بلاد العلويين بنى الشيخ علي سلمان/ المريقب/ والد المجاهد المعروف الشيخ صالح العلي مسجداً تعلوه منذنة في قريته ، والشيخ المذكور كان ممّن له الفضل في المساهمة مع رؤساء علماء المذهب العلوي في الطلب إلى



وقد ساعدتهم في عدم الاهتمام بهذه المساجد فئة من جهلة العلويين الذين أرادوا أن يظلّ العلويون وأولادهم وأحفادهم فريسة للجهل والتخلف والعيش في عصور الظلام والانكماش والعزلة ليظلوا متنفذين مسيطرين في هذا العالم الذي يناسبهم ولكن الزمن والإرادة الخيرة والتطور ومنطق الحياة بالسعي نحو الأمام إلى الأفضل والأحسن كانوا لهذه الفئة بالمرصاد وكان هناك المخلصون من المسلمين العلويين الذين أرادوا لهم الاستمرار في الحياة الحرة الكريمة والاندماج في مجتمع الحضارة المطل على الشرق فقاموا / علماء ورؤساء / بالحض على العلم ومساعدة المتعلمين وتحملوا في سبيل ذلك مشقات كثيرة وتكاليف مادية كبيرة ، وسخرت مرة لا ذعة ولكنهم لم يبالوا بما يعترضهم وبما يلاقون من مصاعب ، وتابعوا البحث على العلم والأخذ بأسبابه .

وقبل أن نمضي في بحثنا نذكر لك أنه في أيامنا هذه سنة ١٩٩٩ ، شيدت مساجد كثيرة بتكاليف مادية كبيرة في أماكن انتشار العلويين ، شيدوها من أموالهم الخاصة ، وتقام فيها الصلاة حسب المذهب الجعفري (نسبة إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام) بعد انتشار الحريات العامة الدينية والسياسية والاجتماعية ، وبعد أن صارت هناك قدرات مادية تساعد في إعلاء بيوت الله . وفي حمص نرى مصليين ، وبخاصة أيام الجمع والأعياد ، من أحياء حمصية مختلفة في مسجدي الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في حيّ النزهة ، والسيدة فاطمة الزهراء رض الله عنها في حيّ الزهراء .

ونورد على سبيل المثال لا الحصر عدداً من هذه المساجد يرتفع فيها الأذان بحيّ على خير العمل خمس مرات في اليوم :

١ - محافظة حمص ، المدينة فيها مسجلتان : جامع السيدة فاطمة الزهراء في حيّ الزهراء ، وجامع الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في حيّ النزهة . وفي عام ١٩٩٨ أسس جامع الإمام علي زين العابدين (عليه السلام) .

٢ - ريف المحافظة : جامع جبّ الجراح ، وجامع المسعودية ، وجامع العثمانية ، وجامع المخرم ، وجامع الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) في قرية شين ، وجامع في قرية دبين قرب القصير ، وجامع في المشرفة ، وجامع تلشنان . وفي محافظة حمص أكثر من ٣٠ جامعاً .

٣ - صافيتا : صافيتا - بيت الشيخ يونس ياسين .

٤ - الدريكيش : الدريكيش - بويضة مسلم - حمين - شهر حمين .

٥ - بانياس : بانياس - الزللو - حريصون - المقرمة .

٦ - مصياف : مصياف - برمانه المشايخ .

٧ - طرطوس : فيها مسجدان .

٨ - اللاذقية مسجد .

٩ - القرداحة : مسجد لآل الخير ؛ ومسجد الشيخ موسى ، ومسجد السيدة ناعسة والدة القائد الخالد حافظ الأسد .

المساجد التي شيدت بنفقة العثمانيين أو التي شيدها العلويون من نفقتهم الخاصة اتخذت مدارس للعلم يعلم فيها القرآن الكريم ومبادئ الحساب والخط ، وانتشرت الكتابات في القرى التي ليس فيها مساجد ، وكان يقال لشيخ الكتاب (الخطيب) وينادي بـيا عمي . . وهو ممن يجيد قراءة القرآن الكريم وتلاوته ويعرف المبادئ الأولية للحساب من جمع وطرح وضرب وقسمة ، وكان الحساب يدعى (الهندي) أما في الكتابة فكان يعلم الخط (الثلاث) وبعض مبادئ النحو ، وكان يحفظ من القرآن الكريم كثيراً من السور غيبها في صدره يرتلها في الصباح بخاصة بعد الصلاة . . وفي المناسبات . . وعندما يكمل المتعلم قراءة القرآن الكريم مختتماً بسورة البقرة كان الشيخ يستدعي والد المتعلم أو وليه ويطلب من هذا المتعلم أن يرتل القرآن أمام والده . . فيفرح الوالد كثيراً كأنه حصل على أحد كنوز الدنيا ويهرع ليزف الخبر إلى عائلته وإلى القرية كلها ثم ينحر ذبيحة على الأقل وتجتمع القرية في بيته وأمامه وتقام ساحة للفرح ، ويحضر شيخ الكتاب المتعلم أو المتعلمين الذين حفظوا القرآن الكريم وقد ربط أيديهم وراء ظهورهم بحزمة جميلة ، ويقوم الآباء بفك هذه المحارم وسط صوت الأهازيج والزغاريد وإطلاق العيارات النارية ، ثم يكافأ الشيخ الخطيب مكافأة مادية إضافة إلى أجره ، وتدوم الأفراح عدة أيام وبعض الميسورين كانوا يقيمون هذه الأفراح لمدة سبعة أيام .

وقد حفظ بعض دعاة العلم القرآن الكريم غيباً نذكر منهم : الحاج معل (حمين) والشيخ عبد الكريم محمد (المصطبة صافيتا) والشيخ محمد ياسين أحمد (قرقفتي طرطوس) والحاج الشيخ علي حسين ميهوب حروفش (المقرمة - بانياس) .

وممن كان له الفضل الأكبر في نشر العلم وبناء المساجد الشيخ أحمد علي أحمد من قرية القلع ، وقد ظلّ يحضّ على تعلّم العلم حتى وفاته . وكان هناك فضل كبير لأسر بعينها ساهمت في الحضّ على العلم ونشره بين العلويين ومنها أسرة آل يونس ياسين - صافينا التي وسّعت على طلاب العلم بالناحية المادية وتأمين السكن ومكان الدراسة .

يقول الشيخ حسين ميهوب حرفوش : « وللشيخ يونس ياسين وآله فضل على الشعب إذ كانوا أوّل من تفضّل بإحياء العلوم الأدبية في العلويين ، فكان بيت الشيخ يونس محطّ رحال الطلبة ، إذ كان الشيخ يونس ياسين وهو أب الشيخ محمد ياسين أعلن لطلاب العلوم أنه مستعدّ وآله مستعدّون لأن يوسعوا على كل طالب علم يقدم إليهم ، وأحضروا المرحوم الشيخ علي حسن القاضي العالم الشهير وأسكنوه عندهم ، وتكفّلوا بواجباته العائلية ؛ وفتحوا بيتاً عادياً بمثابة مدرسة علمية للشيخ المذكور يلقي فيه الدروس على الطلاب من قراءة وتجويد قرآن وتعليم علم النحو في الأجرومية وإعراب أمثلتها في كتاب نجم الدين وغيره من الكتب المستعملة آنذاك .<sup>(١٧٧)</sup> »

بقي أن تعلم أن الشيخ يونس ياسين توفي ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م . وممن حظي بشرف المساهمة في إحياء العلم وتنشيطه الحاج معلّا (حمّين) إذ استحضر أحد خريجي الجامع الأزهر ليتلقى المتعلمون تجويد القرآن الكريم على يديه ، وليتعلّموا بعض قواعد اللغة منه على طريقة (الأجرومية) وشرحها للكفراوي ، وألفية ابن مالك وغيرهما . وقد حارب هذا الحاج الخوف الموروث في العلويين من نظام الأجيال الرهيبية التي مرّت بهم .<sup>(١٧٨)</sup>

ومن الرجال الكبار الذين ساهموا في هذه النهضة العلمية الشيخ محمود حسن (بعمرة) والشيخ إبراهيم مرهج والشيخ عبد الكريم سعد القاضي وله القدح المعلّى في نشر اللغة العربية الفصحى بين العلويين .

والملاحظ في هذه الفترة كثرة الحكّام والمتنفذين العلويين وتزايد المقرّبين من الحكومة التركية . (هل لذلك علاقة ببناء المساجد؟) نذكر منهم حامد أفندي اليوسف من قرية رأس الخشوفة فقد كان رئيساً مقدّماً غيوراً على شيعته ، مجاهداً ، متعبداً بالأسحار ، دأبه نفع الفقراء والمساكين ، وفكّاك المحبوسين لأنه جاء وقت قام فيه بأربع وظائف على عهد الدولة التركية لأنه في بدء زعامته كان عضواً بالمحكمة الشرعية وعزل (مستنطقها) فصار

عوضه، وانتقل قاضياً فصار نائبه، وخلع قائم مقام القضاء فصار وكيله، فصارت يده أربع وظائف يديرها بمهارته ويتصرف بقوته وإرادته، وكان همه قضاء غرض الذي له شغل في تلك الدوائر، وأخذت الناس تشي عليه، ولكن لم يخل ذو النعمة من حسود.<sup>(١٧٩)</sup>

ومنهم الشيخ علي أفندي من قرية (ترسوس) أنطاكية الذي كان ذا عزة ومنفعة في الدنيا، مبرراً لإخوانه غيوراً عليهم، وذا وجهة عند الدولة التركية، وكان يدافع عن العلويين لكلمته المسموعة والمقبولة في الأستانة عند سلطان الأتراك.<sup>(١٨٠)</sup>

ومن ترسوس أيضاً كامل باشا علي أفندي ابن المترجم سابقاً. وكان مثل والده غيوراً على شيعته ويتوسل لها بالوسائط النافعة وتوظيف أفرادها في دواوين الحكومة التركية.

ومنهم الشيخ عمر الدرويش الشمسيني الذي تولّى حكومة القضاء متسلماً ذلك من قبل حكومة عثمان خير بك في صافيتا، وكان يسأل الشيخ إبراهيم مرهج عن غنيمة مال الكافر وقت الحرب لمن تجب وكيف تنفق.

ومن زعماء تلك الأيام محمد أفندي العباس جابر (الطليعي)، وكان زعيماً متقدماً في زمن الحكومة التركية.

ومن زعمائها أيضاً هوأش بك: يتصل نسب هوأش بن إسماعيل بن عثمان بن خير بك بالأمير حسن بن مكزون السنجاري. ولد سنة ١٨٤٦ في قرية اللقبة التابعة لقضاء مصياف التي سكنها جده خير بك مع جدته لأول مرة نازحاً من اللاذقية ونزع والده إسماعيل بك إلى الثورة على العثمانيين لما استقرّ في نفسه من العروءة والشهامة وعدم الصبر على الضيم والذل، وقد تمكنت الدولة من إخماد ثورته الأولى بأن عيّنته حاكماً على قضاء صافيتا، ولكن لم يمض ربح من الزمن حتى هبّ للثورة ثانية انتقاماً من العثمانيين الذين قتلوا بعض أصدقائه وأتباعه وجردت الدولة عليه حملة قوية كانت الحرب فيها سجّالاً بينه وبين الدولة ولما خشي المغبة بعد مدة لاذ بخاله علي الشبلي في قرية عين الكروم، ولكن هذا غدر بابن أخته طمعاً برشوة الحكومة وتزلفاً لها فاغتاله أثناء نومه عنده سنة ١٨٥٨، وكان هوأش أكبر أولاده إذ ذاك صغيراً فلما بلغ أشده أخذ مركز أبيه، وفي أيام المتصرف هولوا باشا الذي عطف على العلويين نال هوأش مركزاً مرموقاً للدرجة أن مدحت باشا أبا الأحرار لما جاء إلى سورية اتخذه صديقاً واعتمد عليه في تنفيذ إصلاحاته في المنطقة العلوية، كما أحسن معاملة

العلويين بعد أن استدعى لمقابلة مشايخهم وأفهمهم ما ينوي عمله لأجل مصلحتهم وخيرهم، وبأنه قرّر أن يجعل بلادهم لواءً مستقلاًّ قاعدته (الشيخ بدر)، عندئذ تحركت خواطر بعض أشراف دمشق وحماة واتهموا مدحت باشا بأنه ينوي الاستقلال في تلك البقعة عن الدولة ولاقت آراؤهم هوىً عند السلطان عبد الحميد الذي كان يكره مدحت باشا كرهاً عظيماً ويخشى بأسه فنقله إلى إزمير كما أساء الظن بهوَأش بك فأنهم بأنه متواطئ مع الأمير عبد القادر الجزائري لإلحاق سورية بالدولة الفرنسية فاستقدمه والي سورية إلى دمشق واعتقله ١٨٨٢ وأرسله إلى عكا وبقي معتقلاً أربع سنوات، وقد توسّطت شخصيات حمصية مسلمة ومسيحية، كانت له صلات حسنة وصدافة متينة معها لدى الوالي للإفراج عنه فلم يقبل وساطتها بل أمرت الدولة بنفيه إلى جزيرة رودس سنة ١٨٩٠ من جرّاء هذه المحبة. مات في رودس ١٨٩٦ م، وكان عبد الحميد نقل مدحت باشا إلى ولايات بغداد والشام وإزمير ومنها إلى الطائف في الحجاز حيث قتل هناك في ١/٤/١٨٨٣. (بتصرف عن تاريخ حمص ج ٢ ص ٣٨٥)

وقد أثمرت النهضة التعليمية وأفرزت عدداً كبيراً من الأدباء والكتاب والشعراء وأصحاب الفكر والرأي والقادة نذكر منهم:

١- الشيخ حسين أحمد من قرية (حمّين) المتوفى عام ١٢٩٥ هـ. وقد وصف بأنه كان عالماً علامة، فريد عصره وقريع دهره، له المصنفات العديدة المنفيدة التي فاق بها أقرانه، وكان مرجعاً يرجع إليه. وله ديوان أشعار، وله جهاد عظيم في الحالتين الدينية والدنيوية، ورثب قاموساً صغيراً، وستتطرق إلى دوره في إخماد الفتنة العشائرية التي حدثت في زمنه. وله رسالة في الرد على رسالة للشيخ يوسف إبراهيم. وله كتاب مقامات الحسنى ومجمع البحرين الأقصى والأدنى. وهو ثلاثون مقامة على نمط مقامات بديع الزمان الهمذاني والحريري.

٢- الشيخ علي حمدان شربا: الشاعر اللغوي، كان قريناً في صباه للشيخ سليمان الأحمد وهاجر إلى أنطاكية وسكن قرية (النعمرية) التي منها الشاعر المعروف سليمان العيسى. توفي ١٣٢٠ هـ.

٣- الشيخ يوسف علي الخطيب: كان يتيماً فقيراً في طفولته، ثَقَّف نفسه بنفسه إذ كان ذكياً، وأقبل على قرض الشعر وياشر تعليم الناشئة، من تلاميذه العالم العلامة الشيخ سليمان

الأحمد، ألف رسائل عديدة، نبغ وأصبح يشار إليه بالبنان، وكان يجمع إلى صباحة الوجه فصاحة اللسان، ذاع صيته في جميع أنحاء العلويين، ألف كتاباً ترجم فيه لعلماء العلويين منذ نشوئهم وحتى عصره. توفي ١٣٤٦هـ.

٤ - الشيخ يعقوب الحسن: العلامة الكبير، الفيلسوف، عالم الأديان المتخصص، المجدد الساعي إلى تثقيف نفسه بنفسه وهو الفقير مالياً، الغني فكرياً وعلمياً ودينياً. وصفه الشيخ يوسف علي الخطيب بقوله: هو رجل عالي الهمة، كاتب، لبيب، عالم، شاعر، ناثر، غيور، ذو تقى، هاد مهدي، وهو إلى الصمت أقرب منه إلى التكلم، يحب مجالسة العلماء والفضلاء، لا بالطمّوع، ولا بكثر الجد على حطام الدنيا. <sup>(١٨١)</sup> ووصفه الشيخ حسين ميهوب حروفش بقوله: «هو الإمام الثقة، التقى، النقي، الورع، الراسخ في الدين والعلم، العالم، العلامة، الحبر الفهامة، الشاعر الشهير والواعظ البليغ، وشعره عذب حسن مشترك بين الرقة والصعوبة، على أنه جمع أبواب الشعر التي نطق بها وهي أربعة: الحكمة والمديح والثناء والغزل قد أجاد في أجمعها وبرع فيها». <sup>(١٨٢)</sup>

ولّد الشيخ يعقوب في قرية (برعين) ١٢٨٤هـ، وفي السابعة انتظم في سلك التعليم الابتدائي بقراءة القرآن الكريم وتجويده لا غير لعدم وجود من يدرس اللغة العربية في المحيط لكنه عكف على مطالعة الروايات والقصص القديمة، وفي الثانية عشرة من عمره درس على الشيخ حيدر ديب (قصّابين) وأخذ الفقه حسب مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام ثم بدأ بمطالعة قواعد اللغة العربية بدون مدرّس ونظم بعض الأشعار، ثم بدأ بمطالعة الكتب المتعلقة بالأديان القديمة وإذ أنس من نفسه القدرة على التأليف في هذا الموضوع فقد شرع في كتابة كتاب سمّاه (تذكر الحياة الروحية) عام ١٣٤٥هـ، تحدّث فيه عن الأديان منذ عرف الإنسان على الأرض فتحدّث عن العبادة والألوهية والأنبياء وضرورة التدبّر في المجتمع الإنساني وبرهن على وجود الخالق بالدلائل والبراهين، وردّ على من انكر صنع الله وعجائب قدرته، ثم تحدّث عن حقيقة عبادة أصحاب الأديان القديمة وما جاء به الفلاسفة المصلحون وقدم نبذة من تعاليم خريستا المصلح الهندي ومن تعاليم بوذا، وأوضح ديانة الكلدانيين والآشوريين واليونانيين، ثم تحدّث عن الأديان السماوية: اليهودية والمسيحية والإسلام، وفصل في أديان العرب في الجاهلية وتوسّع في شرح الدين الإسلامي، وأجاد في شرح مسألة القضاء والقدر في الإسلام ولم يضارعه أحد في هذا الموضوع. وكان يذكر المراجع



التي استقى منها مادة كتابه فكانه فاق أقرانه في عصره في هذا الأمر بالأمانة والدقة فكتاب (تذكرة الحياة الروحية) جوهرة في موضوعه ومكتبة في فنه ، وزينة لكل مكتبة في بيت مثقف .

#### من شعره في الدعوة إلى العلم:

يَمَّمْ - هُدَيْتَ - مغاني العلم تغليسا	ولا زلج الجد تعريجا وتعريسا
واخطب حسان المعالي والصبا خضل	فمن قريب تريك الود معكوسا
واعص الهوى آنفا واحذر عواصفه	فكم دعت من جميل الذكر مطموسا
وكن بدئك بعد العلم في ثقة	فالعمر محتقر إن ساس أو سيمسا
إن التعصب في الأدب ان مويقة	والعدل يشمل مسعودا ومنحوسا

ويحث إلى أحد طلابه من الدارسين في اللاذقية قصيدة قال فيها :

طلاب العلم مرقاة الفخار	أتصبر أم تبوء بلا اصطبار
فإنك في الصبا مرآة ذهبن	وحكمة لطفها ضوء النهار
تضيء بنور حكمتها زمانا	وتصدأ ثم تبدأ بانكسار
إذا شمت اتلافا من سهيل	فجنه ولا يروعك شواظ نار
فإن العلم كنز والخبايا	دياج والنهي مصباح سار

من شعره في مديح الرسول ﷺ ومديح الأئمة عليهم السلام :

هم الأئمة يهدي المتقون بهم	مثل الأئمة والأنوار في الظلم
لا أبرأ الله سقمي من مجتنبهم	ولا خبت نار وجدي من ولائهم
آل النبي فرع المرتضى وكفى	فخرا لهم ثم بالزهراء أمهم
هم الصراط السوي المستقيم إلى	الرحمن والعروة الوثقى لمعتصم
هم الأجلاون عند الله منزلة	سادت بفضل رسول الله جدهم
شمس الهدى آية الحق التي سنحت	أوبد الشرك بالأعجاز والحزم
خلاصة الكون بل سر الوجود ولا	حد ، ومشكاة وحي الله والكلم
المصطفى الطاهر المبعوث مرحمة	للعرب أهل التجار الشم والعجم
محمد خاتم الرسل الكرام ومن	في القدم كان وسر الكون في القدم
نور بدا من سنا الرحمن خالقه	قبل التواصل بين الصلب والرحم

لقد نسج على منوال البوصيري وأحمد شوقي في مديح الرسول الكريم .

كان الشيخ يعقوب تريباً وصديقاً للشيخ سليمان الأحمد .

توفي ١٩٢٧ م .

#### ٥ - الشيخ حسين ميهوب حرفوش : ١٣١٠ - ١٣٧٩ هـ

ولد بقرية المقرمة التابعة ناحية القدموس منطقة بانياس من محافظة طرطوس سنة ١٣١٠ هـ ، وترعرع في حجر والده التقى الورع الناسك الشيخ ميهوب حرفوش الذي كان من بعض تلامذته الشاعر الكبير محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) .

ختم القرآن الكريم وهو ابن ٧ سنين ، تعلم النحو على يد الشاعر اللغوي الشيخ عبد الكريم سعد (آل الحاج معلا) ، والصرف والبدیع على يد الشيخ محمد محمود مصطفى (تلة الخضري) وهو ابن ٢٠ سنة ، ولما أكمل الخامسة والعشرين افتتح مدرسة في قرية (برمانه المشايخ) يدرس فيها العلوم العربية بالمجان طيلة سنتين ، ثم انتقل إلى المقرمة وافتتح فيها مدرسة كالأولى حتى حلول الانتداب الفرنسي فطلب إلى دائرة المعارف في اللاذقية وقدم امتحاناً نجح فيه فعين معلماً رسمياً في المعارف أيار ١٩٢٢ م ، واستمر يعلم الناشئة حتى عام ١٩٣٦ ، وفي هذا العام اشتد ساعد الحركة الوطنية المناذية بالاستقلال عن الانتداب الفرنسي فشرع الفرنسيون أن قرية (المقرمة) بصورة عامة والشيخ حسين بصورة خاصة من المؤيدين لهذه الحركة فما كان منهم إلا أن عاقبوا القرية بإلغاء المدرسة ونقل معلمها الشيخ حسين إلى قرية (تعنيتا) فبقي فيها سنتين ، ولما نجحت القضية الوطنية أعيد إلى مدرسة (القرمدة) وظلّ مثابراً على عمله إلى أن بلغ سن التقاعد فأحيل على المعاش . كان يحض على طلب العلم ويحث الناشئة على ارتشاف مناهله فتولّد نشاط ورواج لحرفة الأدب في ذلك الوقت ، وحض على التعليم في ربوع العلويين وتهذيب أفكار العامة وتنشيطها والحث على الفضيلة واجتناب الرذيلة وبناء المدارس والجوامع بماله في تكاليف بنائها ، وكان عدد المدارس التي بنيت بمساعيه (٤٥) مدرسة ، وسُمّت إحدى القرى جامعاً باسمه . امتاز بطهارته وبراءته وورعه وسماحته ، كما امتاز بالتقى والفضل والكرم والنبيل .

أذكره - رحمه الله - وأنا صغير حين كان يحلّ في بيتنا ضيفاً كريماً محبوباً وقد توافد سكان قريتنا للسلام عليه والإصغاء إلى مواعظه وحضه على طلب العلم ، وإرسال الناشئة .

إلى المدارس، وأذكره - وسّع الله له في جنانه - في بيتنا في مدينة حمص، وعندنا غرفة واحدة مخصصة للضيافة حيث تمتلئ هذه الغرفة وتكتظ بسكان الحي الوافدين إلى بيتنا للسلام عليه والسهر معه ساعات تطول وهو يعظ ويفسر وينصح ويحضر على طلب العلم، ويلتو القرآن الكريم ترتيلاً عذباً جميلاً، أو يؤم المصلين وبخاصة أثناء صلاة العشاء.

لقد كان الحضر على العلم والتعليم غاية ودينه وهدفه، وقد كان له الفضل في إقناع والدي بارسالي إلى المدرسة لأنني ختمت القرآن الكريم قراءة وأنا صغير يتراوح عمري بين الخامسة والسادسة، ولما سمع قراءتي وحسنها وشاهد خطي وحلي لعمليات حسابية أملاها طلب إلى والدي أن يعلمني في المدرسة ولم تكن في قريتنا مدرسة ولا في الجوار فترك أبي القرية وسكن في حمص وسجلني في مدرسة رسمية.

وكان - رحمه الله - غنياً جداً، وأذكر أنه في كل مرة زارنا فيها كان ميسور الحال يتسابقون إلى دعوته لضيافتهم فكان يجيئهم: «محمد من قرابتي هو وزوجه، ولقمته حلال وأنا أريد لكم أن تتواضعوا وتحبوا بعضكم بعضاً».

له تأليف عديدة ومجموعة أراجيز عددها ٢٠ وأبياتها ١٨٩٢، وقصيدة تبلغ ألف بيت، وديوان شعره كبير يبلغ ستة آلاف بيت، وله هذا السفر النفيس الذي اقتبست منه الشيء الكثير / ويحق لي / وأعني به كتاب (خير الصنيعة) الذي يشتمل على حوالي ٢٠٥٠ صفحة في عدة أجزاء، وقد قضى في تأليفه ١٥ سنة متنقلاً بين المكتبات مستخرجاً كنوزها الدفينة من العلوم والمعارف، ويشتمل على تراجم للعلماء منذ القرن الثالث الهجري وحتى القرن الرابع عشر الهجري بلغ عددهم (٦٢٥).

توفي ١٩٥٩م وأقيم له حفل تأبيني في ٢١ آب ١٩٥٩م / ١٦ صفر ١٣٧٩هـ في المقرمة.

#### ٦ - الشيخ سليمان الأحمد: ١٨٦٩ - ١٩٤٢م / ١٢٨٦ - ١٣٦١هـ

من أوائل المبدعين في هذه المرحلة، وتلمذ على الشيخ يوسف علي الخطيب، وعندما اشتد عوده وقوي ساعده، وفاضت قريحته لم يكتف بعلم من بطون الكتب التراثية بل غدا ينهل من الكتب والمجلات العصرية؛ فاشترك بعدة مجلات كانت معروفة في زمانه مثل المجلة العلمية اللبنانية، العرفان، ومجلة الهلال المصرية وأشباههما، وراسل مجلة العرفان وتوثقت علاقته بمحرريها فاحتفلوا بشعره ونشروه بازدهاء.

ومن خلال العرفان تعرّف عليه القراء وبخاصة في جبل عامل وفي العراق، تالت عليه الرسائل من علماء جبل عامل ومن العراق فأقدم على زيارة صيدا والنجف الأشرف والتقى علماء الشيعة في الأماكن التي زارها، ورحبوا به وتباحثوا معه.

كان يدعو إلى العلم في كلّ مكان يحلّ فيه، ويعدّد فوائده، وليقرّب كتب التراث للعلويين أقدم على شرح ديوان المكزون، وهو بين ذلك يوالي نشر قصائده الداعية إلى الألفة والمودة بين جميع أفراد الشعب العربي السوري.

وبالرغم من وجود المستعمر الفرنسي الذي قسّم سورية إلى دويلات طائفية فإنه سار مع حزب الكتلة الوطنية وشجب الاستعمار الفرنسي والمتعاونين معه.

وقد انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، واعتزافاً بفضلته العلمي وجهوده الوطنية أقيم له احتفال كبير عام ١٩٣٨ بمناسبة بلوغه الخامسة والسبعين دعي باليوبيل الذهبي للعلامة سليمان الأحمد تحت رعاية محافظة اللاذقية إحسان الجابري، وكان رئيس لجنة الاحتفال عبد الواحد هرون وأمين سرّها عبد اللطيف بونس، وشارك في هذا الاحتفال المجتهد الكبير السيد عبد المحسن شرف الدين الموسوي، والشيخ عبد اللطيف إبراهيم والأديب محمد المجذوب.

وأنجب الشيخ سليمان عدّة اولاد توارثوا علمه وأدبه منهم الدكتور علي والدكتور الشاعر أحمد، والشاعر الذي صارت له شهرة مدويّة في بلاد العرب ونعني به الشاعر الكبير بدوي الجبل (محمد سليمان الأحمد) الشاعر الفذّ الذي قارع الاستعمار الفرنسي بشعره وتبوّأ منصب الوزارة بعد نيلنا الاستقلال.

نماذج من شعر الشيخ سليمان الأحمد:

مختارات من قصيدة أرسلها لمجلة العرفان يدعو فيها الشعب للعلم والمعرفة:

فقد آن يلقي السمع من كان ذا قلب	حنانيك شعب الله بورك من شعب
أطلت الكرى يا شيعة المرتضى هبي	أهاب بكم داعي الفلاح مذكراً
سماعاً لنصحي بالقبول بلا عجب	أنا شدم لله أن تعطفوا
ومورده الصافي ومنهله العذب	هلموا إلى العلم الرفيع مكانة
ويتقد من ضنك وضيق إلى رخب	إلى ما يبعز النفس بعد مذلة

إلى العزّ في الأولى إلى الفوز فسي غد  
سرى العلم مسرى البرق يا شيعه الهدى  
٢. الدين:

كثر الزهد في الحقائق وارت  
أفلا تمطر السموات أحجاراً  
٣. الغيب:

سألتني عن الغيوب كـأتني  
لست أدري ولا المنجم يدري  
٤. المعارف:

كلّما قلت المعارف تربو  
إنما السحر والتوابع والتنجيم  
غلب الجهل فافتراها على الع  
٥. دعوا المغلاة:

دعوا المغلاة إن صدقاً وإن كذبا  
٦. أيها الجن:

أيها الجن ألا  
قد غدا الجاهل فيكم  
فأتقوه وذرونا  
٧. التدجيل:

كن صموتاً أو مت بغيظك  
غلب الجهل نير العلم والعقل  
وتراهم من قبل أن ينكروه  
٨. الشعر

والشعر أفضل ما كان منبعثاً  
فإن أفاد اتحاداً أو حوى حكماً

إلى نعمة الدارين والأمن والخصب  
فيطبق من شرق البلاد إلى الغرب

باب أناس بصحة الدين شكاً  
وتلك هذه الأرض دكاً

من خرق الحزاق والكهان  
ما يريد القضاء بالإنسان

بين أصحابها منون العرافة  
في مذهبي حديث خرافه  
لم شيوعاً والجهل للعلم آفة

فسيرة المرء تنبي عن سريره

تتخذون الله رباً؟  
مستهام القلب صباً  
(واقصدا أهل أوربا) ١١١

فالناس كما قد رأيت جيلاً فجيلاً  
جميعاً فصّدقوا التدجيلاً  
ينكرون التوراة والإنجيلاً

من الشعور إلى الأشباح أرواحا  
غراء كانت له الألباب ألواحا

يقول الشيخ عبد الرحمن المخير: «عام ١٣٣٢ هـ قام العلامة الشيخ سليمان الأحمد والشيخ إبراهيم عبد اللطيف مرهج بزيارة إخوانهما من علماء المسلمين الجعفرين في لبنان؛ بيروت وصيدا وصور، حيث حجة الإسلام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء يزور لبنان لطبع كتابه (الدين والإسلام) وقد دامت الاجتماعات والمحادثات بينهم أياماً أسفرت عن تعارف مذهبي وتغاهم أخوي ومودة صادقة». (١٨٩ مكرر)

٧- الشيخ إبراهيم عبد اللطيف مرهج: من قرية المنطرة، ينتهي نسباً إلى حيدر بن صدقة، ولد عام ١٢٩٥ هـ.

كان عالماً علامة، شاعراً، شرح ديوان المتنجب، وحققه. في نشأته قرأ النحو والمنطق والفلسفة على أبي حنا سعادة اللبثاني المعلم في برج صافيتا.

تميز بالعفة والقناعة، ولده الشيخ عبد اللطيف إبراهيم خليفته في علمه وفضله.

٨- الشيخ عبد الهادي حيدر: ولد ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م، قرأ القرآن الكريم على الشيخ عبد الكريم البوغا المهاجر من أضنة، حفظ الأجرومية وكتاب نجم الدين وإعراب بعض سور القرآن الكريم، وقواعد اللغة العربية ولغة الإعراب لناصر اليازجي، وسلسلة الشرتوني.

قرأ دواوين: المتنبي والقاضي الأرجاني ولزوميات أبي العلاء المعري. اتصل بالشيخ سليمان الأحمد الذي لقبه بشاب العلم شاعر مداحة، مُمدِّح، كثير الزوار بسبب علمه الواسع وفضله السابغ.

وما كان لليقظة العلمية أن تمر من دون عوائق فقد تصدّت لها قوى كانت تريد للعلويين أن يظلّوا يعمهون في حياتهم ليستغلّوهم، وليبعدوهم عن الاندماج في الحياة الجديدة التي بدأت تفرض نفسها في الشرق، حياة العلم والحرية والتنوير والعيش الكريم، ولذلك حرّضوا العامة على عدم الإقبال على المساجد لأنها مراكز للعلم وحاربوا بخاصة تعليم الإناث وصاروا يزيّنون لهؤلاء العامة أن بناتهم حينما يحصلن على العلم لن يستفدن منه سوى مكاتبة الشباب وتحرير الرسائل الغرامية، والعلم بالنسبة للبنات قضاء على الحياء والشرف في زعمهم، والشباب حينما يتعلمون سوف يتنكرون لأبائهم ولن يحترمهم ولن يجلّوا شيوخ الدين أو يطيعوهم فيما يوجهونهم إليه. (ومن الطريف أنهم كانوا يعلمون بناتهم في الكتاتيب أو يرسلونهن إلى مدارس داخلية مسيحية).

ولمّا شاهدوا إقبال العديد من العلويين على العلم سَعَوْا عند أصحاب المصالح الخاصة وحرّضوهم على إشعال فتنة عمياء بين العلويين واستعانوا بقوى من خارج العلويين ، وهكذا اشتعلت الفتنة العشائرية لإيقاف تقدّم هذه الطائفة في مدارج الحضارة والالتقاء بمن يجاورها من المجتمعات الشقيقة ، وهكذا رأينا من يدعون رؤساء العشائر يتهاثرون فيما بينهم ويتحزّب لكل واحد منهم فريق من عشيرته ربط مصالحة بمصالح رئيس عشيرته الذي كان يفرض عليه ضريبة تؤدّى له باللبيرات الذهبية سنوياً ، هؤلاء الغرقى في مستنقعات الجهل .

وقد سارع عدّة علماء ورؤساء لإطفاء نار هذه الفتنة الكريهة وكان لهم دور كبير بين أنصارهم ومحبيهم ، ومن يكرهون العشائرية وسخفها وهواها المردي ، ويذكر بالفضل والتجلّة والاحترام العلماء : الشيخ حسين أحمد والشيخ ناصر الحكيم والشيخ إبراهيم مرهج .

وكان للعلامة الشيخ حسين أحمد فضل المسارعة بإرسال قصائد إلى الرؤساء والعلماء أثناء الفتنة عام ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م ، وكان ممّن استعان بجهودهم العلامة إبراهيم المرهج ، وأرسل ما يماثلها إلى الزعيمين حامد أفندي يوسف وعباس جابر ، يدعو الجميع للتعاقد وإماتة النعرة الطائفية .

ويورد خبر هذه الفتنة مؤلف (خير الصنيعة) في ترجمته للشيخ حسين أحمد فيقول : «وله جهاد عظيم في الحاليتين الدينية والدنيوية ولا سيّما مكاتباته وقصائده التي مدح فيها زعماء الدين والدنيا كالشيخ إبراهيم مرهج وإخوان محيطه والمرحومين حامد يوسف وأخيه محمد يوسف مّي وعباس جابر حين اضطرب الأمن والفوضى العمومية التي حصلت في صافيتا أثناء حكومة إسماعيل خير بك في الحصن وصافيتا وتقسيم الشعب إلى عشائر وأحزاب وميل العامة كل جماعة لزعيمها ممّن كان مع البيك المذكور أو عليه فكتب للرؤساء المذكورين قصائد يحضّهم فيها على الألفة والاتحاد العمومي ، وترك النعرة الطائفية وتألّف رابطة دينية عهدوا بها إلى الشيخ إبراهيم مرهج » .<sup>(١٨٣)</sup>

ويتضافر المخلصين والحريصين على المصلحة العامة وخيرها وثدت الفتنة وقامت رابطة دينية بمثابة حلف مقدّس بين المخلصين والعشائر جميعها للقضاء على الفرقة ونبذ من يشرّ بها ويعمل على نشرها .

ويلاحظ أنه كان لبعض الشخصيات المرتبطة بأوروبا دور في إذكاء هذه الفتنة بدس وخديعة ومكر من السلطات التركية ولنلاحظ ذلك في شكوى الشيخ والزعيم عباس جابر في أشعار نظمها أثناء حبسه في بيروت وجزيرة رودس لاتهامه بالاشتراك في الفتنة الطائفية<sup>(١٨٤)</sup>.

ويبرز الشيخ يوسف علي الخطيب في دور شيخ جليل سعى لإطفاء نار الفتنة والقضاء على العشائرية ونبذها وسعيه الدؤوب للإصلاح بين جميع العشائر ويبرز كرمه المفرط (لكأنه هرم بن سنان أو الحارث بن عوف اللذان أوقفا الحرب بين عبس وذبيان وأحلا السلام بينهما) ويمثله الشيخ أحمد معلا (بعمو) المتوفى ١٣٤٤ هـ / ١٨٩٦ م<sup>(١٨٥)</sup>.

لقد تركت هذه الفتنة آثاراً سيئة وجروحاً عميقة وشروخاً واسعة امتدت وتعرّجت في القرى والسهول والوديان والجبال وألقت بليها الحالك السواد على فضاء العلويين فجلّلتها بالحقّد والبغضاء والغزو والسلب والنهب، وهجر المساجد من جديد مخافة المداهمة وإطلاق النار أو ذبح من يصلّي بها من الخصوم أو الرافضين للعشائرية وتباطأت حركة العلم أو توقفت في بعض المناطق واحتجّ العلم وقهقه الجهل. وتحدّث الشيخ محمود صالح عن نتائج هذه الفتنة: «أخذ أولئك الرؤساء يناوئ بعضهم بعضاً ويعمل كل منهم بما يراه من مصلحته ويحكّم هواه في عقله ويسر وراء نزعاته، ويسير قومه برغائبه، ويثّ فيهم روح الكراهية لإخوانهم أبناء العشائر الأخرى غير آبه لما يؤول إليه حال الجماعة ولا يفكر بمصير الشعب القائم على تصريف أموره المسؤول عنه أمام العدالة الإلهية بحكم السنّة المقدّسة وكلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته». . . إلى أن يقول: وكان من جرّاء هذا التوجيه الفاسد أن أخذ العلويون يفزّو بعضهم بعضاً ويسلب بعضهم أموال بعض، وكثر بينهم النّهب وعمّت الفتنة واضطرب جبل السفينة وربانها مخمور تنقّاذفه ومن معه أمواج الجهل وتعصف بهم ريح الأحقاد ممّا جعل أمر صلاحهم متعنّداً والأمل بنجاتهم ضعيفاً. . . لقد اجتاز العلويون في أدوار تاريخهم الطويل خلال ماضيتهم الرهيب أدهى وأمر ما تجتازه فئة محكومة في مراحل حياتها. . . وكلّما نزلت بهم نازلة تضاعفوا أمامها واستكانوا لها، وازدادوا انكماشاً على أنفسهم وابتعاداً عن مجتمعهم، فيزداد المجتمع منهم نفوراً وعنهم بعداً وعليهم نقمة، وبهم استهانة، وهم عمّا يعرفونهم لا هون، مشغولون بانقسامهم عن تدارك أمرهم، صابرون على بلائهم، مستسلمون لمشيئة الأقدار فيهم، محتفظون بلغتهم العربيّة، ودينهم الإسلامي وتقاليدهم القوميّة الموروثة وأصولهم وأنسابهم العربيّة<sup>(١٨٦)</sup>.



وما دما قد عرضنا للفتنة العشائرية فلا بد من وقفة مع أنساب العلويين ومع عشائريهم :

١ - عشيرة الكليّة : وهي من قبيلة كلب البمنية القوية المعروفة . وهي من أقوى عشائر بلاد الشام ، ومنها النسابة المعروف السائب الكليبي صاحب كتاب (الأنساب) الذي حققه المحقق محمود الفردوس العظم وهي أيضاً أكبر العشائر ، أهلها ساكنون في قلب البلاد العلوية .

وفي مقابلة تلفازية أجراها معه المذيع رياض نعان آغا في التلفزيون العربي السوري مساء يوم الإثنين في ٢١ / ١ / ١٩٨٩ بين الأستاذ العظم أن الرئيس حافظ الأسد يعود بنسبه إلى قبيلة كلب العريقة في عرويتها ، وأن قبيلة كلب كانت الأقوى بين كل القبائل ، وأنها كانت منتشرة في بلاد الشام وقام عزّ الأمويين على أكتافها ومن عظمائها أسامة بن منقذ ونائلة بنت الفرافصة ، وامرؤ القيس والد الرباب زوجة الشهيد الحسين بن علي عليه السلام ، ووالد ابنة أخرى كانت زوجة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، ووالد ابنة ثالثة كانت زوجة للإمام الحسن عليه السلام .

٢ - عشيرة الخياطين : وتعود بنسبها إلى الشيخ علي الخياط البانياسي البسطوري الممتد نسباً إلى الشيخ علي الليث المدفون بقرية (قديو) الساحلية ، الشهير بالشيخ علي النخلة صاحب الكرامة ، ويمتد بنسبه إلى أبي الفتح محمد بن الحسن البغدادي الجوهري الشاعر ، وكنت قد حدثتكم عن كرامة الشيخ علي الخياط بإقدامه على خياطة سكة المحراث بورق الشبوط وحرأته بها وكأنها لم تكسر .

٣ - عشيرة المتاوررة : تعود بنسبها إلى أحد أولاد الأمير المكزون السنجاري والذي قال بعضهم إنه ينتهي نسبه إلى المهلب بن أبي صفرة الأزدي اليماني .

٤ - عشيرة العدّادين : المنتسبة إلى محمد المعلم الحداد بن مكائيل يوسف بن محمود الذي ينتهي نسبه إلى الأمير الشيخ علي العامود ابن الأمير المرسل الكليبي الكنايني التتوخي ولذلك فهي عشيرة سلالية للعشيرة الأم الكليية . (الشاعر أحمد أسعد الحارة) .

وتابعت الحياة مجراها حتى مطلع القرن العشرين الميلادي وفي العقد الأول منه حدثت تطورات جديدة في الدولة العثمانية ، فقد خلع السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٨ واستولى على الحكم بانقلاب عسكري حزب الاتحاد والترقي الطوراني التركي المتعصب للقومية التركية فعامل العرب معاملة من الدرجة الثالثة ، فقام أحرار العرب في كل مكان من

الدولة يؤلفون الأحزاب والجمعيات العربية للنهوض بالأمة العربية لتلحق ركب الأمم المتحضرة بعد أن ظلت سادرة في التأخر والانحطاط أكثر من أربعمئة سنة أيام الحكم التركي وقامت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ودخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا عدوة فرنسا وبريطانيا .

وخاف الأتراك من الوعي الذي انتشر بين العرب في كل مكان يخضع لحكمهم فأرسلوا أحد قادتهم المشهور بالبطش المدعو جمال باشا السفاح ليقضي على كل حركة عربية وليعد جيشاً عربياً يهاجم به قناة السويس ويحتل مصر الرآضة تحت الانتداب البريطاني وقد جند جيشاً كثيفاً من بلاد الشام فارضاً التجنيد الإجباري وقام بمهاجمة البيوت وألقى القبض على كل قادر على حمل السلاح وجنده في هذا الجيش .

وكان الدرك التركي يهاجم القرى ليلاً ويلقي القبض على الفلاحين الصالحين للخدمة العسكرية ويسوقهم إلى مراكز التدريب ومنها إلى الحجاز أو اليمن تمهيداً للهجوم على قناة السويس .

ولا يزال الناس يذكرون هذه الحرب باسم (سفر برلك) ، ويذكرون كيف كان الدرك يسوقون أجدادهم قسراً للاشتراك في هذه الحرب ، وكيف كان هؤلاء الدرك يضحكون من الذين يلقون القبض عليهم بإقتاعهم بإعطائهم الليرات الذهبية التي يحملونها لإطلاق سراحهم فعلاً ، والسماح لهم بالعودة إلى بيوتهم ، وما إن يحصلون على ليراتهم الذهبية حتى يسارعوا إلى تركهم يعودون أدراجهم إلى ذويهم ، ولكن بعد ساعات قلائل من عودتهم يعود هؤلاء الدرك يطوقون بيوتهم ويسوقونهم من جديد إلى مراكز التجنيد .

ونال العلويون نصيباً كبيراً من هذا التجنيد الإجباري والتحقوا بالجيش العثماني مكرهين كما جرى لغيرهم من سكان بلاد الشام وتخلص بعضهم من الجندية بالهرب إلى الأمريكيتين خلصة عن طريق المرافئ الساحلية في بلادهم أو عن طريق المرافئ اللبنانية وتعتبر هذه الفترة ثاني لقاء لهم مع المهاجر .

وقد استفاد العلويون من هذه الحرب إذ خرجوا من عزلتهم والتقوا أفراداً من مجتمعات شتى ومن امكنة بعيدة عن مناطقهم فتعرفوا إلى أحوال إخوانهم العرب وشكوا لهم همومهم وأحزانهم وبعضهم تزوج من الحجاز أو اليمن أو دمشق وعاد بزوجه وأولاده بعد انتهاء الحرب ، وبعضهم قضى شهيداً . .

وقد اندحرت تركيا في هذه الحرب وفجر أمير مكة الشريف حسين مع أحرار العرب ثورة ضدها عام ١٩١٦ ، وارتكب السفاح جمال أفطع الجرائم بحق أحرار العرب وزعمائهم فنصب لهم المشانق في بيروت ودمشق وشنق العديد من هؤلاء الزعماء المطالبين بالحرية والاستقلال لبلادهم .

وانتصرت الثورة العربية وخسرت ألمانيا وتركيا الحرب فرحلت الجيوش التركية عن البلاد العربية وتخلّصت بلاد الشام من الحكم التركي في تشرين الأول ١٩١٨ وتشكّلت دولة عربية في دمشق لأول مرة في بلاد العرب بعد مئات السنين من الاستبداد والقهر والظلم ، وعاد من بقي من العلويين إلى مدينته أو قريته ، وغمرت الفرحة بلاد العلويين جميعها لأنها تخلّصت من الحكم التركي البغيض الذي ذبح منهم من ذبح ، وقتل منهم من قتل ، وظلمهم وأذاقهم الصاب والعلقم ، وعزلهم عن إخوانهم في داخل البلاد وعن العالم الخارجي وبث بين الأشقاء كرهاً وحقداً وتوجساً وخيفة / وهذا يدين المستعمرين / ولكن فرحتهم لم تدم طويلاً فقد دهمتهم داهية جديدة هي : الانتداب الفرنسي .

#### علماء وشخصيات من القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين:

١ - الشيخ خليل معروف النميلي : الممتد نسباً إلى الشيخ سلمان الرويس ، عالم بارع ذائع الصيت . ورع منقطع إلى العبادة ، لا يشغله مال ولا ولد ، نشأ وأخوه يتيمين وجار عليهما الزمان بظلم الحكّام ، هاجر إلى بلاد الحصن وسكن قرى عديدة؛ الصوري والصفيفات ، خربة القبو ، المحفورة ، وفيها صار له رزق كبير فحَسَدَ عليه وأبلغ عنه حاكمُ ظالمٌ فهرب منه إلى الجبال ، إلى قرية فلسقو ، وبعد أن استقرّ به المَقام قام بتشييد (مقام) للخضر عليه السلام في (الطليعي) وبيت سكن للشيخ جابر المنصور .

وله وصية يوصي بها إخوانه في طلب العلم والمحافظة على الإيمان ويكثر فيها التحذير من الأمر المنكر ، مُعَدِّح من علماء عصره . توفي ١٢٣١ هـ . (١٨٧)

٢ - الشيخ إبراهيم مرهج : ينتهي نسباً إلى حيدر بن صدّقة . ولد في بعمره ١٢١٠ هـ وتوفي ١٢٨٣ هـ ، عالم فقيه ، عمدة زمانه ، يرجع إليه في الفقه مؤلف ، زعيم ديني ، ساهم في إطفاء نار الفتنة العشائرية عام ١٢٧٠ هـ وألّف مع الساعين لإطفاء هذه النار رابطة دينية بَثَّت في العلويين روح الاجتماع والائتلاف بعد التفرقة والاختلاف . (١٨٨)

٣- الشيخ أحمد علي (القلع) شاعر، عالم، رحالة، ساح في بلاد انطاكية واللاذقية وطرابلس وحمص وحماة، ومدح العلماء الذين شاهدتهم في هذه البلاد بقصيدته الرائية التي مطلعها:

سقتني صروف الدهر كأس المرائر وعدت كمشمول من الهم حائر  
وتجاوز متني بيت ألفها عام ١٣٠٠هـ، وأحصيت من مدحهم فيها فوجدتهم يقاربون  
المئة. اخترت منها:

عقلت أسفاراً عن الجد أنه على طلب العرفان من أمر أمر  
لقول رسول الله بالحق هاجروا واستغنموا جدّاً بصيد الجواهر  
٤- الشيخ جابر المنصور (الطليعي) يمتد نسباً إلى علي بن مقdad الحلبي المتوفى  
٨٨٥هـ. ولد في بسماقة من قرى ناحية المشتى ثم انتقل مع والده إلى قرية الطليعي بدعوة  
من علماء عصره وفي مقدمتهم الشيخ خليل النميلي للاشتراك في بناء مسجد الخضر عليه السلام  
في الطليعي.

٥- الشيخ حيدر ديب / قصاين / الستهني نسباً إلى سلمان الرويس بن نميلة، ولد في  
قصاين ١٢٢٨هـ وتوفي ١٢٨٠، مذكور بالتقى والعبادة لبلاً ونهاراً. كان يحب معاشره  
العقلاء ويتجنب الجهلاء، له اليد الطولى في عشيرته بعد أبيه.

٦- الشيخ سلطان / بلين / بلين قرية من أعمال حماة. ولد ١٢٠٩هـ وتوفي ١٣١٠هـ،  
شاعر، بليغ، من ذوي الكرامات الخارقة والأخلاق الفائقة، ممدح من علماء عصره.

٧- عبد الحميد اليونس ياسين: كان رئيساً وقدم خدمات جلّى، وصادم الخصوم فأبعد  
إلى تركيا (طرابزون) وبقي أعواماً في المنفى، وتزوج ابنة عائلة شريفة من طرابزون أحضرها  
معه حين عاد إلى قريته وقام بتشيد جامع له مثذنة وأوقف أوقافاً للجامع، احترمه الحاكم  
المستبد في صافيتا مصطفى الأنجا، وتحاشى أراضى آل يونس بسبب ذلك الجامع.

٨- الشيخ عبد الرحمن حسن غنوم: ١٢٧٣ - ١٣١٠هـ ولد في قرية فاحل، ولما شب  
تركها واستوطن قرية (حدانة) ثم انتقل منها إلى جرنابا، ولي عارف، له مجاهدات في الدين.  
ممدح من علماء عصره.

٩- الشيخ علي مرهج: البيضاء ١٢٢٨ - ١٣١٢ هـ، ينتهي نسباً إلى موتس بن محمد، وليّ، رئيس مقدم، كان يُعَوَّل عليه في الإصلاح بمحيطه، ممدّح من علماء عصره.

١٠- الشيخ محمد سلمان / المزارع / ١٢٢٨ - ١٣١٦ هـ: عالم، عارف، كثير الخشوع والصلاة والصيام، مولع بقراءة القرآن الكريم، عفيف النفس له المرتبة العليا بين جميع العشائر، كان يقول: كثرة القضايا تجلب البلايا، وكان مع زعامته رئيساً مع الرؤساء، عالماً مع العلماء، عابداً مع العباد، غنياً مع الأغنياء، متواضعاً مع الفقراء. ممدّح من علماء عصره. حارب الغرافات والعادات الدخيلة وأفتى بكرهية الأكل من الجَزَر المذبوحة في رأس السنة الشرقية.

١١- الشيخ محمد عمار / حلبكو/ توفي ١٢٩٥ هـ: ينتهي نسباً إلى محمد المعلم الحداد المكزون السنجاري. كان من رؤساء ومشايخ عصره ديناً ودنياً، قلّ أن وجد في عصره من يعادله جمالاً وكمالاً وفصاحة ومهابة، وكان السيّد الوحيد المطاع في عشيرته.

١٢- الشيخ ناصر الحكيم: ١٢٤١ - ١٣١٦ هـ: عالم، عارف، وليّ كبير، جواد كريم، فضائله كثيرة ومناقبه كبيرة، طائر الصيت، مبرّ للفقراء والمساكين، متواضع، كثير العبادة، لا يماري أبناء الدنيا ولا زعماءها، دأبه الوعظ والنصح لهم، كان يصطحب خيزه وملحه معه. كان يكلف المقدمين والرؤساء بسكب الماء على أيدي العلماء ليتواضعوا. مؤلف قليل الشعر. ممدّح من علماء عصره.

١٣- القاضي الشاعر عبد الكريم سعد: توفي ١٣٢٥ هـ: عالم، علامة، شاعر فصيح، أوّل من نظم أشعاره بالفصحى من المحدثين، تعلم تعليماً بسيطاً في الأجرومية لكنه جدّ حتى وجدّ، وأصبح شاعراً فصيحاً وقام بنشر اللغة العربية الفصحى بين العلويين، وعيّن أيام الأتراك معلماً في قرية (بحنين) وأثناء حكم الفرنسيين عيّن قاضياً في طرابلس براتب عشرة دنانير ذهبية فاشترى أملاكاً وصار غنياً بعد الفقر. له ديوان شعر كبير، شاعر مدّاحة ونوّاحة أيضاً يشابه الشاعر أبا تمام. مدح كثيراً من علماء عصره ورؤسائه، ورثى الكثير أيضاً. من شعره:

ماذا أرى يا ترى في عرب ذي سَلَم	هم خضبوا وجنتي يا صاحبي بدم
هم علّموا مقلتي طرز البكا فشكاً	لهجرهم بالنوى لبّي من الألم

خُفِيتَ وجدلاً ولولا أنه عرضت      بمهجتي لم يعدني عائدُ السقمِ  
أنا الغريم إذا الدعوى بهم فُتحت      لست البريء ولا عرضي بمتهم  
يا جاعلي مهجتي في حُبهم هدفاً      لنيل فيسانهم هل جاز سفك دمي؟  
يلاحظ تأثره بأحمد شوقي والبوصيري في مدح الرسول العظيم ﷺ، ومن شعره أيضاً:

ما في اللوى عرفوا يوم النقا خبري      ولا وقفت بهم يوماً على أثري  
غزلان نعمانٍ لسي فيهم منعمة      تغني إذا برزت ليلاً عن القمر  
أبيّة الوصل لا ينجاب برقعها      إلا كشمس جلّتها السحب للبصر  
كحيلة الطرف كم في لحظها كَمَتَتْ      منيةً والمني منها على حَلَرٍ  
ما طرُقها الفنانان الفتان منظره      إلا محجة تشويق لذي نظير  
١٤- الشيخ يوسف علي هيد: ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٥م- ١٣٥٠/ ١٩٣٠م.

ينتهي نسبه إلى المعز لدين الله الفاطمي . ولد في قرية بشرافي - جبلة

جاءه الله بسطة في العلم والجسم فأسبغا عليه مهابة، وكان تقياً ورعاً موحداً عابداً  
يصل الليل بالنهار، واتصف بالحلم والأناة مما أهله لأن يكون سيداً بالدين والدنيا، مُمدِّح  
من علماء عصره . بعد وفاته شيّد أولاده مسجداً بجانب ضريحه .

١٥- الشيخ معلّاربيع: ولد عام ١٢٩٧هـ في قرية الدالية وبها نشأ محباً للخلوة والانفراد  
والتعبّد، هاجر مع إخوته إلى قرية بيرة المشايخ فنشأ عالماً بارعاً، عارفاً، وعندما جالس  
العلماء في صافيتا شهدوا له بالسبق والتفوق . ممدح من علماء عصره .

١٦- الشيخ أحمد ديب الخير: ١٨٥٩- ١٩٥٥م: رجل محنك، فصيح اللسان، وقور،  
مقدام، حازم، سديد الرأي، عيّن قاضياً في قرته ثم رقي إلى وظيفة قاضي القضاة بمحكمة  
استئناف الشرع العلوي أيام الحكم الفرنسي، وبعد تقاعده من الوظيفة انتخب نائباً في حكومة  
اللاذقية ١٩٣٥، (١٨٩)

١٧- الشيخ يوسف مي: الجد الأكبر لعائلة بيت الحامد / رأس الخشوفة/ صافيتا.  
اشتهر بعلم الفلك وأتقن عنه هذا الفن خليفته الشيخ محمد اليوسف وانتهى علم الفلك بعده  
إلى سميّه الشيخ محمد اليوسف .

١٨ - محمد اليوسف القاطن في مزوعة بيت بلول / صافيتا/ ، وكانت عنده كتب مخطوطة قيّمة يرجع تاريخها إلى عهد العباسيين المزدهر ، إضافة إلى آلات يونانية الطراز لرصد الكواكب منها اصطrolab دقيق الصنع يضبط بواسطته حصول الكسوف والخسوف بدقة غريبة .

١٩ - الشيخ علي القاضي المعروف بالشيخ علي بلرة في (صهيون - صافيتا) : نسب إلى أمه ورتي يتيماً عند الشيخ يوسف ميّ واستقدمه الشيخ يونس ياسين إلى قرية بيت الشيخ يونس حيث نصبه قاضياً ومعلماً ولهذا عرف هو وعائلته من بعده ببيت القاضي ، وعنه أخذ اللغة نفر من أبناء العائلات الشهيرة .

٢٠ - عبد الكريم الحاج : تولى التعليم الحكومي في مدرسة (بحّتين) على عهد متصرف اللاذقية المرحوم ضيا باشا والقضاء المذهبي في طرطوس على عهد الانتداب ، وله شعر في مدح النبي ﷺ وآل البيت الأطهار وأولياء عصره . وكان فقيهاً عابداً وعالماً غيوراً .

٢١ - مصطفى مرهج المعروف بالسيد الجد الأكبر لعائلة بيت السيد بعمرا - صافيتا ، نبغ في علم الفقه وخاصة في فرع الإرث ، ونبغ فيه أيضاً ولده إبراهيم السيد ولهما في الزهد أحاديث تجدد عهد إبراهيم بن أدهم الولي العظيم .

٢٢ - عبد الله الخير : تولى التعليم الحكومي في مدرسة الفرداحة على عهد المرحوم ضيا باشا ، أنكر القوزلي والبربارة وما يتعلق منهما بطقوس أجنبية عن المذهب الجعفري (العلوي) وبرز في محاربتها والتغلب عليها وبرز في دحض الخرافات المتسلطة على عقول الجهلة من أمثال فكرة الجن والتوابيع والتنجيم والرمل والمندل وما شاكلها إذ لا تتركز على أساس من الحقائق العلمية .

٢٣ - عبد الكريم محمد ١٢٩٥ - ١٣٥٤هـ :

عالم ، شاعر ، ولد في قرية المصيطبة من أعمال صافيتا ونشأ في حجر والد كريم حثه على طلب العلم فتدرّج إلى أحد مجاوريه الشيخ أحمد سلمان - حمين/ فأخذ عنه قواعد النحو من الأجرومية ونجم الدين وغيرهما ، وطمحت نفسه إلى طلب الزيادة فطالع وراجع وسأل عما لا يعلم من يراه أوسع علماً وأكثر اطلاعاً فصار من الطبقة العليا بين علماء العلويين وبخاصة قرّض الشعر بكافة فروعه وبخاصة في التوسيل ، من شعره يعاتب عزيز الهواش وكان قائم مقام قضاء صافيتا وحكم لخصم الشيخ عبد الكريم بعين ماء كانت للشيخ في أرضه :

فكيف لديك جاز يمين خصمي      وعندى بيّات كالمشاني؟  
ولا يخفّاك يحلف كلّ باغ      إذ للحق أنكرو وهو جاني  
أنطلب ضوء مصباح ضعيف      ونور الصبح يشرق في الكيان؟  
٢٤- الشيخ عبد الكريم عمران: ١٢٧٢- ١٣٥٦هـ / ١٨٥٥- ١٩٣٧م.

ولد الراحل الكريم في قرية (حمين) من أعمال صافيتا العام / ١٢٧٢هـ، من أب -نميل  
الأخلاق تقي السجّية ترعاه الأنساب الزكية. وتوفي والده وهو لم يبلغ السادسة من عمره،  
فنشأ في رعاية والدته وكانت من النساء الطاهرات، وهي تنسب إلى عائلة بيت (الشيخ عبد  
الله الدالي) المشهورة بين العائلات بكرم محتدها.

ولمّا بلغ الثامنة من عمره، أخذ يراجع المعلمين القرويين المعتادة. ولم يلبث يوماً  
على آخر لدى معلم، نظراً لضيق ذات يده وظروفه الحياتية الصعبة، بل كان يأخذ دروسه  
سماعاً من التلامذة، وكان يحفظ في اليوم ما يحفظ غيره في الأسبوع، فلم يمض عليه أكثر  
من شهرين على هذه الطريقة، حتى ختم ربع القرآن الكريم بأجود قراءة. وأخذ يدرس في  
الروايات والكتب الأدبية، حتى أصبح يدرك معنى لأي جملة تمرّ عليه.

وقد اختار لنفسه أستاذاً تقياً من الرجال المتوسمين، يدعى الشيخ سلمان إبراهيم  
(حمين). ولمّا بلغ العقد الثاني من عمره، رأى في جده قصوراً، فحتم على نفسه بنفسه،  
وأخذ يدرس في الكتب الدينية، والأحكام الشرعية، إلى أن صار فيها عالماً فقيهاً. ثم انكب  
يدرس قواعد اللغة العربية من الكتب القديمة المشروحة. وبعد أن برع في علم اللغة،  
وأصبح أسوة في العلوم الفقهية، وإماماً يُقتدى به، نظر بعين البصيرة فرأى بأن زينة العلم  
العبادة والتمسك بإقامة الغروض الواجبة، فسار على هذه الجادة القويمية، إلى أن بلغ العقد  
الخامس من عمره، فتريع على دست العبادة بإقامة الصلوات ليلاً ونهاراً.

وقد تماطى عالمنا الراحل، فن الشعر في صباه، وله قصائد في الابتهاال والدعاء والرناء،  
ومن ثم لم يرق له نظم الشعر فتركه وتفرّغ للعبادة.

وطار له الصيت الأكبر في العبادة والكرامات، فطبق آفاق البلاد. ومن كراماته المشهورة  
قصيدته في رثاء المغفور له الشيخ عبد الكريم محمّد، المتوفى قبله بعام وثلاثة أشهر، وقد  
رثاه وهو حيُّ يرزق، وبقيت قصيدة الرثاء مكتوبة بوصيّة منه، إلى أن توفي الشيخ عبد الكريم



عمران، عندئذ استوفت الوصية حقها، وتُليت في حفل تأبين الشيخ الأسبوعية، فكان لها الوقع العظيم في قلوب الجميع، ومن هذه القصيدة نختار:

خض غمرة الموت أن الخوف والحذر لا يمنعان القضاء المحتوم والقدر  
وكل ما تقتضي أحكام دهرك فسي لوح المشيئة عند الله قد سطرا  
وتجدر الإشارة إلى أن حفيد الشيخ الجليل المهندس (عبد الكريم علي عمران ديب)  
قام مشكوراً بإعادة طباعة كتاب (اللوعة الخرساء في أصدق الرثاء) ويشتمل على ما قيل في  
فقيه الشعب جده الكريم. [المصدر: من أعلام الفكر والأدب، وطلائع النهضة الأدبية في  
محافظة اللاذقية، تأليف الشيخ العلامة عبد الرحمن الخَيْر (مخطوط)].

٢٥- الشيخ علي عبد الكريم عمران: ١٩١٠-١٩٨٤.

شيخ جليل ومصلح اجتماعي. ومجاهد من دعاة الوحدة السورية زمن الانتداب  
الفرنسي. ولد في قرية (حمين) القريبة من بلدة صافيتا. والده هو الشيخ عبد الكريم عمران.  
وكان الشيخ علي وحيد أبيه الشيخ الكبير، وموضع رجائه، ألبسه بردة العلم والشرف، منذ  
نعومة أظفاره، وظلّ طيلة حياته يغترف من بحر المعرفة على يدي والده وكوكبة من شيوخ  
جبال اللاذقية.

وكان واحداً من أعضاء الوفد السوري الذي ذهب إلى لواء الإسكندرون العام ١٩٣٧،  
قبيل سلخه. وذلك للاتصال بأهاليه، لحثهم على اختيار الانضمام إلى سورية الأم، في  
الاستفتاء الذي أجري آنذاك، فجاءت نتيجته لصالح الوطن السوري.

وكانت له اليد الطولى إلى جانب دعاة الوحدة الوطنية، في مقاومة سلطة الانتداب  
الفرنسي، من أجل الحصول على الاستقلال التام.

لم يرشّح نفسه لأي منصب سياسي خلال حياته، على أنه مارس السياسة منذ فجر  
شبابه إلى آخر يوم في حياته، ولكن فيما ينفع الناس ويؤلف بين قلوبهم إصلاحاً لذات  
البين، وانتصاراً للضعفاء، وقضاءً للحاجات، ونهضة عمرانية وثقافية واجتماعية في بلده  
(حمين) أو في مدينة طرطوس حيث أقام. أدى مناسك الحج العام ١٩٧٥.

[المصدر: من هو في سورية في القرن العشرين، تأليف الكاتب الصحافي هاني الخَيْر  
(مخطوط)].

## ٢٦- الشيخ علي العباس سلمان: ١٨٧٧- ١٩٦٨ .

من كبار علماء المسلمين الجعفرين (العلويين) ، وأحد رواد الإصلاح الاجتماعي ، ومن دعاة النهضة التعليمية في جبال اللاذقية . ولد في قرية (بحوزي) من أعمال صافيتا ، ثم انتقل إلى قرية (ضهر حمين) منطقة الدريكيش ، حيث بنى مسجداً . ویشاء القدر أن يدفن إلى جواره فيما بعد .

أسس مدرسة في قرية (العازة) القريبة من بانياس الساحل ، استوعبت عشرة مدرّسين ، وأكثر من ١٢٠ / طالباً . ومن أبرز طلاب هذه المدرسة : المرحوم الشيخ العلامة عبد الرحمن الخیر . والشاعر الكبير المرحوم نديم محمد ، والشيخ العلامة المرحوم محمد ياسين . وقد أسندت إلى الشيخ الجليل أمانة سر ثورة المجاهد الكبير الشيخ صالح العلي . كان قوي الحجة بليغ الموعظة ، إذا تحدّث أوجز ، وإذا خاصم أعجز ، وإذا دخل في مناقشة أمر جلل ذلّل صغابه وكشف معماه . من مؤلفاته المطبوعة (القلائد في العقائد) الذي أشرف على طباعته ، في طبعة ثانية ، وفي حلّة نضرة قشبية حفيده المهندس نزار محسن العباس جزاه الله خيراً .

[المصدر: من هو في سورية في القرن العشرين (مخطوط)] .

## ٢٧- محسن العباس: ١٩١٢- ١٩٨٣ .

رجل قانون . من دعاة وحدة سورية في زمن الانتداب الفرنسي ولد في قرية (بحوزي) والده العلامة الجليل الشيخ علي العباس سلمان . تلقى تعليمه في المعهد العلماني الفرنسي في بيروت . مجاز من الحقوق من جامعة دمشق العام ١٩٣٤ ، وإجازة في مدرسة الأدب العليا العام ١٩٣٤ . عمل محامياً بين عامي ١٩٣٥- ١٩٣٧ ، ثم انتسب إلى سلك القضاء في العام ١٩٣٧ ، وتدرّج في القضاء حتى وصل إلى أعلى المراتب الوظيفية في القضاء السوري . تُدبّ محافظاً لدرعا بالمرسوم رقم ٤٦ / تاريخ ١٤ / ١٠ / ١٩٦١ ، وأوفد إلى مؤتمر السلام العالمي ممثلاً عن رجال القانون في جنيف العام ١٩٦٦ . من كُتبه المطبوعة (الحقوق السوفيتية) تأليف رينيه دافيد وجون هازرد ، (ترجمة) ج ١ ، منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب - دمشق .

[المصدر: من هو في سورية في القرن العشرين (مخطوط)] .

٢٨ - الشيخ عبد الرحمن الخَيْر: ١٩٠٤ - ١٩٨٦ .

ولد في بلدة القرداحة . والده هو العلامة الحافظ العابد المشتهر بلقب الدرويش لزهد ،  
الشيخ (محمد) بن الشيخ (ديب) بن الشيخ (سعيد) بن الشيخ (علي الخَيْر) وهذا الأخير هو  
الجد الأكبر للعائلة .

دخل الكتاب وعمره خمس سنوات ، وفيه تعلّم القراءة والكتابة ومبادئ التجويد في  
القرآن الكريم .

تابع دراسته في المدرسة (الرشادية) في القرداحة وعمره تسع سنوات . . وبسبب انتشار  
الوباء في الحرب العالمية الأولى أغلقت المدرسة أبوابها بعد عامين من انتسابه إليها .

دخل مدرسة دينية علمية خاصة - بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى - كان قد أسّسها في  
قرية (العنازة) التابعة لبانياس من الساحل نخبة من فضلاء (المشاخ) وأساتذة الجبل الأشم . .  
وفي هذه المدرسة تابع دراسته في الفقه الإسلامي الجعفري ، وقراءة علوم اللغة العربية على  
يدي الشيخ علي العباس سلمان .

في العامين ١٩٢٠ - ١٩٢١ ، تابع دراسته في الفقه الإسلامي ، وفنون المعاني والبيان  
والبدیع ، والمنطق على يدي الأستاذ العلامة الذائع الصيت المغفور له الشيخ سليمان الأحمد  
(عضو المجمع العلمي العربي بعدئذٍ بدمشق) .

وفي عام ١٩٢٢ استأنف دراسة علوم الحديث والتفسير والفقه على يدي الأستاذ  
المرحوم الشيخ علي العباس ، الذي افتتح مدرسة خاصة في القرداحة .

درس اللغة الفرنسية - لمدة ثلاث سنوات - وأجادها قراءةً وكتابةً .

نال شهادة أهلية التعليم - القسم الثاني عام ١٩٣١ . وعمل معلماً في سلك التعليم . .  
ثم استقال منه بسبب عجزٍ صحيٍّ طارئٍ في الحنجرة عام ١٩٤٣ .

زاول عملاً كتابياً في مديرية إدارة حصر التبغ والتبّاك ، ثم تقاعد لبلوغه السن القانوني  
اعتباراً من سنة ١٩٦٣ .

أقام في مدينة دمشق - بصورة دائمة - منذ عام ١٩٥٦ وحتى سنة وفاته .

عمل بوزارة الأوقاف بصفة مدرس ديني . وخلال عمله بالوزارة كتب ما يتعلق بمناسك (حجّ التمتع على المذهب الجعفري) .

وفي عام ١٩٧٦ طلب منه سيادة القاضي عبد الرحمن الأرياني ، الرئيس الأسبق للجمهورية العربية اليمنية ، التعليق على الفتوى التي أصدرها الشيخ عبد العزيز بن باز ، رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، والتي تتعلق بعدم صحة الصلاة خلف معتنقي المذهب الزيدي . . وقد علّق على فتوى ابن باز - بسبع صفحات قياس فولكساب - فراجع عن فتواه واعترف بخطئه . وقد طبع هذا الردّ أكثر من مرّة في دمشق .

كتب ردّاً مطوّلاً على أسئلة وردته من الدكتور شاكّر مصطفى في مطلع عام ١٩٧٦ . الذي يدرّس مادة التاريخ في جامعة الكويت . وكان ردّه في ٤٥ / صفحة ، وقد طُبِع هذا الردّ في كتاب بدمشق .

زار العديد من الدول العربية والإسلامية . وله مئات المقالات والدراسات والأبحاث المنشورة في الصحف والمجلات السورية والعربية .

أقدم على تأليف كتب للجمهور وللخاصّة ، لم يقدم عليها أحد . من مؤلفاته المطبوعة نذكر:

- الصلاة والصيام ومناسك الحجّ وفق المذهب الجعفري .

- موقف الإسلام من الإجهاض والتعقيم .

- عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين الجعفرين (العلويين) .

- الردّ على الدكتور شاكّر مصطفى ، رسالة تبحث في مسائل مهمّة حول المذهب الجعفري (العلوي) .

وترك العديد من المخطوطات التي يتصدّى لنشرها نجله الكاتب الصحافي هاني الخير . انتقل إلى جوار ربه صباح ١٨ حزيران ١٩٨٦ ، ودفن في مقبرة السيدة زينب عليها السلام بدمشق ، تنفيذاً لوصيته .

٢٩ - العلامة الشيخ محمود الصالح الزّلّو ١٩١٢، ١٩٩٨

ولد في قرية (زّلّو) من أعمال مدينة بانياس الساحل . درس لدى الكتاتيب أولاً ثم أخذ العلوم الدينية والعربية على يد والده ، والشيخ سليمان الأحمد ، والشيخ علي العباس

سلمان، والشيخ عيد الخير، والشيخ يعقوب الحسن. من مؤلفاته: النبأ اليقين عن العلويين، طبع أكثر من مرة. نزهة الأفكار في روضي الأحاديث والأخبار (مخطوط).

[المصدر: مجلة الموسم العدد / ١١ / ١٩٩١].

٣٠- علي حسين حرفوش: ١٩١٤.

فقيه وشاعر، ينتسب إلى الأسرة الحرفوشية، وهي من أمهات الأسر العربية العريقة عرويةً ومحتدًا. عُرف أسلافها بالعلم والمعرفة والصلاح، منهم العابد الزاهد الشيخ علي سليمان، والشيخ رجب المصلح الاجتماعي، والشيخ عيسى وأخوه الشيخ ميهوب فقيهان وشاعران.

تلقى مبادئ اللغة العربية والمبادئ الطبيعية والاجتماعية على يدي والده، وأنهى دراسته الإعدادية وحلقة دار المعلمين في اللاذقية، وعُيِّنَ مديراً للمدرسة الابتدائية في بانياس، إبّان الانتداب الفرنسي..

درس الفقه والتشريع الإسلامي على يدي الفيلسوف الراحل الشيخ يونس حمدان آل عباس سلمان، وكسب من فضله إرشادات جمة.. كما كانت له لقاءات مع العلامة الزاهد الشيخ عبد الكريم عمران، وولده العارف بالله، الشيخ علي عمران، وغيرهم من كبار العلماء والفقهاء.

تشرّف الفقيه علي حسين حرفوش بالحجّ إلى بيت الله الحرام العام ١٩٦٥ م بصحبة المجاهد الشيخ عبد الرحمن الخير وأخيه الشيخ عبد اللطيف.

للمترجم له مجموعة شعرية مطبوعة بعنوان (ذكرى ونشيد)، ويغلب على هذه المجموعة طابع الرثاء الوجداني، وهو يهوى الشعر لكن لا يحترفه ولا يقوله إلّا في الظروف التي تفرضه.

أسهم في بناء العديد من المساجد، لا سيّما مسجد قرية (المقرمدة)، المركز الرئيس للعائلة الحرفوشية، وذلك بالتعاون مع الفضلاء من شباب هذه القرية.

## المراجع

- ١٧٤ - خير الصنيعة ج ٤ ص ١٧٥٠ .  
١٧٤ مكرّر - يقظة المسلمين العلويين للشيخ عبد الرحمن الخير ص ٢١ .  
١٧٥ - خير الصنيعة ج ٤ ص ١٦٧٩ .  
١٧٦ - المسلمون العلويون في مواجهة التجني ص ١٥٠ .  
١٧٧ - خير الصنيعة ج ٣ ص ١٣٩٠ .  
١٧٨ - النبأ اليقين عن العلويين ص ١٣٣ .  
١٧٩ - خير الصنيعة ج ٤ ص ١٤٨٩ .  
١٨٠ - خير الصنيعة ج ٤ ص ١٦٥٨ .  
١٨١ - تاريخ الشيخ يوسف الخطيب مخطوط ١٦٩ .  
١٨٢ - خير الصنيعة ج ٥ ص ٢٠٢٧ .  
١٨٣ - خير الصنيعة ج ٤ ص ١٥١١ .  
١٨٤ - خير الصنيعة ج ٤ ص ١٦٢٦ .  
١٨٥ - تاريخ الشيخ يوسف علي الخطيب ص ٧٧ .  
١٨٦ - النبأ اليقين عن العلويين ص ١٧٦ مع وجود بعض الاختلاف بين الطبعتين ١ و ٢ .  
١٨٧ - خير الصنيعة ج ٣ ص ١٣٩١ .  
١٨٨ - خير الصنيعة ج ٤ ص ١٤٢٩ .  
١٨٩ - التراجع من ٢-١٦ مستقاة من كتاب خير الصنيعة ج ٤ و ج ٥ .  
١٨٩ مكرّر - عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين الجعفرين (العلويين) ص ٣٩ .

## الفصل السادس عشر

### العلويون أثناء الانتداب الفرنسي

رأى العرب أن فرصتهم قد سنحت للتخلص من الاستعمار التركي ولتحقيق استقلالهم ووحدتهم العربية، وهذه الفرصة تمثلت بالحرب العالمية الأولى التي اشتركت فيها تركيا إلى جانب ألمانيا المعادية لبريطانيا وفرنسا، وقد عرض الإنكليز والفرنسيون على الشريف حسين أمير الحجاز مساعدتهم لطرد الأتراك من البلاد العربية وتشكيل دولة عربية مستقلة.

وقد قام الشريف حسين بالثورة العربية ضد الأتراك في ١٠/٦/١٩١٦ واستطاع جيش الثورة بقيادة فيصل ولده دحر الجيش التركي الموجود في البلاد العربية وأخرج الأتراك من دمشق في تشرين الأول ١٩١٨ وتشكلت حكومة عربية في دمشق تحت إشراف الأمير فيصل.

ولكن الحلفاء غدروا بالعرب وقضوا على حلمهم بتأسيس دولة عربية مستقلة، واقتسمت فرنسا وإنكلترا البلاد العربية، بموجب اتفاقية وقعتها سرّاً بدون معرفة العرب دعيت اتفاقية (سايكس - بيكو). وكان للإنكليز حق السيطرة على فلسطين والعراق، بينما كان لفرنسا حق السيطرة على سورية ولبنان وكيبيكيا، وفي ٢٠/١٠/١٩١٨ أنزلت فرنسا جيشها في بيروت والساحل السوري، واحتلت اللاذقية مطلع ١٩١٩ وفي شهر شباط بدأت ثورة العلويين ضد الفرنسيين وظلت مستمرة حتى السابع من شهر تموز ١٩٢١.

وقد قاد هذه الثورة المجاهد المعروف الشيخ صالح العلي من قرية الشيخ بدر الواقعة بين طرطوس ومصياف والدريكيش وكانت هذه القرية مركزاً للثوار ينطلقون منه لمهاجمة الفرنسيين في الساحل والقرى التي احتلوها، وجرت معارك عدة كان النصر في بعضها للثوار، وتوصلوا في بعض الأحيان إلى مهاجمة المدن الساحلية مثل جبلة وبانياس المتمركز فيهما الجيش الفرنسي بكثرة، وهددوا السفن الحربية الفرنسية الراسية بالقرب من الشاطئ.

وقد دعا الفرنسيون جيشهم في سورية ولبنان باسم جيش الشرق، وقد سجل أحد الضباط الفرنسيين مجريات هذه الثورة في كتاب سماه «الكتاب الذهبي لجيوش الشرق» واعترف فيه بأن بلاد العلويين كانت المسرح الأول للمعارك الهامة التي اشتبك بها جيش الشرق. (١٩٠)

ففي موقعة بابتنا ١٦/٤/١٩١٩ ظل القتال دائراً بين الثوار والفرنسيين مدة سبعة أيام عنيفة القتال دفعت المحاربين أحياناً إلى التلاحم أجساداً بأجساد .

وفي واقعة المريقب ٢١/٧/١٩١٩ هزم الجيش الفرنسي وسقط منه العديد من القتلى والجرحى ، واضطر الفرنسيون إلى الانسحاب أثناء الليل ، وظل الثوار يسيطرون على مناطقهم حتى نهاية عام ١٩٢٠ .

وقد تلاقت ثورة العلويين مع ثورة الشمال التي قادها الزعيم إبراهيم هنانو ، وكان لتعاونهما أكبر الأثر في دحر الفرنسيين وإعاقة تقدمهم في احتلال سورية الداخلية ، ويعترف مؤلف كتاب «الكتاب الذهبي» بوجود ثوار من العلويين مع قوات هنانو ، حيث اشتركوا في مواقع جسر الشغور وإدلب أثناء كانون الأول ١٩٢٠ ،<sup>(١١١)</sup>

كانت معارك الثوار متلاحقة مع القوات الفرنسية فمن معركة النبحا التي تكبد فيها الفرنسيون (٢٥ قتيلاً) وغنم فيها الثوار كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة ، إلى معركة الشيخ بدر التي انتهت بهزيمة الحملة الفرنسية مخلقة (٢٠ قتيلاً) و٣ أسرى بيد الثوار وكميات من الأسلحة والأعتدة .

وحاول الفرنسيون خداع الثوار فتوسط قائد القوات البريطانية في فلسطين الجنرال اللنبي ورجا الشيخ صالح في ٢٥/٥/١٩١٩ بأن يسمح للفرنسيين المرابطين في القدموس بالمرور عن طريق الشيخ بدر إلى طرطوس وأكد له أن الفرنسيين تعهدوا بألا يتوقف جيشهم إلا للراحة والتزود بالماء .

وقبل الشيخ صالح شريطة ألا يتوقف الجيش الفرنسي في الشيخ بدر إلا ساعة واحدة وألا ينصب خيامه ، وألا ينزل أحماله وانسحب الثوار إلى التلال المحيطة بالشيخ بدر من جهة الجنوب والغرب مستعدين لمواجهة الغدر .

وحينما وصل الفرنسيون نكثوا بوعودهم ونصبوا مدافعهم ، وأطلقوا النار على الشيخ بدر والراستن فانقضّ عليهم الثوار من الجبال ودارت رحى معركة كبيرة دامت من الصباح حتى منتصف الليل ، وقتل عدد كبير من الفرنسيين وهرب الباقون مخلفين ذخيرتهم وعتادهم .<sup>(١١٢)</sup>



وفي ١٥ حزيران ١٩١٩ جهّزت فرنسا حملة جديدة معزّزة بطائرات الاستكشاف وقوات مدرّبة على حرب العصابات وحرب الجبال فخادعها الثوار وانسحبوا متظاهرين بالهزيمة أمامها واستدّرجوها إلى مرجباري هو (وادي وَرُور) وعندما دخلت المصيدة انقضّوا عليها فمزّقوها، وقتلوا وجرحوا (٨٠٠ جندي) وأسروا (١٦ جندياً)، وقد استشهد في معركة وادي ورور البطل مصطفى خير بك مع ابنته الوحيدة، وهما من قرية وادي العيون.

وأباد الثوار حملة أخرى في ٢٩ حزيران بين قرّتي الحماّم والمربّ ممّا دعا فرنسا إلى طلب الصلح فرد عليهم قائد الثورة بشروط منها:

١- الجلاء عن الساحل السوري وضمّه إلى الحكومة الفيصلية.

٢- تبادل الأسرى بين الفريقين.

٣- دفع تعويضات عن الأضرار التي ألحقها الفرنسيون بالقرى التي مرّوا بها.

فقبل الفرنسيون مبدئياً بهذه الشروط وطلبوا الاجتماع بالشيخ صالح<sup>(١١٥)</sup>.

وخادع الفرنسيون فجردوا حملة استولت على قرية كاف الجاع التي يملكها الشيخ صالح واعتقلوا سكانها وأحرقوها.

وفي ٢٠ شباط ١٩٢٠ فاجأ الثوار فجراً القوات الفرنسية في طرطوس فقتلوا الكثير منها ولو لم يتدخل الأسطول الفرنسي لأبادوها كاملة. وفي ٣ آذار ١٩٢٠ هاجم الثوار قلعة القدموس وحاصروها ثلاثة أيام فاستسلمت، وفي نهاية شهر آذار خسر الثوار معركة السّودة.

وفي ٣ نيسان شنّ الفرنسيون هجوماً صاعقاً بالطائرات والدبابات على معقل الثوار واحتلّوها ولكن الثوار استرجعوها بعد معارك دامت ٣٥ يوماً دون انقطاع، وخلال المعركة التقى الشيخ صالح والبطل يوسف العظمة وبحثا في شؤون الثورة وأقسما يمين الولاء والوفاء<sup>(١١٦)</sup>.

وجددت فرنسا قواتها وهاجمت الثائرين بجيش قوامه ثلاثون ألفاً بقيادة (بلونجي) وعندما وصل قرب وادي العيون انقضّ عليه الثوار وكبّدوه خسائر كبيرة، وأسقطوا طائرتين وانتهى بولنجي قائداً وعيّن أمراً لموقع حمص.

وتوسّطت فرنسا الإنجليز من جديد لإنهاء الثورة وتحقيق الصلح بشروط الثوار، فوافق الشيخ صالح وعقدت هدنة بين الطرفين استمرت شهراً، وقام ضابط فرنسي في عقرزتي بالتهجّم البذيء على الدين الإسلامي فأثار ذلك حفيظة الشيخ صالح وأرسل رسولاً يحمل إنذاراً شديد اللهجة فأعدم الضابط الفرنسي الرسولَ خلافاً للأعراف والتقاليد فأرسل الشيخ عصبة من مغاويره كمنت للقائد الفرنسي وقتلته مع عشرة من جنوده.

وعندما حاول الفرنسيون حشد قواتهم حول بانياس هاجمها الشيخ بقواته في تموز ١٩٢٠، وبعد معركة دامية ارتدّ الفرنسيون حتى مياه البحر، وتدخل الأسطول الفرنسي فانسحب الثوار بعد أن استولوا على موجودات ثكنة بانياس وأحرقوا (السراي) وأوقعوا بالحامية خسائر كبيرة. (١٩٧)

ولو لم تحدث معركة ميسلون في ١٩٢٠/٧/٢٤ وينتصر فيها الفرنسيون ويقضون على الحكم العربي الوليد، وعلى استقلال سورية الحرّة لما استطاع الفرنسيون بعد ذلك احتلال داخلية البلاد، فمع انتهاء الحكم العربي في دمشق الذي كان يدعم الثورتين بالمعدات والمال والسلاح والمستشارين والخبراء ضعفت الثورتان وانقطع عنهما المدد والعون اللذان كانا يرسلان من دمشق.

بعد احتلال دمشق وتوقيع الهدنة مع تركيا وجلاء الفرنسيين عن كيليكيا تفرّغوا للقضاء على الثورات المعادية لهم، وقرّروا تعزيز وجودهم في الساحل والسيطرة على الجبال الشامخة المفعم سكانها بالوطنية والعروية، هذه الجبال الشّم التي وصفها مؤلف الكتاب الذهبي، بأنها مسكونة بشعبٍ نزوع إلى القتال ويأتمر بأمور زعمائه ويطيعهم طاعة عمياء. (١٩٢)

في أوائل أيار ١٩٢١ بدأ الجيش الفرنسي بالتحرك لاحتلال مواقع الثوار والقضاء على الثورة وكان هذا الجيش كبيراً ومجهّزاً بأحدث معدات القتال. ونقل من الكتاب الذهبي خطة الجيش الفرنسي وعدده والأدوار التي مرّ بها حتى استطاع القضاء على مقاومة الثوار.

١- القوات المعارية: بوشرت الإجراءات في الشّم أولاً ثم تسطّعت إلى الجنوب وتولّوها الكولونيل (بنجر) على رأس القوات الآتية:

أ- تجريدة موران وتشتمل على لواء من الفرقة الأجنبية ولواء إضافي مختلط وبطارية من عيار ٦٥.

ب- تجريدة كليمان غرانكور المشتعلة على لواء من فيلق الرماة السنغاليين العاشر وكوكبة من المختلطين ، وبطارية ٦٥ وسرية مدفعية ٧٥ .

ج - والعناصر التالية :

الكتيبة السادسة من الفرقة السورية .

ء - لواء من فيلق الرماة التونسيين السادس عشر .

هد - لواء تويكيني .

و - كتيبتان إضافيتان .<sup>(١٩٣)</sup>

هذه القوات الضخمة المتعددة الجنسيات المجهزة ببطاريات المدفعية الحديثة والطائرات المقاتلة بدأت حشودها في الشمال بمهاجمة القرى وقتلت السكان ونهبت البيوت وأتلفت المزروعات ، وفر أصحابها إلى القرى الواقعة في الشرق والجنوب من قراهم ، وتابعت القوات الفرنسية زحفها نحو جبل «الشعرة» واستقرت في (عين القرون) بعد احتلالها ، وقد تصدّى الثوار لهذه الحملة الضخمة وقاتلوا بمشقة بالغة ولم يتخلّوا عن مواقعهم إلا بعد قطع الرجاء بالاحتفاظ بهذه المواقع .

وبعد أن كبدوا الفرنسيين عدداً من القتلى والجرحى .

وكان الفرنسيون يأملون بعد الاستيلاء على عين القرون أن يستسلم الثوار مع قائدهم ولكنهم فوجئوا بانتشار الثورة في أكثر نواحي المنطقة ، وقدوم متطوعين جدد للقتال مع الثوار ، واتحاد كلمة الزعماء والرؤساء والعلماء العلويين والتفافهم حول قيادة الشيخ صالح العلي .

وفي ١٢ حزيران ١٩٢١ بدأ الاشتباك بين الثوار والقوات الفرنسية على جبل (الصراطة) وقدر عدد الثوار بـ ٢٥٠٠ مقاتل ، وقد بذلوا كل مستحيل لإيقاف تقدم الفرنسيين وجرت معركة رهيبة في قرية (محمد جوفين) وتوصف في ملفات الفرنسيين بأنها أشد ما وقع في حملة العلويين .

وقد طوقها الفرنسيون بسلسلة من المراكز المجهزة بالمدفعية والرشاشات بعد أن سقطت قرية (قريفص) في أيديهم ، لكن الثوار المتحصنين في محمد جوفين وبشراغي والمشرفين

على القوات الفرنسية من أعالي الجبال والمخنفين وراء الصخور أبدوا مقاومة رائعة تستحق الإعجاب في وجه القوات الفرنسية المولفة من :

١- لواء قرمرش (الفرقة الأجنبية). ٢- اللواء السنغالي. ٣- اللواء الأول والثالث من فيلق الرماة الأفريقيين الحادي والعشرين. ٦- اللواء التويكني. ٧- بطارية ٦٥.

واستطاع الفرنسيون احتلال قرية (دوير بعبد) ولكن بعد مقاومة عنيفة استسلم فيها الثوار، وتابع الفرنسيون الزحف نحو (بشراغي) فأصلوها نيراناً غزيرة من المدفعية والرشاشات، غير أن الثوار صمدوا أمام القوات الزاحفة وأمطروها بوابل من الرصاص، وكاد الجانبان يشبكان بالسلاح الأبيض، وفي الوقت نفسه كانت قوة فرنسية تهاجم (محمد جوفين) ودار فيها قتال رهيب، وأصلي المهاجمون نيراناً حامية وكثيفة، وثبت المقاومون بعناد.

ولكن الكثرة والمعدات الحديثة تفوقت على هؤلاء الثوار المؤمنين بوطنيتهم وعرويتهم وحرية بلادهم واستقلالها، استقلال أرادوا فيه أن يرفعوا رؤوسهم لأول مرة، ويواجهوا الشمس المشرقة والقمر المنير، ولكن قوى الظلام كانت أقوى وأعتى فالفرنسيون يملكون جيشاً كبيراً مدرّباً مسلحاً بأحدث ما أنتجته معامل الأسلحة في أوروبا وهم يتلهفون إلى الاستيلاء على الشرق حلمهم وحلم آبائهم وأجدادهم منذ مئات السنين لينهبوا خيراته، ويدلّوا نفوس شعبه.

ولما لم يجد الثوار أملاً في المقاومة انسحبوا من القريتين وسقطت (بشراغي) و(جوفين) في نهاية اليوم الثالث عشر من حزيران ١٩٢١ وتكبّد الفرنسيون في هاتين الموقعتين عشرات القتلى والجرحى.

وكانت المرحلة الأخيرة من الثورة في منطقة الشيخ بدر حيث اتحدت قوات الجيش الفرنسي وهاجمت وادي العيون ووادي الشمس مروعة السكّان، قاتلة من يقف في طريقها.

وفي الرابع من تموز وصلت إلى مشارف الشيخ بدر حيث مركز الثورة، ودارت بين الثوار والفرنسيين عدة معارك متفرقة في أماكن متعدّدة حول البلدة وفي القرى المجاورة كان الثوار يداقون باستماتة عن قراهم ومعاقلهم وموئل صباهم ومهد أجدادهم، ومركز انتشارهم ولما لم يجدوا فائدة من المقاومة انسحبوا وخلفوا وراءهم الشهداء شهدوا على الوقوف في وجه مستعمر طاغ، باغ، أثيم.

وفي اليوم السابع من تموز ١٩٢١ توقفت الثورة في جبال العلويين بعد أن استمرت حوالي ثلاث سنوات وقد استطاع الشيخ صالح العلي قائدها أن يتواري عن الأنظار حتى تشرين الأول بعدما صدر عفو عنه .

وعندما قابل القائد الفرنسي في اللاذقية سألته عن دوافعه للثورة فقال له الشيخ : (حب الوطن) . وعرض عليه هذا القائد حكم الدولة العلوية المشككة حديثاً فرفض بإباء وشمم وعرض عليه أيضاً التمويض عن أملاكه التي أحرقت وذُمرت فرفض أيضاً ولما سألته عن السبب قال له : (لأن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز : «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار» وانتفض الفرنسي غاضباً وقال : هل نحن ظالمون؟ فقال الشيخ : نعم ، ولولا أنكم ظالمون لما جئتم إلى هذه البلاد) .<sup>(١٩٨)</sup>

#### فطلب منه الفرنسي علم مغادرة الجبل إلا يأذن من الجيش .

وقد كان لي شرف اللقاء مع حفيد الشيخ صالح العلي (الشيخ صالح الصالح) من قرية المبعوجة عام ١٩٩١ فحدثني عن هذه الثورة العظيمة ، وأضاء لي بعض جوانبها وبخاصة مشاركة النساء فيها ، قال :

من المقرئين إلى الشيخ صالح العلي أبناء عمه : علي صالح وسليم صالح والشيخ عباس أحمد ، الذي بقي موالياً له حتى نهاية حياته لأنه بقي بعده وهو الرجل الوحيد الذي اختصه الشيخ صالح العلي بصلاة عيدي الفطر والأضحى .

ومن رجاله المقرئين من أهله أيضاً : أحمد غانم ابن أخته (شمسة) وأحمد إبراهيم ابن أخته (خديجة) ، وهذه المرأة كانت أعجوبة وتذكرنا بمن سبقها من النساء العربيات المناضلات نزلت مرة لزيارة (جدّها الشيخ بدر : الضريح وبيتها قريب منه ، فشاهدت جماعة من الشوار منهزمة فصاحت بالمنهزمين : إلى أين يا جبناء؟ فبهتوا ، ولم يردوا على تساؤلها ، فصاحت بهم : تربيّوا ، وعادت إلى البيت ثم رجعت إليهم وهي تشهر في يدها سيفاً لامعاً ، وقد وضعت في كتفها بندقية وصاحت بهم : عودوا ، وتقدمت بهم إلى (قلب) المعركة التي انهزموا منها فانتصروا انتصاراً باهراً ومثلها قريبتها السيدة آمنة الصالح التي كانت ترافق أخويها سليماً وعليّاً) وظلّت ترافقهما مدة الثورة على كتفها (جعبة الخرتوش) وعلى كتفها الثاني قرية الماء .

ومثلها السيدة: أمّون الأسعد التي كانت تحمل رسائل الشيخ صالح إلى أنصاره وتؤدّيها على خير ما يرام، وكانت تتحمّل وعورة الطريق ومشقّاته، وكان السير في الليل أحبّ إليها من النهار، (مرّ معنا سابقاً أشتراك ابنة البطل مصطفى خير بك في الثورة واستشهادها معه).

**ويتابع الحديث:** الذين طردوا الحملة الفرنسية عن ظهر القليعات كانوا أقلّة وهم: سليم صالح وسليم شاويش وسليم زينة وأحمد حسن وسليم من (حالين)، ومن قرية (سريجس) كان أحمد إبراهيم وعلي ديوب عثمان، واستشهد البطل الكبير أحمد أبو أحمد عدلة وابن عمه علي سليمان ديوب قتلاً بالرصاص أعدما لأنّ أحد العملاء دسّ عليهما عند الفرنسيين فأمسكوا بهما وأعدموهما بدون محاكمة، ومن مشاهير الشهداء علي زيهّد الحمام.

**ومن رجال الشيخ الشجعان:** علي سليم الخدّام وعبّاس حبيب وعبّاس حسن وإسماعيل حسن الأسعد والشيخ جابر ميهوب الحطّانية - وعلي محمود ضوّا العصبّي وعلي محمود إسماعيل الحطّانية وعلي زاهر، ومن الشهداء: كامل حمدو الباكير، شتقّه الفرنسيون. ومن مشاهير المجاهدين، حامد أحمد ميهوب وفهد الشاكر من وادي العيون ومعه خادمه حمدو الذي كان شجاعاً مقداماً، وحمدو هذا هو حسن الصفّلي من الطليعة من صافيتا الجنوبية، والشيخ محمد الخدّام ورجب الشيخ من عين الكروم، وشاهين حسن حمد من قرية (الجباب) وكان مناضلاً غنيّداً أو شاعراً باللغة العامية، ومنهم إبراهيم القاموح الذي كان ينقل الرسائل بين الشيخ وقرى محافظة حمص الشرقية، وينقل المعدات الحربية والأغذية للشوّار.

**ومن كان يساعد الشوّار يا شيخ صالح؟**

**من منطقة سلمية:** الشيخ علي سليمان نيهان الملقب بالشيخ علي القليب نسبة للقرية التي كان يسكنها، وكان عبد اللطيف أبو عباس أخو الشيخ علي من رجال الشيخ صالح المقرّبين، ومن حماة نجيب البرازي وأحمد الأحذب.

**وما هي صفات الشيخ صالح العلي؟**

كان حسن الوجه جداً، أبيض بقاء، وعلى خدّه الأيمن خال أسود أشقر الشعر، أسود العينين، وكان وقوراً هادئاً، كثير القراءة في القرآن الكريم، حسن التّغيم، كثير الصلاة حتى يكاد يكون أعبد رجل في زمانه ويظنّه من يجهره أنّه من الجبابرة حتى يعاشره فإذا هو الوديع الحليم.

وكان في الليل يقرأ الكتب الفقهية ، وفي النهار كتب الفلسفة والآداب والتاريخ .

ومن ميزاته أنه كان متسامحاً مع خصومه وحسّاده ، بل كان يمنحهم النقود ، وكان إلى جانب ذلك فطناً حذراً ، فقد حدث أثناء الثورة وكان يرباط في (فراس النبع) فوق كاف الجاع ، وكان الثوار يرابطون أمام (عين القضيب) أمام الفرنسيين ونظر الشيخ وقال : أين فلان؟ فبحثوا عنه فلم يجدوه فصاح : تحولوا بسرعة ، فتركوا أماكنهم مسرعين ، وما هي إلا لحظات حتى أصلي المكان الذي كانوا مرابطين فيه وابلأ من القذائف كاد أن يهدم الجبل لكثرتة وشدته ، ويتابع الشيخ : وقد حدثنا السيد محمد الجندي من سلمية فقال : أغرت فرنسا بعض الزعماء العلويين - مثلما أغرت غيرهم من باقي المذاهب - أيام الانتداب بالمطالبة بقيام دولة علوية مستقلة تحت الانتداب تكون عاصمتها اللاذقية ، فتصدى لهم الشيخ صالح العلي ، وانتهرهم وقال : نحن العرب جميعاً ضعفاء أمام أوروبا فكيف إذا انفصلنا إلى دول وشيع ؟ ضمّوا هذه الدولة إلى دولة دمشق .

واجتمع هؤلاء الزعماء ثانية في قرية رأس الخشوفة وأرادوا أن يطلبوا من البرلمان السوري (مقاعد) أكثر مما كانت لهم (زيادة عدد نوابهم في البرلمان) في ذلك الوقت فصاح بالمجتمعين : ويحكم ! هذا الطلب للأقليات ونحن (أجليات) وفي عصر العلم وغداً يقتل أبناؤنا عليها ، وقد يكون منا رئيس جمهورية ، وقد صدقت نبوءة الشيخ صالح حيث اعتلى الرئيس حافظ الأسد رئاسة الجمهورية العربية السورية بعد عدة عقود من الزمن من نبوءة الشيخ .

ولد الشيخ صالح العلي في قرية المريقب عام ١٨٨٣م وتوفي فيها في ١٣ نيسان ١٩٥٠ . وقد كرّمته الحكومة الوطنية بعد جلاء الفرنسيين وأقامت له حفل تكريم في ٢٥/٤/١٩٤٦ أي بعد رحيل آخر جندي فرنسي عن أرض الوطن بتسعة أيام ، وقد ألقى الشاعر بشارة الخوري قصيدة في هذا الحفل قال فيها :

من شاعر نسّق الرياض ونظّما	أكبرت فيه العبقريّ الملهما؟
صرحُ العسروبة أين كان مقره	أوما إليك وقد تهلّل واننمى؟
زرع المهنّد والبراع ليّعرب	وجنى الذي جهلت يده كلاهما
تعب الجهاد من الطّواف فلم يجد	شرفاً أعزّ ولا مقاماً أكرما

## دولة العلويين:

أحمد الفرنسيون الثورات التي اشتعلت ضدّهم في كل مكان من سورية: في حوران والقنيطرة ودير الزور وجبل العرب وفي حلب وحارم وفي جبال العلويين، وبعد أن استقرّت لهم الأمور أقدموا على تقسيم سورية إلى مناطق أربع: وشكّلوا في كل منطقة دولة عيّنوا لها حاكماً فرنسياً يساعده حكام من أهل البلاد تعاونوا معه، وقد أثار الفرنسيون المناقشات بين هذه الدول وشجعوا النزعات الانفصالية، وقوّوا العناصر الموالية لهم، وأشاعوا النعرات الطائفية، والعنصرية والإقليمية، وأقدم قائد القوات الفرنسية الجنرال غورو على إقامة حكومات هزيلة متعاونة مع فرنسا في هذه الدول:

١. دولة دمشق: يرأسها حاكم وطني يسمّى الحاكم العام ويعاونه في الأحكام سبعة مديرين وطنيين لكل منهم مستشار فرنسي، وتضم هذه الدولة أربعة ألوية هي دمشق وحوران وحمص وحماة، وتبلغ مساحتها: (٤٥٠٠٠ كم<sup>٢</sup>).<sup>(١٩٩)</sup>

٢. دولة حلب: وحاكمها وطني يسمّى الحاكم العام ويعاونه في إدارة البلاد مديرون وطنيون ومستشارون فرنسيون وتقسم إلى ثلاثة ألوية هي: لواء حلب، لواء إسكندرونة. ولواء دير الزور مساحتها (٨٢٠٠٠ كم<sup>٢</sup>).<sup>(٢٠٠)</sup>

٣. دولة جبل الدروز: يرأسها حاكم وطني ينتخبه الشعب لمدة ٤ سنوات ويعاونه مجلس نيابي (لم يتقيد الفرنسيون بهذه البنود بل حكموا الجبل حكماً مباشراً شأنهم في ذلك شأن كل دولة أقاموها) وتقسم إلى ٤١ ناحية فيها أكثر من (١٠٠) قرية وتبلغ مساحة جبل الدروز (٦٠٠٠ كم<sup>٢</sup>).<sup>(٢٠١)</sup>

٤. دولة العلويين: رئيس حكومتها فرنسي يسمّى حاكم دولة العلويين، يعاونه في الإدارة مديرون وطنيون وتقسم إلى مدينتين مستقلتين في إدراتهما هما: اللاذقية وإرصاد ولواءين هما: لواء اللاذقية ولواء طرطوس، ومساحة هذه الدولة (٦٥٠٠ كم<sup>٢</sup>)، وقسم لواء اللاذقية إلى ثلاثة أقضية هي: اللاذقية مركز الحكومة، ٢- صهيون ومركز القضاء بابتّا، ٣- جبلة وهي مركز القضاء.

ولواء طرطوس وقسم إلى خمسة أقضية هي:

١- قضاء طرطوس ومركز اللواء طرطوس، ٢- قضاء المرقب ومركزه بانياس، ٣- قضاء العمرانية ومركزه مصيف.



٤. قضاء صافيتنا ومركزه الدريكيش .

٥. قضاء الحصن ومركزه تللكلخ . (١٠٢)

هذه الدولة كانت تضم أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ . شخص ، وقد مرّت تسميتها وتقسيمها بمراحل :

ففي ١٩٢٠ أطلقوا عليها اسم (إقليم الحكم اللاتي للعلوين) وفي عام ١٩٢٢ أقام الجنرال غورو ما يدعى بالاتحاد السوري ويشمل دول العلوين ودمشق وحلب .

وعندما خلفه الجنرال ويغان عام ١٩٢٤ أقدم على إلغاء الاتحاد ودمج دولتي دمشق وحلب بدولة واحدة أطلق عليها اسم (دولة سورية) وفصل لواء الإسكندرونة عن دولة حلب وجعله لواء مستقلاً وكان هذا تمهيداً لإلحاقه بتركيا في المستقبل ، أما دولة العلوين فقد عادت لوضعها الذي رسم لها من قبل ولتسميتها عام ١٩٢٢ بدولة العلوين .

أرأيت أعجب من هذا؟! وطن واحد قسّم إلى أوطان عدّة كأنه قطعة حلوى كبيرة ، ودولة واحدة تفتت إلى دويلات لبنان الكبير!!! دولة العلوين - لواء الإسكندرونة - دولة حلب - دولة دمشق - دولة جبل الدروز .

ومن حكامه؟ موظفون من أهل البلاد لا يملكون من أمورهم شيئاً ، وموظفون فرنسيون هم الحكام الحقيقيون والفعليون قدّموا لنهب الرّصيد الذهبي لبلاد الشام ، وقاموا بصهره أواني وملاعق وسكاكين ومقابض أبواب وصنابير مياه ، وصدّروه لفرنسا ، وتقاضوا الرواتب الضخمة الخيالية حتى أفقروا البلاد وأفقروا وأذلّوا السكان وطبقوا سياسة (فرّق تسدّ) وقسموا الشعب الواحد إلى أقسام وكلّ قسم يتبع مذهباً معيناً وأوغروا صدور أبناء هذه الدويلات على بعضهم بعضاً فاستشرت الطائفية المذهبية بين عامّة القوم ، وحلّ الكره والحقد محلّ المحبة والتسامح .

ولم يكتفوا بذلك بل حرّكوا بأساليبهم الخبيثة الماكرة ما نام من عشائرية بين العلوين ونصبوا لكل عشيرة زعيماً يتحكّم فيها ويتصرّف بشؤونها ويفرض الإتاوات عليها ، ويرتبط هؤلاء الزعماء بالحكام الفرنسي في اللاذقية .

وكم قاسى العلويون من هذه العشائرية البغيضة ومن هؤلاء الزعماء فقد كان الزعيم يتحكّم في مصير أفراد عشيرته فيفرض عليهم ضريبة معينة تقدّم له في أوقات معلومة

وسخّرهم في إنجاز مصالحه الخاصة ، وكان يقاتل بهم أفراد عشيرة أخرى وهكذا أبقي هذا الفرنسي الخبيث العلويين في صراع دائم مع بعضهم بعضاً كي لا يلتفتوا إليه ويحاربوه ليجلوه عن بلادهم متعاونين مع إخوانهم في بقية المناطق السورية .

وقد نشر الكره في سورية كلها بين كل مدينة ومدينة ، وفي المدينة الواحدة جعل أبناء الأحياء يكرهون بعضهم بعضاً بل ويصطدمون بعراك مسلح ومميت .

في عام ١٩٣٠ تغير اسم دولة العلويين إلى حكومة اللاذقية ولعل ذلك عائد إلى فوز الكتلة الوطنية في انتخابات ١٩٢٨ وأرادت فرنسا أن تخفف من مطالب غالبية العلويين الذين كانوا يريدون الوحدة مع حكومة سورية ، لكن في عام ١٩٣٣ عطل المندوب السامي الفرنسي (دوما رتيل) المجلس النيابي فنشطت الكتلة الوطنية ضد السلطات الفرنسية وطالبت في كانون الثاني ١٩٣٦ بتحرير سورية واستقلالها وإعادة وحدتها ، وقامت المظاهرات الوطنية في كل أنحاء البلاد فتصدى الجيش الفرنسي لهذه المظاهرات وساد العنف والعتاب والتهجير والنفي وأغلقت دمشق محلاتها التجارية حوالي ٦٠ يوماً فتعطلت مرافق البلاد ووقعت منازلات بين رجال الدولة والمواطنين ، وخافت فرنسا من قيام ثورة جديدة على شاكلة ثورة ١٩٢٥ الثورة السورية الكبرى ، فأعلن المندوب السامي فتح باب المفاوضات بين فرنسا والكتلة الوطنية لعقد معاهدة صداقة وتحالف بين البلدين ، وفي أيلول ١٩٣٦ وقعت المعاهدة وتشتمل على ملاحق نصّت على انضمام بلاد العلويين وجبل الدروز إلى سورية ، وفي تموز ١٩٣٩ ألغت فرنسا المعاهدة وعاد التقسيم من جديد ، وعاد الحكم الذاتي بمارسه العلويون حتى عام ١٩٤٢ عندما أعيد توحيد سورية في دولة واحدة هي الجمهورية السورية .

نصّ قرار ضمّ دولة العلويين إلى سورية ١٩٣٦ .

قرار عدد ٢٧٤ ل/ع بنشر النظام الأساسي للمنطقة العلوية .

إن المفوض السامي للجمهورية الفرنسية ، بناء على صكّ الانتخاب المؤرخ في ٢٤ تموز ١٩٢٢ وبناء على مرسوم ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٠ الذي حدد سلطات المفوض السامي وبناء على مرسوم ١٦ تموز سنة ١٩٣٣ ، ولما كان قد حصل اتفاق في باريس بين الحكومة الفرنسية والوفد الذي كان عهد إليه وضع أسس معاهدة تعقد بين فرنسا وسورية ، ولما كان الاتفاق المذكور يستلزم نقل اختصاصات السيادة التي كان حق ممارستها محفوظاً للمفوض

السامي بموجب القرار رقم ٣١١٣ بتاريخ ١٤ تموز سنة ١٩٣٠ إلى الحكومة السورية ويستلزم أيضاً تجديد أساليب النظام الخاص في الإدارة والمالية الذي تنوي الحكومة السورية تأميناً لمنطقة اللاذقية ووفقاً للمبادئ التي جذبتها عصبة الأمم، قرر ما يأتي:

مادة أولى: إن منطقة اللاذقية، هي جزء من الدولة السورية.

مادة ثانية: تستفيد هذه المنطقة ضمن دولة سورية من نظام خاص إداري ومالي حددت أساليبه في النظام الملحق.

مادة ثالثة: مع الاحتفاظ بأحكام النظام المذكور يسري على منطقة دستور الجمهورية السورية وقوانينها وأنظمتها العامة.

مادة رابعة: فور إبرام المعاهدة الفرنسية السورية يدخل هذا القرار والنظام الملحق به في دور التنفيذ بدلاً من التصوص التي كانت تسري على هذه الأمور، بيروت في ٥ ك ١ ١٩٣٦ (٢٠٣).

شهادات: وقد أدخل الفرنسيون هيكلية للإدارات العامة وأصدروا بطاقات هوية وقاموا بإحصاء السكان ومنحهم طوابع بريدية ومالية، وعلماً هو عبارة عن شمس صفراء على أرضية بيضاء، وهذا رمز لا بد وأنه قد حير السكان المحليين. (٢٠٤)

(ساعد العلويون اللاجئين الأرممن الذين نزحوا من تركيا). (٢٠٥) (الأمية كانت متفشية بشكل يكاد يكون تاماً في قرى الجبال وكان الرجل يدور على كل المناطق المجاورة بحثاً عن يقرأ له رسالة. وفي الأربعينات لم تكن هناك سوى ثانوية واحدة على طول الساحل كله من لبنان إلى الإسكندرون لخدمة طرطوس وجبله واللاذقية ومناطق الجبل الداخلية جميعاً وكان التنافس لدخولها شديداً قاسياً). (٢٠٦)

(الفرنسيون لم يأتوا بتحسين مادي كبير للجبل، أوصلوا بعض الطرق الترابية إلى السفوح ولكن بالسخرة المجانية تحت طائلة العقاب والضرب ودفع الغرامات إن رفضوا العمل، الوجه المحلي هو المتعهد ويجمع الشباب من ٣-٤ قرى لرصف الطريق. وظل العلويون يعانون من الفقر المدقع حتى نهاية الحرب العالمية الثانية)، كتب ضابط بريطاني خدم في سورية عن قرية علوية (إن السكان البائسين كانوا في حالة يرثى لها من التعاسة والشقاء والكآبة الموحشة، وباعتبارهم في بلد صغير تحت ظل انتداب أوربي طيلة ٢٢ عاماً فإن الأوضاع في كل مكان سيئة بشكل لا يصدق). (٢٠٧)

(الظلم الاجتماعي في سورية كان كبيراً مثلاً فُرض العمل في اللاذقية القليلة المتوفرة كانت كلها من نصيب الوجهاء يتهادونها فيما بينهم فكلما أرادت إدارة الربحي أن تستخدم عمالاً جدداً كان السادة المحليون يتقاسمون الوظائف عشراً لهذا وعشرين لذلك وهكذا كانت الوظائف ملكاً لهم يبيعونها لمن يدفع السعر الأعلى ، فقد يدفع رجل مئتي ليرة للحصول على وظيفة كاتب أو ماسح لأرض مستودع التبغ ثم يطرد قبل أن يمضي في الوظيفة وقتاً كافياً لاستعادة ما دفع حيث تباع وظيفته نفسها لشخص آخر).<sup>(١٠٨)</sup>

### مذكّرة من العلويين إلى وزارة الخارجية الفرنسية في ٢٧ تموز ١٩٣٦ .

صاحب المعالي : تعلمون ولا ريب يا صاحب المعالي مطالب الأمة السورية بتحقيق وحدتها واستقلالها ، وعقد معاهدة بين فرنسا وبينها شبيهة بالمعاهدة العراقية الإنجليزية ، هذه المعاهدة التي تسود العلاقات السياسية بين هاتين الدولتين ، وإن أكثرية العلويين التي تمثلها لسعيدة بمعرفتها تقارب وجهتي النظر الفرنسية والسورية في المفاوضات الجارية آنياً في باريس لعقد المعاهدة الفرنسية السورية ، وإنها تأمل أن تؤول هذه المفاوضات إلى النجاح ، ومن جهة أخرى فإنها تجدد ثقتها بالوفد السوري ، وتعرب عن عرفان جميلها نحو الاستعدادات الطيبة التي أظهرتها الأكثرية البرلمانية الفرنسية نحو مطالب سورية الحقّة المشروعة ، ونعتبر هذه الاستعدادات الطيبة برهاناً على دوام تقاليد فرنسا بتحرير الشعوب .

إن الاستقلال الإداري (الأوتونومي) الذي أعطي لبلاد العلويين عام ١٩٢٠ لم يكن في مبدئه سوى نظام مؤقت يتسنى للعلويين بكتفه سرعة تطوّرهم السياسي والإداري والعلمي كي يتساووا برقيّ طبيعيّ مع إخوانهم في سورية ، ولكن فحوى تصريحات فخامة المسيو بونسو المفوض السامي في سورية ولبنان تجاه لجنة الانتخابات عام ١٩٣٣ وتصريحات المسيو دي كين العديدة تجاه اللجنة ذاتها لم تكن من الجلاء والوضوح بمكان ، والحوادث أعظم برهان أن هذا الاستقلال الإداري (الأوتونومي) بدلاً من أن يكون للعلويين عامل رقيّ لم يكن سوى عامل انحطاط وتأخر ، فإفقار البلاد المطّرد بضرائب باهظة ، والتفكك والانحلال اللذان أصابا فكرة الوفاق والألفة بين العلويين من جرّاء تطبيق وآتباع مبدأ فرق تسد وإفساد معنويات البلاد بإزالة الخطوة لطبقة من الناس لا تمثل خيارهم ، وإهمال المعارف العامة ، براهين لا تقبل النقض على هذا الانحطاط .

وإذا وجد ولم يزل موجوداً بين العلويين من هم أداة لهذا الانحطاط فإنهم ليسوا وحدهم المسؤولين ، وإن من العدل أن نلاحظ أن للإدارة متى رغبت بخلق انقسامات فإنها تستطيع ذلك ولو في أرقى بلدان الدنيا ذات الشعوب الكاملة . وإن من العسير يا صاحب المعالي العثور على تناقض ظاهر واضح كالتناقض الموجود بين المبدأ الذي بُنيت عليه فكرة (الأوتونومي) وتطبيق هذا المبدأ فإن الأوتونومي من حيث المبدأ يزعم أنه وجد لإيجاد شخصية للعلويين ضمن إطار الأمة السورية ، ذلك أنه ليس للعلويين دعوة دولية ، ولا قومية مستقلة ، أما من حيث التطبيق فإن (الأوتونومي) يذهب تَوّاً إلى عكس ما يدّعيه في المبدأ فيحاول أن يفكك أعضاء الجسم العلوي تحت ستار الاحتفاظ به وإن محاولة هذا التفكيك تظهر بصورة خاصة في الناحية الدينية .

[إن العلويين شيعة مسلمون] ، وقد برهنوا طوال تاريخهم عن امتناعهم عن قبول كل دعوة من شأنها تحوير عقيدتهم فهم يحتفظون بشدة بالعقيدة الشيعية الإسلامية وكان الصدف يا معالي الوزير ساقط بتبشير الآباء اليسوعيين إلى جبالنا وأخذ هذا التبشير يترسّب إليها منذ عام ١٩٣٠ ، ومن المفيد إحاطة معاليكم علماً أن الكثيرين من الموظفين الفرنسيين الإداريين يرون بعين الارتياح إلى أعمال الآباء اليسوعيين وبعده مناسبات منذ عام ١٩٣٠ استلقتنا نظر السلطات العليا في باريس وبيروت إلى هذه الحوادث التبشيرية التي تكون معذورة لو أن الدافع لها اليقين والإيمان إلا أن الشيء المثير في هذه الحوادث ، وهنا موضع استيائنا وعليه احتجاجنا ، هو استثمار واستغلال فاقة شعب فقير وشراء ضمائر ضعيفة كما تشتري السلع لتمرّق من دين إلى دين آخر .

اسمحوا لنا يا صاحب المعالي بالإدلاء لكم بهذه الحقيقة التي نراها دينا علينا لفرنسا ولسورية بالسواء ذلك أن أشد أنصار الانفصال بين الموظفين الفرنسيين هم أشد أنصار التبشير اليسوعي ، وأما طلب استبقاء (الأوتونومي) الصادر عن بعض الشخصيات العلوية المطوعة لأوامر هؤلاء الموظفين لأنها تملك كل ما لديها منهم ، فليس الدافع إليه سوى خشيته فقدان النعم التي يتمتع بها متى أذن تبدل النظام الحاضر بذهاب هؤلاء الموظفين .

وبعد أن جربنا الانفصال عن سورية ستة عشر عاماً لا يمكننا إلا أن نلمس الأمور التالية :

أولاً: لم يكن العلويون قط متفسخين كما هم اليوم ، وهذا التفسخ نتيجة الإدارة الانفصالية .

ثانياً: إن بلاد العلويين تتحمل أبهظ ضرائب في سورية وذلك لتغذية (الأوتونومي) الذي لا يؤمن حاجة من حاجاته والذي أوجد سوء حالتنا المادية والمعنوية .

ثالثاً: إن هذا الانفصال الذي تغنى بمحاسنه بعض العلويين النفعيين ليس سوى سلم للتبشير اليسوعي ، وبالتالي لإفناء العلويين التدريجي .

رابعاً: إن هذا الانفصال يحول دون تحقيق وحدتنا القومية ، هذه الوحدة التي هي حجر الزاوية في تحريرنا واستقلالنا .

ليس في مصلحة فرنسا ، ولا في مصلحة سورية ، ولا في مصلحة العلويين استبقاء وضع لم يكن وجوده مدة ستة عشر عاماً سوى برهان على أن العلويين كانوا ضحاياها الأولى ، وأنه لا يمكن إلا أن يكون سبباً للخلاف بين فرنسا وسورية ، كما وأنه ليس في مصلحة فرنسا المعنوية وهذه المصلحة لها مقامها الرفيع ، وليس في مصلحة التفاهم الفرنسي السوري إعاشة وضع الأوتونومي برسائل الضغط ، فإن الأساليب المتبعة في اللادقية كي ترتفع بعض الأصوات منادية باستبقاء الأوتونومي لا يمكن أن يقال عنها في حال من الأحوال إنها أساليب قادرة على رفع مستوى الشعوب الأخلاقي .

إن فرنسا التي أحببناها والتي نحياها فرنسا محرة الشعوب فرنسا خادمة الإنسانية والمثل الأعلى فرنسا عام ١٧٨٩ لا يمكن أن تقبل أن يقدم بعض موظفين فرنسيين شتمهم استبقاء مناصبهم الجميلة عن طريق الانفصال وتقوية الحجة القائمة على دفع بعض النواب العلويين الخنوعين لإنكار دينهم الإسلامي وعرقهم العربي وذلك ليخلعوا على الحجة الانفصالية ظواهر الحجة المعقولة .

إننا نقول لكم يا معالي الوزير ، والألم يحز نفوسنا ، إن بعض النواب العلويين كي يبرروا الانفصال ، حارس منافعهم الشخصية قدموا المعاليكم ولمعالي رئيس الوزارة مذكرة ينكرون فيها أية رابطة تربطهم بالإسلام والعروبة ويزعمون أن فقدان رابطة عامة دينية وعرقية بينهم وبين السوريين يعرضهم لاضطهاد المسلمين العرب ضمن الوحدة السورية إن هذه المزاعم يا صاحب المعالي تناقض ذاتها وتكذب نفسها بنفسها [فلكي يكون العلوي علوياً يجب عليه أن يكون مسلماً] ، [فالدين الإسلامي شرط التزامي للانتساب للعلويين ، والتشيع لعلبيّين أبي طالب كرم الله وجهه] .

[ذلك أن العلويين ليسوا سوى أنصار الإمام ، وما الإمام عليّ سوى ابن عم رسول الله ﷺ وصهره ووصيه ، وأول من آمن بالإسلام ، ومن مكانه في الجهاد والفقه والدين الإسلامي مكانه] ، ليس الكاثوليكي والأرثوذكسي أو البروتستانتي سوى مسيحيين ، [وليس العلويّ أو السنيّ سوى مسلمين] ففي المثل الأول لا تبطل الكثلثة أو الأرثوذكسية أو البروتستانتية مسيحية المسيحي وفي المثل الثاني القول برأي الشيعة أو برأي السنة إسلام المسلم .

[إن القرآن الشريف هو كتاب العلويين سواء أكانوا طلاب وحدة أم طلاب انفصال ، ومن كان القرآن الكريم كتابه فهو مسلم أحب أم كره إلا أن يترد عن الإسلام] ، وإن إخواننا الانفصاليين يصنفون أنفسهم بين أمرين لا ثالث لهما ، فإما أن يعترفوا أن القرآن الشريف هو كتابهم ، وعندها لا يمكن لهم إلا أن يكونوا مسلمين علويين ، وإما أن ينكروا القرآن الشريف وعندها لا يمكن لهم أن يكونوا مسلمين علويين ، ولا أن ينتسبوا لأية فرقة من فرق الإسلام . وإنه لمن المحزن يا صاحب المعالي وهذه وبلا للأسف حالتنا أن يصادف المرء بين قومه أناساً يتخذون أقدس العقائد بضاعة للتجار بها في سوق التجارة السياسية .

يعلم الانفصاليون العلم الكافي بالروابط المتينة التي تربطهم بالعرق العربي وبالدين الإسلامي ، إنهم ينكرونها خشية أن يقضى عدل فرنسا حتى ساعد هذا العدل سورية على تحقيق وحدتها ، وأقيم في بلاد العلويين نظام منصف مؤسس على احترام حق كل فرد بزوال المنافع التي أغدقوها عليهم ليديموا التغيّ بمحاسن الأوتونومي المزعومة .

ومما يلفت النظر أن الانفصاليين يعتبرون أنفسهم مسلمين أو غرياء عن الإسلام تبعاً للمصلحة السياسية ومقتضياتها ، فعندما يجلب لهم الاعتراف بالإسلامية وظائف لا يمكن أن تسند إلا لمسلمين وشيوخ لأن مهمة القائمين على هذه الوظائف تطبيق الشريعة الإسلامية كوظيفة القاضي والمفتي فإنهم لا ينكرون إسلاميتهم .

وقد انتقت الإدارة لتدعم النظام الانفصالي أغلبية القضاة والمثقفين من الفئة الانفصالية ، فلماذا إذاً يعترف بصراحة زعماء هذه الفئة هؤلاء الزعماء الذين خلقتهم السياسة لتجعلهم جنوداً لها أنهم مسلمون؟ وذلك بحملهم علماء هم على إشغال وظائف إسلامية؟ غاية جهودها تطبيق الشريعة الإسلامية إذا كان الانفصاليون ينكرون الإسلام عن عقيدة لا عن

خنوع وتهوّن سياسي، فلماذا لا يهدمون الجوامع القائمة في القرى الانفصالية؟ ولماذا يتظاهرون تجاه أنصارهم بالتعبّد وشدة الإيمان بالإسلام؟ ولماذا يخشون أن يقولوا لهؤلاء الأنصار إنهم انفصلوا عن الإسلام؟

لا قصد لنا يا صاحب المعالي من بسط هذه التفاصيل لديكم إلا إطلاعكم على الحقيقة ما دامت الحقيقة وحدها صالحة لتكون الأساس الذي تبنى عليه المودة بين الشعوب، وبين الدول إننا دون أن نرغب بالدخول في بحث علمي عن أنساب العلويين فإنه لا يسعنا البتة إلا أن ندحض دحضاً مطلقاً الرأي الانفصالي القائل إن العلويين منحدرين من أقوام غير عربية وإن في السكوت عن هذا الادّعاء الانفصالي الوهمي ثلثة لكبرياتنا ولكرامتنا.

[من الثابت أن العلويين نزحوا إلى جبالهم من العراق الذي هو مهد التشيع كما هو بذات الوقت ولذات الأسباب التاريخية موطن من مواطن العروبة كل شيء يقيم الدليل على أن العلويين عرب أقحاح، وهذه نقاليدنا، وعاداتنا وأخلاقنا وشكل هيتنا الاجتماعية، ولغتنا وأميلنا، وثقافتنا، والروايات الشفوية المتناقلة في كل عشيرة من منشئ إلى منشئ تؤيد انتسابنا إلى العرب كما يؤيده التاريخ وما العلويون سوى أحفاد القبائل العربية التي ناصرت الإمام علي كرم الله وجهه فوق صعيد الفرات].

لا بد من التساؤل يا معالي الوزير: لم يخشى الانفصاليون أن تكون الوحدة السورية سبباً لاضطهادهم من قبل الأكثرية الإسلامية العربية؟

بينما يرون إخواننا النصارى في دمشق وحماة وحلب متمتعين بذات الحقوق التي يتمتع بها المسلمون وبينما يعيشون مع هؤلاء المسلمين بسلام، وبينما يعيش علويون آخرون في حمص وحماة وأنطاكية مع السنّين على قدم المساواة وفي جوّ مفعم بالوئام والمحبة؟ إننا على يقين يا صاحب المعالي أن حكمة فرنسا لا يمكن أن تجيز لهذه الادعاءات الانفصالية المصطنعة المختلفة المساس بمصير الأمة، بينما تعملون يا معالي الوزير مع الوفد السوري لتوطيد المودة الفرنسية السورية بتقديم بعض الانفصاليين في هذه البلاد مساقين بخنوعهم لوحى بعض الموظفين الذين كل همهم البقاء في مراكزهم في اللاذقية، على رغم كل تفاهم بين سورية وفرنسا بتهديد الأمن العام بالإخلال عندما تمهد فرنسا وسورية اتفاقهما بمعاهدة، فمع معرفتنا قيمة هذا التهديد نجد مفيداً إلغات نظر معاليكم لأعمال هؤلاء الموظفين الذين يستغلون خنوع الانفصاليين رغبة منهم بحملهم على اتباع الخطأ وركوب الشطط.



[إننا طلبنا يا صاحب المعالي إلحاق بلاد العلويين بسورية على أساس الوحدة اللامركزية الإدارية، وإننا نجدد هذه المطالب، ونعتبر كل نظام ووضع غير الوحدة السورية اللامركزية الإدارية متناقضاً مع وجودنا كسوريين وكعلويين إن الوحدة القومية هي لنا كما هي لكل شعب مبدأ حفظ حياته، وإنه لا يمكننا أن نجد خارج الوحدة اللامركزية الإدارية أي ضمان لصون حقوقنا السياسية ولصون حياتنا الاقتصادية والدينية والاجتماعية].

[إن الوحدة السورية هي مبدأ حياتنا]، إننا واثقون أن فرنسا ستساعدنا على تحقيق أمانينا القومية المشروعة.

[إن متني ألف علوي ينتظرون اليوم الذي يعلمون به أن الوحدة والاستقلال والمعاهدة الفرنسية السورية أصبحت أموراً محققة]، وإن هؤلاء المتني ألف علوي يرسلون لفرنسا تحية مفعمة بالأمل، ويقدمون لمعالبيكم أسمى الاحترام<sup>(٢٠٩)</sup>.

يقول الشيخ عبد الرحمن الخير: ظل المخلصون من رجالات العلويين الأفذاذ يحاندون سياسة الاستعمار الفاشمة التي كانت ترمي إلى تنصير جهلائهم وتشتير انقساماتهم العشائرية وتستغل -جشع بعض زعمائهم إلى الظهور، وتحاول الوقوف دون انتشار العلم، بينهم أقول: ظل رجالاتهم المخلصون يجالدون ويجاهدون حتى قبض الله النصر فذهب الاستعمار (الانتداب الفرنسي البغيض) إلى غير رجعة، وهنا تنفس الشعب وأقبل النشء على العلم والعمل والمساهمة في كثير من مناحي الحياة في الوطن بهمة عجيبة وإقدام أعجب<sup>(٢٠٩)</sup>.

#### عريضة شباب اللاذقية إلى روبردي كيه شباط ١٩٣٦:

أولاً: إن الشعب بمنطقة اللاذقية، ما عدا بضعة أشخاص لهم صبغتهم المعروفة في حكومة اللاذقية، يستنكر الوضع الحاضر في هذه الحكومة ويعلن مقتته لهذا الانفصال الذي أدى إلى إفقار هذه المنطقة، وضياح ثروتها وتحميلها عبئاً لا يتناسب مع حالة هذا الشعب الفقير الذي يقدم كل ما يجنيه للحكومة باسم الضرائب، ولا نكون مغالين إذا قلنا إن أكثر السكان يكتفهم الجوع ويقتاتون بالنبات بدلاً من الخبز، وكل ذلك ناشئ عن هذه التجزئة القتالة التي أدت إلى انحطاط مستوى الشعب الاقتصادي، والأدبي والاجتماعي إلى درجة لا يصح السكوت عنها، وهذا يتنافى مع صك الانتداب المفروض على هذه الأمة فرضاً. ونريد أن نصارح حضرتكم بأنه لا يوجد رجل فيه ذرة من محبة لوطنه وعزة النفس يرضى بالوضع الحاضر في حكومة اللاذقية.

ثانياً: إن أمني ورغبات سكان منطقة اللاذقية تتمثل في مطالب دمشق الوطنية، إننا نؤيد هذه الأمانى الوطنية التي تنصّ على وحدة البلاد واستقلالها.

ثالثاً: إننا نشارك الوطنيين في دمشق شعورهم بالاحتجاج على أعمال السلطة التي قامت بها من نفي وسجن وإرهاق وخاصة طرد الطلاب.

رابعاً: نطالب بالحاح إعادة المبعدين السياسيين الذين لا يجيز قانون ولا إنسانية إبعادهم عن بلادهم وحرمانهم من ممارسة حقوقهم الطبيعية التي حباهم بها الخالق.

وأخيراً نصريح لحضرتكم أن [الحلّ الوحيد لهذه الفوضى هو إعادة دستور الأمة الذي سنّه الجمعية التأسيسية وإعلان وحدة البلاد واستقلالها ولتأكيد مصالحها الأدبية] (عن جريدة الأيام الدمشقية). (٢١٠)

**عريضة من اهالي طرطوس إلى المفوض السامي ١١ شباط ١٩٣٦:**

نحن المسلمين العلويين في قضاء بانياس (حكومة اللاذقية) نشرف بأن نعرض لفخامتكم ما يأتي:

منذ خمسة عشر عاماً خلت كان ممثلو الانتداب قد قرّروا فصل بلاد العلويين عن جسم الحكومة السورية بحجة، أننا اقل ثقافة من السوريين ولأسباب عنصرية تقضي بذلك، وكان القصد من هذا الانفصال كما قيل لنا هو النهوض بالبلاد علمياً وثقافياً وأدياً وزراعياً واقتصادياً ومالياً بجو هادئ بعيد عن تدخل السوريين بشؤوننا حيث اعتبرنا أقلية علوية وذلك نتتمكن في المستقبل من ممارسة حقوقنا بأيدينا عند إعادة هذا الجزء من سورية لكيانه.

ويؤسفنا يا فخامة العميد أن نصارحكم بأننا لم نجد للأن أدنى فائدة من هذا الانفصال الذي زعموا بأن كان ولم يزل لمصلحتنا فقط.

**واليكم البراهين والحجج الواضحة على ذلك:**

١- إن الثقافة التي وعدنا بنشرها في جبالنا لم نكد نرى لها من اثر نظراً لقلة المدارس الرسمية وإهمال الاعتناء بالقليل منها التي لم تأت بالفائدة المنتظرة خصوصاً والحكومة المتتدبة اقتنعت بفقر الآباء لعدم مقدرتهم على تقديم نفقة تعليم أبنائهم بالمدارس العالية.

٢- إن وظائف الدولة وإدارتها بأيدي أناس غرباء عنا، ونحن مكلفون لتأمين رفاهيتهم على قاعدة: الغرْم علينا والغنم لغيرنا بينما شبابنا المثقفون يتجولون بدون عمل.

٣- إننا نشكل سبعين بالمئة من سكان المنطقة، وندفع الضرائب بمثل هذه النسبة، ومع هذا لم تفسح الحكومة مجالاً لأبنائنا بالوظائف ولم تخصص لنا منها ما يعادل ٤٪ من مجموع وظائف الدولة.

٤- إذا احتجّت علينا الحكومة المتتدبة بعدم الكفاءة فالجواب على وجهين: إما أن يكون شبابنا أكفاء مثقفين ولا يعترف لهم بهذه الثقافة، وإما أنها لم تقم بالتعهدات التي تعهدت لنا بها، وإذا لم يتمن الاعتناء بتثقيفنا وتدريب أبنائنا طيلة هذه المدة فسوف لا يستنى لها ذلك بمئات السنين.

٥- إن حالتنا الزراعية والاقتصادية آخذة بالتدهور والانحطاط لكثرة الضرائب والرسوم التي أرهقت الملاك وسدت عليه كل طرق التفكير بأمر تسميد أرضه، والاعتناء بفرسها.

٦- إن احتكار شركة (المونوبول) المورد الوحيد الباقي لدينا وهو التبغ، وجعلنا تحت رحمتهما تتلاعب بالمساحة والأسعار كيفما شاءت دون أن تخصص لأبنائنا من وظائفها الكثيرة ما يعادل واحداً بالمئة كان العامل الأكبر لإفقارنا وشل زراعتنا.

٧- إن الحكومة منحتنا مجلساً نيابياً جردته من كل قوة تشريعية أو إدارية أو مالية، وبدلاً من أن يكون لأبناء البلاد رأي بإدارة شؤونها فقد وضعت على رأس كل دائرة مواطناً فرنسياً براتب ضخم يتصرف بكل كبيرة وصغيرة دون أن يكون لأبناء البلاد أقل رأي فيها.

٨- سببت لنا هذه الأوضاع زيادة بالنفقات لكثرة الموظفين الذين يمكن الاستغناء عن أكثرهم لولا هذا الانفصال مما لم يعد بوسع أهالي البلاد القيام بهذه النفقات الباهظة.

ومما تقدم يا فخامة العميد ترون أن هذا الانفصال لم يأت بالفائدة المنتظرة، بل كان ضرراً فادحاً على البلاد بصورة عامة، وعلى المسلمين العلويين بصورة خاصة حيث لا قيمة إلا لمطالب بعض زعماء معروفين ونواب معينين لا يخفون على الحكومة يرون في دوام هذا الحال مصلحتهم الشخصية.

وعليه وبعد التفكير رأينا أن الحل الوحيد لهذه الحالة السيئة التي نعيش بظلمها وتعاني منها البلاد الأمرين هو رجوعنا لأحضان الحكومة السورية، وإذا كان قصد الحكومة المنتدبة ورغبتنا بانفصالنا عن السوريين الشفقة علينا باعتبارنا أقلية فنحن مع شكرنا لها وتقديرنا لهذه العاطفة نقول بكل طيبة خاطر: عودي بنا إلى ما كنا عليه، ونحن أكثر شكراً أو أشد امتناناً [لأننا نعتبر أنفسنا مسلمين قبل أن نكون علويين ولأننا نرى المسلمين العلويين وسواهم في سورية أكثر راحة وأوفر هناء منا].

وبمناسبة دعوة الحكومة المنتدبة لبعض وجوه وزعماء ونواب المسلمين العلويين وموظفيهم ومحاولة إقناعهم بتأييد الوضع الحاضر فإننا نعلن رغبتنا [بوحدة البلاد على أساس اللامركزية الإدارية حسب المطالب المرفوعة من الزعماء السادة: منير العباس - حامد المحمود - الشيخ علي شهاب - الشيخ علي محمد كامل - يونس إسماعيل، وأنباعهم]، راجين التوصل بتحقيق هذه المطالب ورفع عريضتنا هذه للجنة الشؤون الخارجية في البرلمان الفرنسي وبعض الأمم، وتفضلوا وفيها ما زيد على ٥٠٠ توقيع من مختلف الفئات رؤساء ورحييين - وجوه وشباب مثقفين - مزارعين).<sup>(٢١١)</sup>

#### عريضة من علويي لواء الإسكندرونة إلى المفوض السامي ٤ آذار ١٩٣٦:

نحن العلويين في لواء الإسكندرونة نعرب لفخامتكم عن استنكارنا واستيائنا الشديد من قيام فئة من موظفي الحكومة في هذا اللواء بتوقيع عريضة لرفعها لفخامتكم ولعصبة الأمم تنافي أمانتنا وأمانتي البلاد السورية عامة وترمي إلى تجزئة اللواء عن سورية وتقر الوضع الحاضر الذي كان وبالأعلى على هذه الطائفة وسيباً في تأخرها في شتى مجالي حياتها، وكان استيائنا شديداً من اتخاذ بعض هؤلاء الموظفين نفوذهم واسطة لتوقيع هذه العريضة بإحراج موقف الشعب وعرقلة قضاياء الفردية، فنحن نعلن لفخامتكم أن القائمين بهذه الحركة هم من الموظفين والجماعة المأجورين الذين لا يؤخذ بكلامهم، ولا يمثلون إلا أنانيتهم وشخصياتهم المعروفة.

فنحن نطلب من السلطة المنتدبة أن تقف على الحياد وتمنع جميع موظفيها من التدخل بهذه المهمة السياسية ومن ثم تترك للشعب الحرية التامة في إبداء رغائبه والتعبير عن آرائه بصراحة تامة.

[أما إطلاق كلمة الأقلية على المسلمين العلويين فذلك مالا نقره ولا نعترف به لأن العلويين هم عرب وسوريون وإسلام وتربطهم بهذه الكتل الثلاث كل الروابط العنينة] ، وأما اتخاذ التفرقة المذهبية التي اندثرت في القرن العشرين أساساً لهذه التجزئة فذلك ما نرفضه رفضاً باتاً ونعلن لفخامتكم [تعلقنا الشديد بالوحدة والاستقلال التام] ، ونقدم لكم أمانينا ومطالبنا الحيوية التي هي أماننا البلاد السورية عامة وهي :

١- تحقيق الوحدة السورية بدون قيد أو شرط .

٢- إعادة دستور ١٩٢٨ كما وضعته الجمعية التأسيسية .

٣- إعادة الحياة الطبيعية إلى البلاد السورية والعفو عن المسجونين والمعتقلين بنتيجة الاضطرابات الأخيرة بدون استثناء وإعادة المبعدين عامة إلى وطنهم .

٤- عقد معاهدة مع فرنسا تضمن لسورية الوحدة والحرية والاستقلال التام .

وتفضلوا يا صاحب القخامة برفع احتجاجنا ومطالبنا هذه إلى وزارة الخارجية الفرنسية وإلى جمعية الأمم .<sup>(١١٣)</sup>

مذكرة إلى رئيس لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان الفرنسي بواسطة الرئيس هاشم الاتاسي من شباب جبل العلويين .

يا حضرة الرئيس : إن الكلمات التي تقرأونها هي جزء من تاريخ شعب حكمت عليه الحظوظ أن يحمل في دنياه ردياً طويلاً من الزمن قد تولينا فيها - بمناسبة المفاوضات القائمة اليوم حول تقرير مصيره - مهمة المؤرخ الأمين ، أما هذا الشعب المعذب المغلوب ، وأما هذا الجزء المحزن من التاريخ فمسرحة حكومة اللاذقية ، عدده بحسب إحصاءات حديثة (٣٤٣٠٠٠ نسمة) وأرضه بحسب تحديد جديد (٣٤٤,٠٠٠ هكتاراً) ومع ذلك فإن البؤس قد تسرب إليه بمقدار يدعو إلى الذعر والهلع والحزن .

هذه مقدمة سريعة ، وبعدها اعتماداً على ما نعهد به شخصكم الكريم من البلاغ في الدفاع عن قضية سورية الاستقلالية ، والرغبة الأكيدة في إقرار هذه القضية على وجه منطقي صحيح ، واعتماداً على الإنصاف النبيل الذي تتحلون به يا حضرة الرئيس ، لنا الشرف أن نطلعكم على النموذج من الحكم الذي هيمن ستة عشر عاماً على البلاد المسماة بحكومة اللاذقية .

السخرة: رغبت السلطة في بدء الاحتلال أن نشق شبكة من الطرق الواسعة في الجبال والسهول فسنت لذلك قانون السخرة، والسخرة حرمتها جمعية الأمم، وتحرمها دساتير العالم، وقامت من وراء هذا القانون حراب الجند تحشد أهل القرى بقسوة وعنف لشق هذه الطرق، ثم طال العذاب وقصر الصبر فتدمر المُسَخَّرُونَ ألف مرة من هذا القانون المرهق، ونشروا ظلامتهم على المقامات السامية في اللاذقية وبيروت، وأوصلوا في ١٨ أيلول ١٩٢٨ بواسطة الوفد السوري صراخ نفوسهم المتألّمة إلى جمعية الأمم، ولكن حراب الجند ظلت وستظلّ حتى في أيام الحرائة والحصاد وتربية دودة الحرير وقطاف الزيتون تعمل على حشد المواشي البشرية في طريق الذل والإرهاق، أتكون السخرة يا حضرة الرئيس لونا من ألوان النعيم الذي يغبطنا عليه المسيو روبير دي كيه؟؟

الضرائب: المباشرة من الضرائب وغير المباشرة قامت على سنبلة القمح ومحراث الفلاح، أما الأساس الذي بنيت عليه الضريبة فلم يكن في يوم من الأيام يتفق مع مقدرة المكلف على الدفع، وإن شيئاً من التعديل لم يدخل على هذا الأساس المرهق الذي فرضت بموجبه الضريبة أي أن المكلف في حكومة اللاذقية يحتم عليه قانون الضريبة، أن يدفع رغم هذه الأزمة المسيطرة ورغم هبوط أسعار الإنتاج ما كان مترتباً عليه أيام الرخاء ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن المكلف كان باستمرار عرضة لزيادة تطرأ على بعض الضرائب فبينما هو يدفع عام ١٩٣٣ على العقار نفسه عشرين ليرة أو أكثر، ونكتفي بالتدليل الموجز على هذا القول بالضريبة العقارية على الأملاك المبنية فهذه الضريبة بنيت على تخمين قديم للإيجارات جرى منذ سنوات أيام كانت أجور الأملاك مرتفعة، وليس من أن أثمان العقارات المبنية، قد هبطت إلى أكثر من الثلثين، فبدلاً من أن تعتمد دوائر المالية في اللاذقية في مثل هذه الحال إلى تخفيض الضريبة التي طبقت على مقدرة المكلف وأينها ترسل عام ١٩٣٢ لجنة تخمين جديدة لم تُراع في مهمتها الأزمة المستفحلة ولم تحسب لها حساباً فقدّرت أجور الأملاك أضعاف ما كانت عليه وبذلك ضوّعت الضرائب والرسوم، أضف إلى كل هذه الأساليب الجبابة المرهقة التي لا تتفق مع الإنسانيّة في شيء.

الزراعة: والزراعة الحديثة الفنية لا ظل لها في حكومة اللاذقية، فالفلاح لا يزال يحرق أرضه على الطريقة التقليدية، بيد أننا لا نفرغ من هذا القول حتى يقوم في أذهاننا أنه كان للزراعة في هذه المنطقة في زمن من الأزمان رحمه الله، مركز يدعي (مركز بوقا الزراعي) وهو يقوم على خمس بنايات جميلة كلّف بناؤها الحكومة مما يزيد على ١٠٠,٠٠٠ ل.س.

ومن سنة ١٩٢٣ بدأت هذه المؤسسة تنفق ٣٣,٠٠٠ ل.س في السنة وتنتج ٦٠٠٠ ل.س حتى ١٩٣٣ فيكون العجز الذي أصاب ميزانيتها في عشر سنين ٢٧٠ ألف ليرة سورية، ولم يكن هذا العجز ناتجاً عن إفلاس في أراضي (بوقا) بل هو ناتج عن إفلاس نظريات المسيو (دلبوسي) الذي كان قائماً على إدارتها، ولكن موظفي اللاذقية الحريصين على كرامة زملائهم، ولو كثرت أخطاؤهم - لم يكلفوا هذا الموظف بترك منصبه، بل وجدوا أن المتناول الأقرب هو أن يتخلوا عن هذه المؤسسة بكاملها إلى فئة من الرهبان الفرنسيين لقاء ٧٩ ألف ليرة يدفعونها في مدة (٢٥ سنة) أقساطاً، ورأت الحكومة في الوقت نفسه - لحكمة نجهلها - أن تقدم إعانة سنوية إلى فئة الرهبان قيمتها أربعة آلاف ليرة لقاء تعليم ثلاثين يتيماً. وقد أهملت الحكومة إلى جانب كل هذا حماية الزراعة من الآفات الطبيعية (الحميرة مثلاً) التي التهمت المواسم وهددت البلاد بالقحط والمجاعة.

**المصرف الزراعي:** أما قروض المصرف الزراعي فينالها أبناء البلاد كل بحسب محسوبيته وزلفاه، أي إن المصرف الزراعي في اللاذقية هو واسطة لإرضاء فئة معينة، لا واسطة لإنعاش الزراعة.

**المشاريع العمرانية:** وراحت الحكومة تتبع الخطوة بالخطوات، والهفوة بالهفوات فاعتمدت عشرات ألوف الليرات أقامت بها كازينو في اللاذقية وآخر في مصيف (صلنفة) في حين إن الواجب كان يحتم عليها أن تستعيز عن هذه المشاريع الكمالية بمشاريع زراعية تستفيد منها الأيدي العاملة كمشروع لري من نهر (السن) مثلاً الذي استحضرت الحكومة لدرسه المهندسين الأخصائيين فوضعوا عنه التقارير الضافية التي أهملت فيما بعد، ولكن حكومة اللاذقية أبت إلا أن تقدم الكمالي من المشاريع المهم على الأهم منها.

**الصحة والإسعاف العام:** لا ندري بالضبط المبالغ التي أرصدت لهذه المؤسسة الإنسانية، ولا ندري كذلك بالضبط كيف أنفقت هذه المبالغ ولكننا ندري أن أصغر مؤسسة طبية في بيروت لديها من المعدات الحديثة والأطباء الاختصاصيين مالا أثر له في دوائر الصحة والإسعاف العام في حكومة اللاذقية، وندري فوق ذلك أنه ليس في كل المستوصفات التي وضعتها الحكومة تحت تصرف أطبائها سوى الكينا والقطن وصبغة اليود، ومثل هذه العقاقير، ولو أننا في معرض النقاش لألفنا لكم يا صاحب العزة الرئيس اللوائح الطوال بأسماء البؤساء المسؤولين الذين يلفظون أنفاسهم في زوايا الأكواخ بدون ما عطف أو إحسان من قبل دوائر الصحة في حكومة اللاذقية.

**القضاء :** الفكرة النيرة يا حضرة الرئيس الحجة المقنعة، الإقرار، البينة الخطية والشخصية، اليمين، القرينة القاطعة، الوجدان، كل هذه الأشياء كثيراً ما يصرف القضاء في حكومة اللاذقية النظر عنها إذا (توصية) أو (تلفئة) تنزل عليه من مصدر كبير .

واسمحوا لنا يا حضرة الرئيس ألا نكتمكم، ونحن في معرض الحديث عن القضاء، ارتيابنا وحذرنا من المساومات التي لا بد أن تكون لعبت دورها الهام .

**الحرية الفكرية :** والسلطة إلى جانب كل هذا تقيم على الأقلام والاجتماعات والألسنة الرقابة الضيقة الصارمة فتحرم علينا ما تجود به على المستعمرات - فشرعة ٢٨ آذار ١٩٠٧ تجيز لسكان مراكش وكونغو، ومدغشكر الاجتماع بدون سابق إنذار، أما نحن فقانون قمع الجرائم الشهير يبيع لرجال القوة المسلحة أن يتهكوا حرمة منازلنا الخاصة، والاعتداء على حرياتنا الشخصية المكفولة في دستورنا، وفي دساتير العالم .

ولعلنا لا نكون على شيء من المبالغة إذا أكدنا لكم يا حضرة الرئيس أن بعض رجال الحكومة لم يتورعوا عن العبث بالوديعه التي يضعها الناس في صندوق البريد لمعرفة ما يدور بينهم من أسرار ومكاتبات وهذا أمر مستنكر مشجوب، ومع هذا فإن المسيور روبري دي كيه يتغنى بحسن الإدارة والرخاء في بلاد اللاذقية .

**التوظيف والموظفون :** التوظيف فُتحت أبوابه لكل متزلف يحمل المباخر، ولهذا رأينا المشهورين بالمكر والجهل يتسأثرون بمعظم الوظائف، أما الكفاءة والنزاهة والإباء فقلما كان لها في كراسي الحكم نصيب، فكان إذاً من الطبيعي أن نرى للقاضي يجعل من القانون آلة لتنفيذ مآرب الناس وتسكين أحقادهم وضغائنهم، والإداري المتفطرس يُلقي احتقاره في وجوه الناس ويفمس أصابعه .

والجايي يشدد على المزارع المكلف ويسوقه كالمجرم، ويحجز متاعه، وماشيته وهي عماد حياته لاستيفاء الضريبة الظالمة، والدركي الصغير يشتم الناس على قوارع الطرق وبالساقط البذي من الألفاظ، ويصفعهم صفع السيد للعبيد، رأيتهم يفعلون كل ذلك لأن للموظفين في حكومة اللاذقية يا حضرة الرئيس حصانة الطاغية تنام القوانين على بابها .

**صرخات الشعب :** أما الصرخات، الصرخات الدامية التي جمع فيها الشعب اليأس والجوع والظلم، فكلها ماتت على أذان الحكام .



**الوحدة السورية:** فمن غمار هذه الأخطاء التي ضبطنها في هذه المذكرة عصفت بالشعب في حكومة اللاذقية نزعة دفعت في طريقها حتى أصدقاء السلطة الذين (تدلّوها) في زمن بعشق الحكم القائم للالتفاف حول الوحدة السورية باعتبارها الملجأ الأخير لأمانيه في السياسة والاقتصاد والاجتماع ولا تخطئ إذا أكدنا لكم يا حضرة الرئيس [أن الذين أعلنوا تأييدهم للوحدة السورية هم أكثرية ساحقة في هذه البلاد]، فالأوساط الشعبية التي طلب رجالاتها الوحدة راحت تهلل لهم، وتلف حولهم كالبناء المرصوص في حين إن الأوساط التي أرغم رجالاتها من قبل السلطة بطلب الانفصال تمزقت شَرَّ تمزيق، وانضمتْ فلولها إلى جبهة طلاب الوحدة.

**طلاب الانفصال:** ويلوح لنا أن رجال للحكومة قد أثر فيهم انسجام عواطف أبناء البلاد والتحامها حول فكرة الوحدة فانطلق الغضب من صدورهم على أنصارها انطلاقاً الأفاعي وراحوا يزوجونهم في السجون ويستكتبونهم في أجواء مروعة بالضغط والتهديد، عرائض بطلب الانفصال وقيمون في مكاتبهم الرسمية مكاتب دعاية يقاد الناس إليها مرغمين للمناورة والتطبيق.

ولم يقف طغيانهم عند هذا الحد بل رأيناهم - منذ أيام خلت - يدفعون شرذمة من الذين أشربوهم الانفصال وسمحوا به، للقيام بمظاهرات شبه مسلحة في مدينة بانياس ترمي إلى إثارة الحفاظ في البلاد.

على أننا نحن طلاب الوحدة، لا نياس حين نجد حريتنا تضارّ، بل نفتبط جد الاغتيال لأننا نرى في هذه المصادرة شكلاً من أشكال العناء الذي تقاسيه السلطة القائمة في إسكات أصوات الحق ولكن اسمحو لنا يا حضرة الرئيس أن نحول أنظارنا عن الماضي إلى المستقبل فالماضي مضى ولن يعود فإن كان مجداً فقد سجله التاريخ وإن كان ذلاً فخير لنا ألا نراه.

**أمانى الشعب:** والآن وقد أصبحت قضية مصيرنا على مائدة المفاوضات لنا الشرف أن نتوسل إليكم باسم أولئك الألوف الجائعين الذين أرهقهم النظام الحكومي القائم في البلاد، ونتوسل فوق ذلك باسم الحرية والحق، أن تتوسطوا لنا لدى حكومتكم الفخيمة بإخراجنا من هذا المستنقع الراكد الذي نموت فيه، وإيرجاعنا إلى أحضان أمانا سورية، التي ساهمت وستساهم إن شاء الله في حضارة العالم راجين رفع مذكرتنا إلى وزارة الخارجية ورئيس لجنة المفاوضات الفرنسية وجمعية الأمم.

صافيتا في ٩ نيسان ١٩٣٦ (عبد الرحمن إبراهيم - رفيق المقدسي - رفيق بيطان - أديب طيار)<sup>(١١٣)</sup>.

### من المفوض السامي للجمهورية الفرنسية إلى رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية

لي الشرف بأن أقدم إلى دولتكم طياً نص القرار رقم . . . بتاريخ . . . المتضمن نقل اختصاصات السيادة على أراضي اللاذقية وجبل الدروز إلى الحكومة السورية وتعيين النظام الخاص الإداري والمالي لهاتين المنطقتين .

وهذان النصان هما نتيجة الاتفاق الذي تم في باريس فيما يتعلق بضم هاتين المنطقتين إلى دولة سورية بالنظام الإداري والمالي الذي استنسب الاحتفاظ به لهاتين المنطقتين وفقاً للمبادئ التي حددتها عصبة الأمم .

إن المفوض السامي . . . بناء على صك الانتداب المؤرخ في ٢٤ تموز ١٩٢٢ . . . وبناء . . . ولماً . . . قرر ما يأتي:

مادة أولى: إن أراضي اللاذقية هي جزء من الدولة السورية .

مادة ثانية: تنفيذ هذه الأراضي ضمن دولة سورية من نظام خاص إداري ومالي حددت أساليبه في النظام الملحق .

مادة ثالثة: مع الاحتفاظ بأحكام النظام المذكور يسري على أراضي اللاذقية دستور الجمهورية السورية وقوانينها وأنظمتها العامة .

مادة رابعة: دور إتمام المساعدة السورية من قبل الدولة السورية في الأمور المالية . . . في دور التنفيذ بدلاً من النصوص التي كانت تسري على هذه الأمور.<sup>(١١٤)</sup>

### مؤتمر القرداحة ١٩٣٦:

اجتمع الشيوخ الروحيون المسلمون العلويون في القرداحة عام ١٩٣٦ وتداولوا في أمر الانتداب الفرنسي لسورية وقيامه بمساعدة المبشرين اليسوعيين وردوا علي افتراءات الفرنسيين بشأن إسلامهم وصدر عنهم البيان التالي بعد انتهاء اجتماعهم وأردفوه بمذكرة رفعت إلى الخارجية الفرنسية وعصبة الأمم .

## بسم الله الرحمن الرحيم

نحن الموقعين أدناه الشيوخ الروحيون المسلمون العلويون دحضنا لما يشاع عن أن المسلمين العلويين غير مسلمين وبعد التداول بالرأي والرجوع إلى النصوص الشرعية قررنا البندين الآتيين:

**البند الأول:** كل علوي فهو مسلم يقول ويعتقد بالشهادتين ويقيم أركان الإسلام الخمسة.

**البند الثاني:** كل علوي لا يعترف بإسلاميته أو ينكر أن القرآن الشريف كتابه وأن محمداً صلى الله عليه وسلم نبيه فلا يعتبر بنظر الشرع علوياً، ولا يصح انتسابه للعلويين، والعلويون منه برّاء، لقوله تعالى: (هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين).

وإن مذهبنا في الإسلام هو مذهب الإمام جعفر الصادق، والأئمة الطاهرين سالكين بذلك ما جاء به خاتم النبيين سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ حيث يقول: (إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتُم به لن تضلُّوا بعدي الثقلين، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض).

**هذه عقيدتنا نحن العلويين وفي هذا كفاية لقوم يعقلون.**

**التواقيع:** الشيخ صالح ناصر الحكيم - الشيخ يونس حمدان - الشيخ عيد ديب الخير - الشيخ كامل الصالح - الشيخ حسن حيدر - القاضي المذهبي في اللاذقية الشيخ علي - حمدان - القاضي المذهبي في طرطوس - الشيخ علي عبد الحميد المصني - القاضي المذهبي في السويداء - القاضي المذهبي في مصياف - الشيخ يوسف غزال المفتي في قضاء الحفة<sup>(١)</sup>.

**العودة إلى احضان الوطن الأم:**

في عام ١٩٣٩ قامت الحرب العالمية الثانية، وانتصر فيها هتلر أول الأمر واجتاح فرنسا وأقام حكومة تآمر بأمره دعيت حكومة فيشي، غير أن الجنرال الفرنسي دينول لجأ إلى بريطانيا وشكل حكومة فرنسا الحرة ووعد الشعوب الرازحة تحت الاستعمار الفرنسي بالاستقلال، وفي عام ١٩٤٣ فاز الوطنيون في سورية بالانتخابات وشكلوا حكومة وطنية.

وعندما انتهت الحرب في أيار ١٩٤٥ نكث الفرنسيون بوعودهم ، ورفضوا منح سورية الاستقلال فثار الشعب العربي في سورية بكل فئاته ، واصطدم مع الفرنسيين في عدة محافظات فعمد الفرنسيون إلى قصف مدينة دمشق في ٢٩ أيار ١٩٤٥ ، وهاجموا مبنى البرلمان ، وقتلوا حاميه من الدرك السوري ، فارتفعت أصوات الاستنكار ضد هذا العمل الهمجيّ الوحشيّ ، وأرسل الشيخ صالح العلي قائد الثورة الأولى ضد الفرنسيين البرقية التاريخية التالية إلى المسؤولين الفرنسيين قال فيها : (سيوف المجاهدين تعمل في أغمارها ، ونفوسهم في غليان واضطراب لا تقبل أن تمتحن كرامة الأمة ، وتمزق حرمة الاستقلال إننا للمعتدين بالمرصاد ، وسيرى الظالمون أيّ منقلب ينقلبون) .

وعرضت قضية سورية على مجلس الأمن الدولي ومنظمة الأمم المتحدة وأجبرت فرنسا على مغادرة سورية ، ومنحها الاستقلال الكامل وبدون شروط ، فبدأت سحب قواتها من سورية وخرج آخر جندي فرنسي من بلدنا الحبيب في ١٦ نيسان ١٩٤٦ .

وهل فجر ١٧ نيسان وليس في سورية العروبة أي جندي ، أو نفوذ فرنسي مستعمر دخيل ، ورفرف علم واحد على جميع أجزاء سورية التي مزقتها المستعمر حين فرض نفسه متتدباً عليها ، والتقى الأخوة المشتتون وبرهنوا على أنهم عرب أمجاد أشقاء ، وبدأت العقول والنفوس والأيدي تبني وطناً حراً موحداً يسير في ركب الحضارة والتقدم .

## المراجع

- ١٩٠ - الكتاب الذهبي لجيوش الشرق ص ٢٧ .
- ١٩١ - الكتاب الذهبي لجيوش الشرق ص ١١٠ .
- ١٩٢ - الكتاب الذهبي لجيوش الشرق ص ١٠٩ .
- ١٩٣ - الكتاب الذهبي لجيوش الشرق ص ١١١ .
- ١٩٤ - مجلة دراسات اشتراكية العدد ٩٣ ص ٧٦ .
- ١٩٥ - مجلة دراسات اشتراكية العدد ٩٣ ص ٧٧ .
- ١٩٦ - مجلة دراسات اشتراكية العدد ٩٣ ص ٧٩ .
- ١٩٧ - مجلة دراسات اشتراكية العدد ٩٣ ص ٨١ .
- ١٩٨ - مجلة دراسات اشتراكية العدد ٩٣ ص ٨٦ .
- ١٩٩ - كتاب سورية ولبنان ص ١٤٥ وما بعدها .
- ٢٠٠ - كتاب سورية ولبنان ص ١٥٩ .
- ٢٠١ - كتاب سورية ولبنان ص ١٧١ .
- ٢٠٢ - كتاب سورية ولبنان ص ١٦٦ وما بعدها .
- ٢٠٣ - مراحل استقلال دولتي لبنان وسورية ص ٧٦ .
- ٢٠٤ - الأسد الصّراع على الشرق الأوسط ص ٣٦ .
- ٢٠٥ - الأسد الصّراع على الشرق الأوسط ص ١٧ .
- ٢٠٦ - الأسد الصّراع على الشرق الأوسط ص ٢٧ .
- ٢٠٧ - الأسد الصّراع على الشرق الأوسط ص ٤٣ .
- ٢٠٨ - الأسد الصّراع على الشرق الأوسط ص ٤٩ .
- ٢٠٩ - المشرق العربي في مواجهة الاستعمار ، قراءة في تاريخ سورية المعاصر ص ٣٩٩ وما بعدها .

- ٢٠٩- مكرّر تاريخ العلويين للطويل نقد وتقريظ الشيخ عبد الرحمن الخير ص ١٢ .
- ٢١٠- المشرق العربيّ في مواجهة الاستعمار ، قراءة في تاريخ سورية المعاصر ص ٤٠٥ .
- ٢١١- المشرق العربيّ في مواجهة الاستعمار ، قراءة في تاريخ سورية المعاصر ص ٤٢٤ .
- ٢١٢- المشرق العربيّ في مواجهة الاستعمار ، قراءة في تاريخ سورية المعاصر ص ٤٢٦ .
- ٢١٣- المشرق العربيّ في مواجهة الاستعمار ، قراءة في تاريخ سورية المعاصر ص ٤٠٨ .
- ٢١٤- المشرق العربيّ في مواجهة الاستعمار ، قراءة في تاريخ سورية المعاصر ص ٤٣٨ .
- ٢١٥- النّبأ اليقين عن العلويين ص ١٨٣ .

## مصادر الكتاب

- ١- ربح تفكر ومشكلات السلطة السياسية في المشرق العربي في عصر النهضة . د . محمد مخزوم . ط ١ بيروت ١٩٨٦ .
- ٢- الأسد الصراخ على الشرق الأوسط . باتريك سيل . لبنان ، طرابلس .
- ٣- إسلام بلا مذاهب ط ٢ . د . مصطفى الشكعة بيروت ١٩٧١ .
- ٤- الإعلام للزركلي .
- ٥- الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانية . جورج جرداق ط ١ بيروت . دار الروائع .
- ٦- بلاد الشام في القرن التاسع عشر ١٩٨٢ دمشق .
- ٧- تاريخ حسن آغا العبد تحقيق د . يوسف نعيسة وزارة الثقافة - دمشق ١٩٧٩ .
- ٨- تاريخ الدولة العلية العثمانية . محمد فريد بيروت ١٩٧٧ .
- ٩- تاريخ الشيخ يوسف علي الخطيب (مخطوط) .
- ١٠- تاريخ العلويين . غالب الطويل ط ٣ بيروت ١٩٧٩ .
- ١١- تاريخ لبنان فيليب حتي . بيروت - نيويورك ١٩٥٩ .
- ١٢- تاريخ مصر الإسلامية ج ٢ . د . جمال الدين الشيال دار المعارف - القاهرة ١٩٦٧ .
- ١٣- تذكرة الحياة الروحية . الشيخ يعقوب الحسن . (مخطوط) .
- ١٤- حاضر العالم الإسلامي ترجمة عجّاج نويهض .
- ١٥- حرب الجمل وحرب صفين السيد محسن الأمين . بيروت ١٩٦٩ .
- ١٦- الحركات الباطنية في الإسلام . د . مصطفى غالب بيروت ١٩٨٢ .
- ١٧- الحضارة الإسلامية في القرن ٤ هـ ترجمة محمد أبو ريدة ط ٥ بيروت .
- ١٨- حوادث دمشق اليومية تحقيق أحمد عبد الكريم . القاهرة ١٩٥٨ .
- ١٩- الدولة الأموية . محمد الخضري ط ١ القاهرة .
- ٢٠- الدولة العباسية : محمد الخضري ط ١ القاهرة .

- ٢١- سورية وفلسطين تحت الحكم العثمانيّ. قسطنطين بازيللي. موسكو ١٩٨٩.
- ٢٢- سيف الدولة الحمدانيّ د. مصطفى الشكعة. بيروت ١٩٧١.
- ٢٣- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط ٢ القاهرة ١٩٦٥.
- ٢٤- الشرق الإسلاميّ في العصر الحديث حسين مؤنس. ط ٢ ١٩٣٨ القاهرة.
- ٢٥- شعر الجهاد في الحروب الصليبيّة في بلاد الشام. د. محمد الهرفي. ط ٣ بيروت ١٩٨٠.
- ٢٦- الشيعة في الميزان.
- ٢٧- الصليبيّون في الشرق. ميخائيل زابوروف. موسكو ١٩٨٦.
- ٢٨- العلويون بين الأسطورة والحقيقة. هاشم عثمان. بيروت ١٩٨٠.
- ٢٩- المسلمون العلويّون في مواجهة التجنيّ. أحمد علي حسن. ط ١ ١٩٨٥.
- ٣٠- الفرر الحسان في أخبار أبناء الزمان. حيدر الشهابي. بيروت ١٩٣٣.
- ٣١- الكامل في التاريخ لابن الأثير.
- ٣٢- كتاب أخبار الدّول وآثار الأول في التّاريخ. أحمد يوسف القرماني. بيروت.
- ٣٣- كتاب خير الصّنيعة. الشيخ حسين ميهوب حرفوش (مخطوط).
- ٣٤- الكتاب الذهبيّ لجيوش الشرق. ترجمة إدوار البستاني. بيروت.
- ٣٥- كتاب سورية ولبنان. أديب فرحات. بيروت ١٩٢٣.
- ٣٦- كتاب الفلك الدّوّار في أسماء الأئمة الأطهار. عبد الله المرتضى. المطبعة المارونية بحلب ١٩٣٣.
- ٣٧- كتاب المراجعات. عبد الحسين شرف الدين الموسوي. ط ٤ بيروت ١٩٥٨.
- ٣٨- لسان العرب لابن منظور. طبعة دار المعارف بمصر.
- ٣٩- مؤلّفات الشيخ حسين أحمد (مخطوط).
- ٤٠- مجلّة دراسات اشتراكيّة العدد ٩٣ دمشق.



- ٤١ - مجلة دراسات اشتراكية العددان ٣٥-٣٦ دمشق ١٩٩٠ .
- ٤٢ - مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سورية . تحقيق أحمد غسان سبانو . دمشق .
- ٤٣ - مراحل استقلال دولتي لبنان وسورية . وجيه علم الدين . بيروت ١٩٦٧ .
- ٤٤ - مسرحية ديك الجن الحمصي وورد - مسرحية شعرية . علي الموسى (مخطوط) .
- ٤٥ - المسلمون العلويون في لبنان . أحمد علي حسن ، وحامد حسن . ط ١ ١٩٨٩ لبنان .
- ٤٦ - المشرق العربي في مواجهة الاستعمار . قراءة في تاريخ سورية المعاصر د . ذوقان قرقوط ١٩٧٧ القاهرة .
- ٤٧ - مقدمة ابن خلدون . المكتبة التجارية القاهرة .
- ٤٨ - من كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ . وزارة الثقافة دمشق ١٩٨٠ .
- ٤٩ - النظام السياسي في الإسلام : المحامي أحمد حسين يعقوب ١٩٨٩ الأردن - عمان ط ١ .
- ٥٠ - نظرية عدالة الصحابة : المحامي أحمد حسين يعقوب ط ١ ١٩٩٢ شركة شمس المشرق - بيروت .
- ٥١ - النبأ اليقين عن العلويين . الشيخ محمود الصالح ط ٢ دمشق ١٩٩٣ .
- ٥٢ - نهج البلاغة - شرح الشيخ محمد عبده . تحقيق محي الدين عبد الحميد . القاهرة - مطبعة الاستقامة .
- ٥٣ - الهداية الكبرى . الحسين بن حمدان الخصيبي . بيروت . ط ١ ١٩٨٦ .
- ٥٤ - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . عبد الملك الثعالبي النيسابوري . تحقيق محي الدين عبد الحميد . ط ١ القاهرة ١٩٤٧ .
- ٥٥ - البعين واليسار في الإسلام . ط ٢ ١٩٧٣ بيروت . أحمد عباس صالح .
- ٥٦ - العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، شرح وتحقيق اليازجي . دار القلم - بيروت .
- ٥٧ - بقظة المسلمين العلويين في مطلع القرن العشرين . الشيخ عبد الرحمن الخير ط ١ ١٩٩٦ دمشق .

- ٥٨ - تاريخ العلويين للطويل نقد وتقريب للشيخ عبد الرحمن الخير ط ٤ دمشق ١٩٩٦ .
- ٥٩ - عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين الجعفرين العلويين للشيخ عبد الرحمن الخير ط ٩ دمشق ١٩٩٦ .
- ٦٠ - المغمورون القدامى في جبال اللاذقية علي عباس حروفش . دار البنايع - دمشق ١٩٩٦ .
- ٦١ - لقد شيعني الحسين : إدريس الحسيني - دار النخيل - بيروت ط ١ ١٩٩٤ .
- ٦٢ - تاريخ حمص / القسم الثاني / منير الخوري عيسى أسعد ط ١ ١٩٨٤ حمص .
- ٦٣ - الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية . محمد بن علي طباطبا القاهرة ١٣٤٠ هـ .

## المحتويات

٥.....	تمهيد
٧.....	الفصل الأول
٧.....	الانتماء إلى دوحة الإسلام العظيم
١٢.....	المراجع
١٣.....	الفصل الثاني
١٣.....	علي بن أبي طالب <small>عليه السلام</small>
٤٥.....	المراجع
٤٧.....	الفصل الثالث
٤٧.....	التشيع والشيعة
٥٥.....	المراجع
٥٧.....	الفصل الرابع
٥٧.....	الإمام علي خليفة
٦٦.....	المراجع:
٦٧.....	الفصل الخامس
٦٧.....	محاربة التشيع والمتشيعين
٧٢.....	المراجع
٧٣.....	الفصل السادس
٧٣.....	استشهاد الإمام الحسين <small>عليه السلام</small>
٨٢.....	المراجع
٨٣.....	الفصل السابع
٨٣.....	انقسام الشيعة
٨٥.....	الدولة العباسية:
٨٧.....	الانشقاق الثاني:
٩٣.....	الانشقاق الثالث:
٩٧.....	المراجع
٩٩.....	الفصل الثامن

٩٩.....	تكاثر العلويين وانتشارهم .....
١١٣.....	المراجع .....
١١٥.....	الفصل التاسع .....
١١٥.....	العلويون في القرن الخامس الهجري .....
١٢٨.....	المراجع .....
١٢٩.....	الفصل العاشر .....
١٢٩.....	العلويون في القرن السادس الهجري .....
١٣٩.....	المراجع .....
١٤١.....	الفصل الحادي عشر .....
١٤١.....	العلويون في القرن السابع الهجري .....
١٥٨.....	المراجع .....
١٥٩.....	الفصل الثاني عشر .....
١٥٩.....	الإفتاء بالإفتاء .....
١٧٠.....	المراجع .....
١٧١.....	الفصل الثالث عشر .....
١٧١.....	العلويون والعثمانيون .....
١٩٣.....	المراجع .....
١٩٥.....	الفصل الرابع عشر .....
١٩٥.....	العلويون وإبراهيم باشا المصري .....
٢٠٢.....	المراجع .....
٢٠٣.....	الفصل الخامس عشر .....
٢٠٣.....	اليَقْظَة .....
٢٣٣.....	المراجع .....
٢٣٥.....	الفصل السادس عشر .....
٢٣٥.....	العلويون أثناء الانتداب الفرنسي .....
٢٦٣.....	بسم الله الرحمن الرحيم .....
٢٦٥.....	المراجع .....
٢٦٧.....	مصادر الكتاب .....
٢٧١.....	المحتويات .....





ولد المؤلف في حمص عام 1942 وتخرج من جامعة  
دمشق عام 1972 حاصلًا على الإجازة في  
اللغة العربية وآدابها .

وعلم في ثانويات حمص مدة 40 عامًا .

شارك في العديد من الندوات ونشر العديد من الدراسات  
الأدبية والاجتماعية والتربوية .

قيد الطبع : المجتمع والدستور في نهج الإمام علي (ع)